مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

سلسلة تحقيق التراث (٤٤)

كتاب
سيرة رسول الله ﷺ

تأليف
أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري
(ت ١٤٣هـ)

رواية
أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى
ابن منظور القيسي الإشبيلي
(ت ٤٦٩هـ)

تحقيق
رضوان الحصري

١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

King Faisal Center for Research and Islamic Studies

كتاب
سيرة رسول الله ﷺ

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٤٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

البصري، سليمان بن طرخان
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. / سليمان بن طرخان البصري؛
رضوان الحصري - الرياض، ١٤٤٣هـ
٢٠٨ص، ١٧×٢٤سم (تحقيق التراث؛ ٤٤)
١ـ السيرة النبوية أ. الحصري، رضوان (محقق)
ب. العنوان ج. السلسلة
ديوي: ٢٣٩
الإيداع: ٣٠٤/ ١٤٤٣
ردمك: ٧-٩٥-٨٢٦٨-٦٠٣-٩٧٨

منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

سلسلة تحقيق التراث (٤٤)

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
ص.ب: ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
هاتف: ١١ ٤٥٥٥٥٠٤ (٠٠٩٦٦)
فاكس: ١١٤٦٥٩٩٩٣ (٠٠٩٦٦)
الموقع الإلكتروني: www.kfcris.com
البريد الإلكتروني: kfcris@kfcris.com
المملكة العربية السعودية

الموزّع خارج المملكة العربية السعودية:
أروقة للدراسات والنشر
رقم الهاتف: ٦٥١٦٣٥٦٤ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال: ٦٧ ٩٢٥ ٤٦٧ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني: www.arwiqa.net

9 786038 268957

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمَح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال أو رفعه على شبكة الإنترنت دون إذن خطي سابق من المركز. حقوق الملكية الفكرية هي حقوق خاصّة شرعًا وقانونًا، وطبقًا لقرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة فإنّ حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مَصُونة شرعًا، ولأصحابها حقّ التصرُّف فيها، فلا يجوز الاعتداء عليها.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means without written permission from the center.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

سلسلة تحقيق التراث (٤٤)

كتاب سيرة رسول الله ﷺ

تأليف

أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري

(ت ١٤٣هـ)

رواية

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى

ابن منظور القيسي الإشبيلي

(ت ٤٦٩هـ)

تحقيق

د. رضوان الحصري

١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

كلمة

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيّنا محمد المبعوثِ رحمةً للعالمين.

وبعد،

فقد دأب مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية منذ نشأته على الإسهام الفاعل في نشر مجموعةٍ مختارة من نفائس التراث النادرة، وتكليفِ نُخبةٍ من أفاضل المحققِّين المتمرِّسين بدقائق الفن للقيام بهذه المهمة على أكمل وجه ضمن التقاليد العلمية الراسخة في مسار التحقيق، وإخراج ذلك كُلّه في طبعاتٍ علميةٍ أنيقة استوفت مطالب التحقيق شكلاً ومضموناً، بحيث غدتْ إصدارات المركز إضافة علمية بالغة الأهمية في مجال تحقيق التراث، ويتطلّع إلى الإسهام فيها خيرةُ الباحثين والمحقِّقين.

وخلال هذه المسيرة الزاهرة أنجز المركز مجموعةً من كتب التراث القيّمة التي ظَفِرت بتقدير أهل العلم والباحثين؛ لما توفّر لها من ضروب العناية والإتقان، وكان هذا التقدير حافزاً لمواصلة المسيرة، ومُشجّعاً على إعادة إصدار مجموعة مختارة من الكتب السابقة؛ لوضعها بين يدي الأجيال اللاحقة التي ربما لم تتيسّر لها تلك النشرات الأصيلة المتميزة.

في هذا السياق من الاهتمام والرغبة الصادقة في التجديد وإحياء الكنوز القيّمة من كتب التراث العربي؛ تأتي نشرتنا لهذا الكتاب العتيق «سيرة رسول الله ﷺ» للإمام

أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري (ت١٤٣هـ)، من رواية أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى ابن مَنْظور القَيْسي الإشبيلي (ت٤٦٩هـ)، وهو كتابٌ كان كاملاً في حيّز المفقود، إلى أن وُفِّق الدكتور رضوان الحَضْري سلّمه الله لاكتشاف نسخة فريدة منه في خزانة دير الإسكوريال بالأندلس؛ كانت منسوبة في فهرس الخزانة المذكورة إلى مجهول! فبادر إلى كشف اللثام عنه وخدمته على الوجه الوافي.

أما سليمان التيمي فمن شامات السلف الصالح، يقول فيه حماد بن سلمة: «ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً... فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عز وجل»[1]. وقال شعبة: «لم أر أحداً قط أصدق من سليمان التيمي، وكان إذا حدّث الحديث فرفعه إلى النبي ﷺ تغيّر وجهه»[2].

وأما كتابه «سيرة رسول الله ﷺ» فمِن عِتاق مصادر السيرة، وقد تتبّع المحقق النقول عنه في الدواوين، وعرّف به تعريفاً وافياً يُغني عن إعادة القول هنا، وحققه تحقيقًا حَسَنًا، فجاء كتاباً جديراً بالنشر بين أهل العلم وطلابه، لينضم بذلك إلى مصادر السيرة المتقدّمة، وأسفار التراث التي يتشرّف مركز الملك فيصل بنشرها وإدناء فوائدها إلى القرّاء الكرام .

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات

الرياض،
الأول من محرم ١٤٤٣هـ
الموافق ٩ أغسطس ٢٠٢١م

(١) رواه ابن الجعد في مسنده (برقم ١٣١٠).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣: ٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نبذة موطئة ونقب مقتحم

الحمد لله بديع السموات والأرض، حبيبِ مَن أطاعه وتقرّب إليه بالنّفل والفَرْض، ونهى نفسَه عن الهوى وجَنَّبها أسبابَ الغَواية والحَرْض.

والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، لا يحيطُ بالثناء عليه مَديحٌ ولا قَرْض؛ وعلى آله وأصحابِه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الجزاء والعَرْض.

أما بعد،

فقد تناولَ الباحثون كُتبَ السيرة النبوية المطبوعة بالدرس والتفتيش خدمةً لموضوعات راهنةٍ وقضايا معاصرة، فوجدوا فيها المورد الصافي والمشرب الوافي، حتى أصبحت مدارَ البحث وفلَكَه في مختلِف الميادين وعلى صُعُدٍ شتى.

وأول ما يُوفِضون إليه عند نزول الخَطْب كتابُ «السيرة النبوية» لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار القرشي (ت١٥١هـ)، بتهذيب ورواية أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ)؛ لأنه أقدَم ما وصلنا من كتب السيرة النبوية العطرة، ولأنه محل عناية ورعاية وشرح واقتباس مِن قِبل كثير من العلماء، كأبي القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ)، وأبي ذر مصعب الخشني (ت٦٠٤هـ).

ثم أتى أوانُ كتابٍ آخر في السيرة النبوية، لم يشتهر كما اشتهر صِنْوه الأول، مع أنهما خَرَجا من مشكاة زمنية واحدة؛ ألا وهو كتاب «سيرة رسول الله ﷺ» لأبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري (ت١٤٣هـ).

وهو كتابٌ كان كلُّه في حيّز المفقود، إلى أن أنعم الله ـ فَضلاً منه وتوفيقاً ـ باكتشاف نسخة فريدة منه في خزانة دير الإسكوريال بالأندلس، وقد كانت منسوبةً في فهرس الخزانة المذكورة إلى مجهول، فنهضتُ مُسرعاً إلى إخراجه ليعم النفع به، وليكون نبراساً نبويّاً يستضيء به أُولو بقيّة من أهل الخير والعقل في هذا الزمان، ولقد صدق أستاذنا سعادة المستشار الدكتور فاروق حمادة حفظه الله حين قال: «في عالمنا المتصارع المتناحر، يسمع الناس بين الفينة والأخرى صدى أصوات رخيمة، تدعو الإنسانية إلى الوداعة والهدوء، وعدم الحيف وترك الظلم، كما تدعوهم إلى الرحمة والشفقة على الإنسان، فتُشِيد الإنسانية بهذه الأصوات، وتنعتها بأرفع النعوت، وتحليها بأعظم الألقاب، وتمنحها جوائز السلام، وتسلكها في سلك الخالدين العظام»(١).

ولا ريب أن أعظم ما تتجلى فيه ساحةُ الإسلام هو سيرة رسول الله ﷺ؛ ولذلك لم يَجز الاستغناء عنها كما قال محمد بنُ فتوح الحميدي الأندلسي (ت٤٨٨هـ) رحمه الله في مقدمة مختصره في السيرة النبوية: «هذا كتاب مختصر نذكر فيه إن شاء الله عز وجل نسَبَ الرسول المصطفى محمد، ومولده، ووفاته، ومبعثه، وما يتعلق بذلك... مما لا يستغني مسلمٌ له أدنى همة عن معرفته، والإشراف عليه، والاهتمام بتعليمه أصاغر أهل دينه عند استحكام فَهْمهم»(٢).

ومِن ثَم كانَ طيُّ صِفاحِ هذا الوضع في معاقدَ ثلاثة:

ـ المعقد الأول: التعريفُ بالمؤلِّف.

ـ المعقد الثاني: التعريف بالكتاب.

---

(١) «مصادر السيرة النبوية» (ص٢٣)، (الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق).

(٢) «بلغة المستعجل» للحميدي (ص٣١).

ـ المعقد الثالث: النص المحقق.

وعلى الله قصد السبيل، وهو ولي الهداية والتسهيل[1].

وكتب

رضوان بن صالح الحصري الرجراجي

أوائل جمادى الآخرة عام ١٤٤١هـ

(١) يسرني أن أشكر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض على نشره لهذا الكتاب، وعلى ملحوظاته وتصحيحاته التي استفدت منها أيما استفادة.

المعقد الأول

التعريف بالمؤلف[١]

عندما يكون العَلَمُ المرادُ ترجمته من جِلة التابعين، يعسر حصر ترجمته وتتبع سيرته؛ لاشتهار ذكره، وتفرُّق أخباره في مصادرَ كثيرة؛ ولذلك سيكون الاقتصارُ في هذا المبحث على ذِكر نُكَت مفيدة قاصدة دالة على مكانة الرجل وفضله.

أولاً: اسمه، ونسبه، وزواجه، ووفاته:

قال ابن قتيبة: «سليمـان التَّيمي: هو سليمـان بن طهمان، من موالي عمرو بن مُرة بن عباد بن ضبيعة، ويُكنى أبا المعتمر، ونُسِب إلى بني تيم؛ لأن منزله ومسجده فيهم.

---

(١) من مصادر ترجمته: «الطبقات الكبير» لابن سعد (٧: ٢٥٢)، كتاب «الطبقات» لخليفة (ص٣٧٦)، «التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ٢٠)، كتاب «الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٠)، «مشاهير علماء الأمصار» له (ص١٥١)، «التعديل والتجريح» للباجي (٣: ١١١٥)، «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٤١)، «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢: ٧٩٠)، «تهذيب الكمال» للمزي (١٢: ٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٩: ١٥٦)، «تذكرة الحفاظ» له (١: ١١٣)، «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (٦: ٧٠)، «مرآة الجنان» لليافعي (١: ٢٣٠).
ومن المراجع المهمة: «أبو المعتمر التيمي ومروياته في السيرة النبوية»، دراسة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ٢٠٠٢، إعداد عبدالعزيز العجلان، إشراف د. عبدالعزيز العمري. و«مغازي سليمان بن طرخان التيمي: جمع وترتيب ودراسة»، دراسة مقدمة لنيل الماجستير في السيرة النبوية من جامعة ابن زهر سنة ٢٠٠٧، إعداد عبدالعزيز خاطير، إشراف د. عبدالواحد الإدريسي.

وكانت بنت الفضل بن عيسى الرَّقاشيّ القاضي تحته[١]، فولدت له المعتمر بن سليمان، ويُكنى أبا محمد؛ هذا قول أبي اليقظان[٢].

وأخبرني البجلي[٣] أنه سليمان بن طرخان[٤]؛ قال: كان طرخان مكاتَبا لبني مرة، وكانت امرأة طرخان مكاتَبة لبني سليم، وكانت أعتقت قبل طرخان، وولدت سليمان وهي حرة، فصار سليمان مولى لبني سليم.

وتُوفِّي سليمان بالبصرة سنة ثلاث وأربعين ومئة[٥]، ووُلِد المعتمر بن سليمان سنة ست ومئة، وتُوفِّي سنة سبع وثمانين ومئة بالبصرة»[٦].

ثانياً: شيوخه وتلاميذه:

لا سبيل إلى استيعاب أو حصر شيوخ راوٍ فضلاً عن تلاميذه، وسببه انتشار

---

(١) قال الجاحظ: «كان الفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس، وكان متكلماً قاصّاً مُجيداً، وكان يجلس إليه عمرو بن عبيد، وهشام بن حسان، وأبان بن أبي عياش، وكثير من الفقهاء، وهو رئيس الفضيلة، وإليه يُنسَبون، وخطب إليه ابنتَه سوادة بنت الفضل سليمانُ بن طرخان التيمي، فزوّجه فولدت له المعتمر بن سليمان، وكان سليمان مبايناً للفضل في المقالة، فلما ماتت سوادة شهد الجنازةَ المعتمر وأبوه، فقدّما الفضل». «البيان والتبين» (١: ٢٥٢).

(٢) النسابة أبو اليقظان عامر بن حفص الملقب بسُحيم (ت١٩٠هـ).

(٣) أبان بن عثمان البجلي، أبو عبد الله المعروف بالأحمر، عالم بالأخبار والأنساب.

(٤) وهو الصواب، وطرخان: بفتح الطاء على الصحيح، قال أبو علي الجياني: «طرخان بكسر الطاء المهملة، ويقال: بضمها، وخاء معجمة... قال لنا أبو الوليد (الباجي): الطرخان بلغة خراسان: الرجل الشريف، وقاله لنا بالضم». «تقييد المهمل وتمييز المشكل» (٢: ٣٣٥).

(٥) هذا هو المشهور في وفاته، ومنهم من أرّخها بسنة أربع وأربعين ومئة، كابن منده. انظر كتاب «المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة» (٣: ٣٤٥)، وكان له من العمر ٧٧ سنة، كتاب «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد» لأبي نصر الكلاباذي (١: ٣١٠).

(٦) كتاب «المعارف» (ص٤٧٦).

الروايات وكثرتها وتشعُّبها وسَعتها[١]؛ مِن أجل ذلك يُكتفى هنا بما اختاره أبو نعيم الأصبهاني من الشيوخ والتلاميذ عند ترجمته لابن طرخان في كتابه المنير: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، حيث قال رحمه الله: «أسند سليمانُ التيمي عن أنس الكبير[٢]، وعن أبي عثمان النَّهدي[٣]، وعن أبي مِجلَز[٤]، وأبي نضرة[٥]، والحسن[٦]، وابن سيرين[٧]، وأبي العاليـة[٨]، وأبي قِلابة[٩]، وعن أبي العلاء بن الشِّخِّير[١٠]، وغيرهم من التابعين»[١١].

وهؤلاء الشيوخ كلهم من أهل البصرة بلد المؤلف.

ولما روى أبو نعيم حديث «مَن كذب علَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» من طريق ابن طرخان عن أنس رضي الله عنه؛ قال عقبه: «حديث صحيح؛ رواه عن سليمان من الأئمة والأعلام جماعةٌ؛ منهم: شعبة[١٢]، وزُهير[١٣]، وعَبْثَر[١٤]،

---

(١) «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١: ٤).

(٢) هو أنس بن مالك الصحابي رضي الله عنه.

(٣) أبو عثمان عبد الرحمن بن ملٍّ ـ وقيل: ابن ملي ـ بن عمرو بن عدي البصري، مخضرم، معمَّر، أدرك الجاهلية والإسلام.

(٤) لاحق بن حميد بن سعيد، أبو مجلز، البصري الأعور.

(٥) أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة، الإمام المحدِّث الثقة، العبدي ثم العوقي، البصري.

(٦) الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصري.

(٧) الإمام أبو بكر محمد بن سيرين البصري.

(٨) أبو العالية رُفَيْع بن مِهْران الرِّياحي البصري.

(٩) أبو قِلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري.

(١٠) يزيد بن عبد الله بن الشخير، أبو العلاء العامري البصري.

(١١) «حلية الأولياء» (٣: ٣٣).

(١٢) أبو بِسْطام شعبةُ بْنُ الحَجَّاج بن الورد البصري.

(١٣) أبو خيثمة زهير بن معاوية بن حديج بن الرحيل الجعفي الكوفي.

(١٤) عَبْثَر بن القاسِم أبو زبيد الزبيدِيّ الكُوفِي.

والقاسم بن معْن[١]، ومنصور بن أبي الأسود[٢]، وعيسى بن يونس[٣]، وجرير[٤]، وهُشيم[٥]، ويحيى القطان[٦]، وابن عُلية[٧]، والمعتمر[٨]، وأبو خالد الأحمر[٩] في آخرين»[١٠].

ثالثاً: مناقبه:

لسليمانَ بنِ طرخان رحمه الله مناقبُ جليلةٌ، وفضائل شهيرة، تزينت ببهائها وفَوْح عبيرها كتبُ التاريخ والتراجم والأخبار، وهذا قَبَسٌ من ذلك:

قال حماد بن سلمة: «ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعة صلاةٍ وجدناه مصلياً، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً، أو عائداً مريضاً، أو مشيّعاً لجنازة، أو قاعداً في المسجد، قال: فكنا نرى أنه لا يحسِن يعصي الله عز وجل»[١١].

وقال شعبة: «لم أر أحداً قطُّ أصدق من سليمان التيمي، وكان إذا حدّث الحديث، فرفعه إلى النبي ﷺ، تغيَّر وجهه»[١٢].

(١) أبو عبد الله القاسم بن معْن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي.
(٢) منصور بن أبي الأسود الليثي الكوفي، كان تاجراً كثير الحديث.
(٣) أبو محمد عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي الكوفي.
(٤) جرير بن حازم، أبو النضر الأزدي ثم العتكي، البصري.
(٥) هشيم بن بشير أبو معاوية، السلمي الواسطي.
(٦) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد البصري.
(٧) أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي البصري، اشتهر بابن عُلَية، وهي أمه.
(٨) المعتمر بن سليمان البصري، وَلَدُ المؤلِّف.
(٩) أبو خالد الأحمر سليمان بن حيان الأزدي الكوفي.
(١٠) «حلية الأولياء» (٣: ٣٣).
(١١) رواه ابن الجعد في «مسنده» رقم: (١٣١٠).
(١٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣١).

رابعاً: توبته من بدعة القدرية:

زُنَّ ابن طرخان في أول الأمر ببدعة القدَرية، كما نَصَّ على ذلك جَمعٌ، منهم أبو القاسم بن مندة؛ فإنه قال في ترجمته: «كان مولىً لبني مُرة، ينزل فيهم، فلما تكلم بأشياء في القدَر أخرجوه، فقبِله بنو تيم وقدَّموه، فصار إمامهم»[١].

لكنه تاب وأناب، كما تواترت بذلك الأخبار عنه، وهذه أمثلة منها:

قال ابن طرخان: «إذا رأيتموني قد تغيَّر رأيي في تحريم النّبيذ وإثباتِ القدَر، فاعلموا أنه قَد عرض لي»[٢].

وقال أيضاً: «إني أُصلي خلف صاحبِ السيف، ولا أصلي خلف القدَري؛ لأن أصحاب السيف مخلِصون»[٣].

وقال أيضاً: «أما والله لو كُشف الغطاء لَعَلِمَت القدريةُ أن الله ليس بظَلام للعبيد»[٤].

وقال سعيد بن عامر: «مرض سليمان التيمي، فبكى في مرضه بكاءً شديداً، فقيل له: ما يُبكِيك؟ أتجزع من الموت؟ قال: لا، ولكن مررت على قدَريٍّ فسلمت عليه، فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه»[٥].

* * *

(١) كتاب «المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة» (٣: ٣٤٥).
(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣٣).
(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣٣).
(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣٣).
(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣٢).

المعقد الثاني

التعريف بالكتاب[1]

أولاً: موضوعه وعنوانه:

كتاب «سيرة رسول الله ﷺ» لابن طرخان عَرّف به غير واحد من المعتنين بالسيرة النبوية العطرة، وعميدُهم في ذلك أستاذنا الدكتور العلامة فاروق حمادة؛ فقد قال حفظه الله: «ومن المقتبسات يتبين أن هذا الكتاب فيه أخبار بَدْء الوحي، وأخبار المغازي، ويذكر ذلك أحياناً بالأسانيد، وأحياناً يُرسل ذلك إرسالاً، فهو موافِق للخط العام في كتابة السير... ويبدو ـ والله أعلم ـ أن هذه المغازي أو السيرة كانت صغيرةً محدودةً، ليس فيها توسع كثير في ذكر الأحداث وسياقها»[2].

وقد كان هذا التعريفُ ـ وغيرُه مثلُه ـ قائماً على بقيٍّ من النقول عن الكتاب، لكنه مع ذلك وافٍ بالغرض، إلا أنه لم يُصِب المحزَّ في كون أحداث السيرة مرويةً أحياناً بالأسانيد، ولا عَتْب في ذلك؛ فإن أكثر الناس لم يقف على الكتاب كاملاً.

نعـمْ روى ابن طرخان بعضَ أحداث السيرة النبوية بإسناده إلى مَن ذكرها، لكنها مختصرة وغير موجودة في كتابنا هذا؛ لأنها لم تخرج مخرج السرد والحكاية، وإنما هي بمثابة الأحاديث النبوية التي كان لابن طرخان نصيب في روايتها.

---

(١) هذا الكتاب مما فات المستشرقَ يوسف هوروفنتس ذكره في كتابه «المغازي الأولى ومؤلفوها»، كما نبّه على ذلك مترجمه د. حسين نصار في مقدمته (ص١٤).

(٢) «أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة» (ص٢٣)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ونحوه في «مصادر السيرة النبوية» (ص٩٩).

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١ـ روى أبو عبد الله بن مندة من طريق محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، حدثنا أبو عثمان، عن زهير بن عمرو، وقبيصة، أنهما قالا: أُنزِلَ على نبي الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فحدثنا عن النبي ﷺ أنه علا صخرةً من جبل، فَعلا أعلاها حجراً، ثم قال: «يا بني عبد مناف، يا صباحاه، إني نذير، إني نذير، إن مَثَلي ومثلكم مثل رجل رأى الجيش فخشيهم على أهله، فذهب يرتادهم، فخشي أن يسبقوه إلى أهله، فجعل يهتف: يا صباحاه»(١).

هذا الحديث لا يُوجَد في كتابنا، وإن كان له علاقة بالسيرة النبوية كما هو ظاهر.

٢ـ قال النَّسائي في «السنن الكبرى»: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، عن معتمر، عن أبيه، أنه حدثه رجل، عن أبي السوار، يحدثه عن جندب بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ أنه بعث رهطاً، فبعث عليهم أبا عبيدة، فلما أخذ لينطلق، لكنه بكى صَبابةً إلى رسول الله ﷺ، فبعث رجلاً مكانه يقال له: عبد الله بن جحش، وكتب كتاباً، وأمره أن يتوجه وجهاً، وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك، فلما قرأ الكتاب استرجع، ثم قال: سمعاً وطاعةً لله ورسوله، فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلانِ، ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم من رجب أم من جمادى الآخرة، فقال المشركون للمسلمين: فعلتم وفعلتم كذا وكذا في الشهر الحرام! فأتوا النبي ﷺ فحدثوه الحديث، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة. ٢١٧] الشرك(٢).

---

(١) كتاب «الإيمان» لابن مندة، ذكر وجوب الإيمان برؤية الله عز وجل، رقم: (٩٥٥)، (٢: ٨٨٦).
(٢) «السنن الكبرى»، كتاب السير، باب البكاء عند التشييع، رقم: (٨٧٥٢).

هذه القصة رواها النَّسائي مِن طريق ابن طرخان بإسناده إلى جندب رضي الله عنه، وقد وردت في كتابنا بسياق مختلف ومفصل من غير إسناد؛ ونص بعضها:

وبعث رهطاً ستةً، وأمَّر عليهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعقد له لواءه، فلما ذهب ليودع رسول الله ﷺ فاضت عيناه من فراقه، فحبَسه رسول الله ﷺ، وبعث مكانه عبد الله بن جحش الأسدي، وكتب له كتاباً فيه أمره الذي أمره به، وأمره أن لا يقرأ الكتاب ليلتَين ثم يقرأ الكتاب، وأمره أن يتوجه تلقاءَ مكة، فتوجه قِبلها، فلما سار ليلتَين قرأ الكتاب، فإذا فيه: أن سِرْ إلى نَخْلة على اسم الله وبركته، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك، وامضِ لأمري فيمن اتبعك منهم حتى تقدم بطْن نخلة، فترصد بها عيرات قريشٍ، فلما اقترأ عبد الله الكتابَ استرجع، وأتبع استرجاعه سمعاً وطاعةً لله وللرسول، ثم قال لهم: مَن شاء منكم أن يسير معي فلْيَسر، ومن أحب أن يرجع فليرجع؛ فإني ماض لأمر رسول الله ﷺ[1].

٣ـ قال ابن المنذر: حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن السميط، عن أنس، قال: افتتحنا مكة، ثم إنا غزونا، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصف الخيل، ثم صفَّ المقاتلة، ثم صف النساء من وراء ذلك، ثم صفَّ الغنم، ثم صف النَّعَم، قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف، وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد، فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا، فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرَّت الأعراب، ومن تعلم من الناس، فنادى رسول الله ﷺ: «يا لَلْمهاجرين، يا لَلْمهاجرين»، ثم قال: «يا لَلْأنصار، يا لَلْأنصار»، قال: فايمُ الله، ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال، ثم انطلقنا إلى الطائف، فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا

---

(١) النص المحقق.

فنزلنا، فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المئةَ، ويعطي الرجل المئةَ، وذكر باقي الحديث(١).

هذه القصة رواها ابن المنذر من طريق ابن طرخان بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا وجود لها بهذا السياق في كتابنا، نعمْ ذُكرت فيه بسياق أدقَّ تفصيلاً في غزوة حُنين والطائف.

٤ـ قال الحاكم النيسابوري: أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا الحسين بن علي بن عبد الصمد البزاز الفارسي، حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر ابن سليمان، عن أبيه، عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان آخر ما تكلم به: «جلال ربي الرفيع فقد بلَّغت». ثم قضى ﷺ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، إلا أن هذا الفارسي واهمٌ فيه على محمد بن عبد الأعلى(٢).

حديث نبينا ﷺ هذا موجود في كتابنا ضمن سياق طويل لقصة وفاته عليه الصلاة والسلام، لكن لم يروه فيه ابن طرخان عن أنس رضي الله عنه.

فدلَّ كل ذلك على أن ابن طرخان رحمه الله لم يتحرَّ سياق أحداث السيرة في كتابه بأسانيدها، وقد يروي بعضها بأسانيدها خارجه(٣).

---

(١) كتاب «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف»، رقم: (٦٥٩٣).

(٢) كتاب «المستدرك على الصحيحين»، كتاب المغازي، رقم: (٤٣٨٧)، وقول الحاكم رحمه الله: «إلا أن هذا الفارسي واهمٌ فيه على محمد بن عبد الأعلى» ليس في مَحَله؛ لأن الحسين ابن علي الفارسي متابَع في رواية الحديث عن محمد بن عبد الأعلى، تابعه إبراهيم الزبيبي، وهي رواية كتابنا.

(٣) وعلى هذا يبطل ما قاله د. حسين نصار في «نشأة التدوين التاريخي عند العرب» (٦٩، منشورات اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ) عند ذكره لابن طرخان: «ولكن الطبري يذكر له خبرَين عن خلق آدم، وعن حرْق إبراهيم، ثم لا يذكر له شيئاً في حياة الرسول، =

وهي جادة مطروقة عند الأولين، وقد نص بعضهم على ذلك، كأبي العباس عبد الله ابن المعتز البغدادي (ت٢٤٧هـ)، قال في مقدمة كتابه في «الأدب»: «وقد أسقطنا من كتابنا هذا أسانيد الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أصحابه؛ إذ كان ذلك من التكثير، ولم نذكر إلا حديثاً مشهوراً»[١].

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: «وكلُّ ما أذكر لك مِن قولٍ سَلَفَ في شيء من كتاب الله سبحانه وأُثِر عن رسول الله ﷺ؛ فإني أقتصر على متون الأحاديث دون إسنادها رغبةً في الاختصار، ولأن ما أذكر من ذلك فَكُلُّه مرويّ عندي ومشهور في أمر الدّين، وبالله على كل خير أستعين، وصلى الله على محمد وآله وسلم»[٢].

وأما عنوانُه فبعضهم ذكره ـ كما سيأتي في المبحث بعد هذا ـ باسم: «مغازي سليمان التيمي»، وبعضهم باسم: «سِيَر سليمان التيمي»، واخترتُ العنوانَ الذي وَسَمه به ابنُ خير الإشبيلي، وهو: كتابُ «سيرة رسول الله ﷺ»؛ لأنه أجمع، ومعلومٌ أن العادة محكّمة في تسمية كتب السيرة النبوية بالمغازي.

= وإنما يرجع إليه ثانيةً في عهد عثمان، حيث يروي بعض ما حدث في الفتنة، ولا ندري لهذا سبباً أكان الطبري غير واثق بمغازيه، أم لم تصل إليه، أم لم يؤلّف سليمان مغازيَ، وهذه المغازي التي بين أيدينا محمولة عليه؟» قلت: ما رواه الطبري عن ابن طرخان شيء آخر لا علاقة له بسيرته، ولم ينقل الطبري شيئاً من «سيرة ابن طرخان» في كتبه، فمحاولة التشكيك هذه سرابٌ بِقيعة لا تساوي فَلْساً، كما سيأتي نظيره، وقلده في ذلك دون حجةٍ أمين مدني في كتابه «التاريخ العربي ومصادره» (ص٤٣٣).

(١) «البديع» (ص٢)، عُنِي بنشره: إغناطيوس كراتشقوفسكي، مكتبة المثنى ببغداد تصويراً عن الطبعة الأولى، سنة ١٩٣٥م.

(٢) «كتاب ابن أبي زيد القيرواني إلى أهل المغرب الأقصى في أمر الدماء وتعصب القبائل» (ص١) مخ.

ثانياً: شاهد نسبته إلى المؤلف:

لا ريبَ يغتمضُ صحةَ نسبة كتاب «سيرة رسول الله ﷺ» إلى سليمان بن طرخان، والدليل على ذلك هذه الشواهدُ[١]:

١ـ ذكره محمد بن أحمد بن محمد المالكي الأندلسي في الجزء الذي جمعه في تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دِمشقَ من الكتب التي رواها، والأجزاء التي سمعها، فقال وهو يُعَدِّد كتبَ المغازي: «مغازي سليمان التيمي»[٢].

٢ـ رواه أبو القاسم عبد الرحمن بن مندة الأصبهاني (ت٤٧٠هـ)، فقال: أخبرنا زاهر بن أحمد فيما كَتَب إلينا، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الزَّبيبي، حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، حدثني أبي في كتابِ «السِّير»[٣].

٣ـ رواهُ ابنُ خير الإشبيلي في «فهرسته» بالإسناد المتصل إلى المؤلف، وهذا نصه: «كتابُ «سيرة رسول الله ﷺ» تأليف أبي المعتمر سليمان بن طرخان... حدثني به شيخنا الخطيب أبو الحسن شُرَيح بن محمد بن شُريح المقرئ رحمه الله ـ قراءةً مني عليه غير مرة، وسماعاً عليه أيضاً أخرى ـ قال: حدثني بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى بن مَنْظور رحمه الله، سماعاً عليه في رمضان

---

(١) هذه الشواهد وغيرها ترد ما قاله د. حسين نصار في «نشأة التدوين التاريخي عند العرب» (ص٦٩) عند ذكره لابن طرخان: «ولم تذكر المراجع القديمة التي بين أيدينا أنه ألَّف كتباً».

(٢) «جزء فيه تسمية ما ورد به الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي دمشق من الكتب من روايته من الأجزاء المسموعة والكبار المصنفة وما جرى مجراها سوى الفوائد والأمالي والمنثور»، لمحمد بن أحمد بن محمد المالكي الأندلسي (ص٢، مخطوط المكتبة الظاهرية).

(٣) كتاب «المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة» (١: ١٣١).

سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، قال: أخبرنا أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي ـ قراءةً عليه وأنا أسمع بمكة حرَسها الله جل جلاله، في المسجد الحرام عند باب الندوة سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة ـ قال: أخبرنا أبو علي زاهر[١] بن أحمد بن أبي بكر بن أبي موسى السرَخسي الفقيه بسَرَخس ـ قراءةً عليه فأقرّ به سلخَ شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، والإسناد لفظه ـ قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله بن محمد الزَّبِيبي[٢] العسكري بها ـ قرأت عليه في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاث مئة ـ قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان بن طرخان، قال: حدثني أبي رحمه الله»[٣].

وهذا تعريف مختصر برجال هذا الإسناد:

ـ المعتمر بن سليمان بن طرخان، أبو محمد البصري، ثقة صدوق، روى له الجماعة، مات سنة ١٨٧هـ[٤].

ـ محمد بن عبد الأعلى الصنعاني القيسي، أبو عبد الله البصري، ثقة، مات بالبصرة سنة ٢٤٥هـ[٥].

ـ إبراهيم بن عبد الله بن محمد، أبو إسحاق العسكري الزَّبِيبي[٦]، المحدِّث، كان حيّاً عام ٣١٨هـ[٧].

---

(١) في الأصل: «زاهد»، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: «الدبيسي»، وهو تصحيف.

(٣) «فهرسة ابن خير الإشبيلي» (ص٢٨٧).

(٤) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٨: ٢٥٠).

(٥) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٥: ٥٨١).

(٦) نسبةً إلى بيع الزَّبيب، كما قال ابن حجر في «تبصير المنتبه» (٢: ٦٦٩)، وقد تصحف في بعض المصادر إلى: الزَّيْنَبِي.

(٧) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٧: ٣٨١).

ـ زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو علي السَرَخسي، الفقيه المقرئ المحدِّث، مات سنة **٣٨٩هـ**[1].

ـ عبد بن أحمد بن محمد، أبو ذر الهروي، الحافظ، تُوفِّي سنة **٤٣٤هـ**[2]، وقد تابعه ـ كما تقدم ـ أبو القاسم بن مندة في رواية الكتاب عن زاهر بن أحمد.

ـ محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن منظور، القيسي، أبو عبد الله الإشبيلي، رحل من إشبيلية إلى المشرق في شعبان سنة ثمان وعشرين وأربع مئة، ولقي بمكة أبا ذر الهروي[3]، كان من أفاضل الناس، حسَن الضبط، جيِّد التقييد للحديث، تُوفِّي بإشبيلية سنة **٤٦٩هـ**[4]، وهو الذي أدخل هذا الكتاب إلى الأندلس.

ـ شريح بن محمد بن شريح، الرعيني، أبو الحسن الإشبيلي، كان من جلة المقرئين، معدوداً في الأدباء والمحدّثين، مات بإشبيلية سنة **٥٣٩هـ**[5].

ثالثاً: أهمية الكتاب والنقول عنه[6]:

استفاد من سيرة ابن طرخان رحمه الله الجمّاء الغفير من

(١) «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» لابن نقطة (ص٢٧١، رقم: ٣٣٥)، وقد تابع زاهراً في رواية «سيرة ابن طرخان» عن إبراهيم الزَّبيبي: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين البغدادي (ت٣٨٥هـ)، كما سيأتي.

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧: ٣٩٠).

(٣) روى ابن منظور عن أبي ذر كتاب «المعجم» له، يعني معجم شيوخه، وكتاب «مناسك الحج» له، وكتاب «مسانيد الموطأ» له، وكتاب «السنة» له أيضاً، وروى عنه «صحيح البخاري»، و«تصحيف المحدِّثين» للدارقطني، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» له أيضاً، وعن ابن منظور روى أبو الحسن شريح هذه الكتب جميعاً. انظر: «فهرسة ابن خير» (ص٧٧ - ٨٢ - ١٧٣ - ١٧٨ - ٢١٦ - ٢٢٥).

(٤) كتاب «الصلة» لابن بشكوال (ص٥١٩).

(٥) كتاب «الصلة» لابن بشكوال (ص٢٣٠).

(٦) حرَصت على ذكر النقل كما هو من الكتب التي نقلت من هذا الكتاب، بالنظر إلى اختلاف =

العلماء[1]، وأقدمُ مَن رأيته نقلَ منها:

١ـ أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)؛ فإنه روى في كتابه «دلائل النبوة» حديث هجرة الصحابة إلى الحبشة من حِكاية عروة بن الزبير، ثم قال: حدثنا خالد بن النضر القرشي[2]، حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، نحو حديث عروة بن الزبير، وزاد فيه قال: وقال النجاشي لجعفر بن أبي طالب وأصحابه: مرحباً بكم وأهلاً، لكم عندي الذي يسرُّكم، ويصلحكم من النُّزل والرزق... إلى آخر القصة[3].

وممن أفاد أيضاً من سيرة ابن طرخان:

ـ أبو سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ) في كتابه «غريب الحديث»، وهذه هي

= رواياته، وقد تتبعت هذه النقول أين ما وُجِدت، وجمعتها هنا على طولها؛ لتكون هذه المقدمة جامعةً لنصوص الكتاب باختلاف رواياته، وفي ذلك مقصد نبيل لمن تأمَّله.

(١) هذا يفنّد ما قاله د. حسين نصار في «تاريخ التدوين التاريخي عند العرب» (ص٧٠- ٧١) عند ذكر سيرة ابن طرخان: «أما المؤلفون الآخرون فلا يُعْنَون بذكر رواياته على الرغم من اهتمامهم بسرْد غيرها من الروايات الكثيرة، ولا ندري ما سبب هذا الإهمال، إلا أن هناك ظنّاً يخامرنا؛ وهو أن كثيراً من أخباره كان يصوِّر المسلمين صوراً لا ترضيهم، أو لا ترضي بعضهم». ومع الأسف فقد تبع حسين نصار بعض المستشرقين في هذا الحكم، وزاد عليه أن «سيرة ابن طرخان» من وضع العباسيين؛ لأن فيها أخباراً عن العباس لا تُوجَد عند المؤرخين الآخرين، وتلك شكاة ظاهرٌ عنه عارُها، على أنه حاول التملص من هذا الوصم الذي لا دليل عليه ولا حُجة تعضده بقوله بعد ذلك: «ولكننا بعد كل ذلك نحب أن نشير إلى أن سليمان بن طرخان من المشهود لهم بالعدالة والفضل».

(٢) أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو بن النضر القرشي، وثَّقه الدارقطني، وقد تابعَ إبراهيمَ الزّبيبي في رواية «سيرة ابن طرخان» عن محمد بن عبد الأعلى، وسيأتي متابع ثالثٌ لهما، وهو: الحسين بن علي بن عبد الصمد الفارسي.

(٣) «دلائل النبوة» للطبراني، نقلاً عن «دلائل النبوة» لقوام السنة الأصبهاني (ص١٠٢).

المواضع التي نقل فيها عن الكتاب:

ـ قال أبو سليمان في حديث النبي ﷺ: أنه بعث عثمان بن عفان رسولاً إلى أهل مكة، فنزل على أبي سفيان بن حرب، وبلغه رسالته، فقال أهل مكة لأبي سفيان: ما أتاك به ابن عمك؟ قال: أتاني بِشرٍّ؛ سألني أن أخَلي مكة لجعاسيس أهل يثرب(١).

يرويه محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، عن معتمر بن سليمان التيمي، عن أبيه.

الجَعاسيس: اللئام، واحدهم جُعْسوس(٢).

ـ قال أبو سليمان في حديث النبي ﷺ: أنه كان يعرض نفسه على أحياء العرب في المواسم، فأتى بني عامر بن صعصعة، فردوا عليه جميلاً وقبِلوه، ثم أتاهم رجل من بني قشير فقال لهم: بئس ما صنعتم؛ عمدتم إلى دَحِيقِ قومٍ فأجرتموه، لَتَرْمينكم العرب عن قوس واحدة، فقالوا: يا محمد، اعمِدْ لِطِيَّتِك، وأصلِح قومك؛ فلا حاجة لنا فيك(٣).

يرويه محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، عن معتمر بن سليمان، عن أبيه.

الدَّحيق: الطريد المقصى، وقولهم: «اعمِدْ لِطِيَّتِك»، معناه: امضِ لقصْدك، يقال: مضى لطِيَّته، أي: لِنِيته ووِجهته، وقد بعُدت عنّا طِيَّتُه(٤).

ـ قال أبو سليمان في حديث النبي ﷺ: أن المشركين لما بلغهم خروج أصحاب رسول الله إلى بدر يرصدون العير، قالوا: اخرجوا إلى معايشكم وحرائثكم(٥).

---

(١) النص المحقق.

(٢) «غريب الحديث» (١: ٤٠٦).

(٣) سياقه في النص المحقق أتم مما ذكره الخطابي.

(٤) «غريب الحديث» (١: ٤٥٩).

(٥) سياقه في النص المحقق أتم مما ذكره الخطابي، وفيه بدل حرائثكم: «حرائبكم»، وهو الأشبه، كما نبّه عليه الخطابي رحمه الله؛ لأنه رواه من طريق يعقوب بن زهير عن محمد بن عبد الأعلى، والنص المحقق من رواية أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيبي عن محمد بن عبد الأعلى.

يرويه محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، هكذا حُدِّثت به، عن يعقوب بن زهير، عنه.

الحرائثُ: أنْضاء الإبل، واحدتُها حَريثة، وأصله في الخيل إذا هزلت... وقد تكون الحرائث يُراد بها المكاسب والمتاجر، والاحتراث اكتساب المال.

وبعضهم يرويه: «إلى حرائبكم»، جمع حَرِيبة، وحَرِيبة الرجل: مالُه الذي يعيش به؛ وهذا أشبه، والله أعلم[١].

ـ قال أبو سليمان في حديث النبي ﷺ في قصة حُنين: أنهم خرجوا بدُريد بن الصّمة يَتَبَهَّنُون به[٢].

يرويه محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، هكذا حدثنيه الراوي له، عن يعقوب بن زهير، عنه، وأحسبه غلطاً؛ إنما هو فيما أحسبه: «يَتَبَهْنَسُون به»، والتَّبَهْنُس: كالتبختر في المشي، يُراد أنهم كانوا يقودون به راحلته على رود ومَهَل، فيحكون سيرة المتبختر، ويشبه أن يكون الكاتب قد مَشَق السين مِن «يتبهنسون» فتوهمه الراوي «يتبهنون»[٣].

وهذه نماذج أخرى من النقول عن الكتاب مرتبة على حسب سِني وفيات الناقلين، أوردتها كما هي على طولها؛ لِما سبق التنويه به آنفاً، ولأجل تصحيح ما ورد في بعضها من تصحيف وتحريف:

١ـ روى أبو نُعَيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ) في «الدلائل» من طريق أبي يَزيدَ خالد

---

(١) «غريب الحديث» (١: ٥٥٥).

(٢) النص المحقق، وفيه: ودريد بن الصمة الجشمي، وهو في هودج، خرجوا يتيمنون به، وأظنه الصواب.

(٣) «غريب الحديث» (١: ٣٣٢).

ابن النضر القرشي، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا معتمر ابن سليمان، عن أبيه قال: لما أخذت قريشٌ في بناء الكعبة فانتهوا إلى وضع الحجر الأسود[١]... القصة بتمامها، وهي موجودة في هذا الكتاب.

٢ـ روى البيهقي (ت٤٥٨هـ) من طريق الحسين بن علي بن عبد الصمد الفارسي، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي، عن أبيه، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر بعث سرايا وأقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة، ثم نادى في الناس: أن تجهَّزوا في العمرة، فتجهز الناس مع رسول الله ﷺ، فخرجوا إلى مكة[٢].

٣ـ روى ابن عساكر (ت٥٧١هـ) في «تاريخ دمشق» من طريق خالد بن النضر القرشي، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا أبي، قال: وذكر كعب بن مالك قرب الحارث ـ يعني ابن أبي ضرار ـ في غزوة بني المصطلق وغرة[٣] أصحاب نبي الله ﷺ، فامتنع منه النوم[٤]، فأتى رسول الله ﷺ، فقام على رأسه بالسيف حتى أصبح، فلما استيقظ رسول الله ﷺ إذا هو بكعب قائماً[٥] على رأسه بالسيف، قال: «ما لك يا كعب؟» قال: ذكرت الحارث بن أبي ضرار وقربه منك وغرتك[٦] يا نبي الله، وغرة[٧] أصحابك، فامتنع مني النوم[٨]، فقمت إليك أحرسك، فقال له النبي ﷺ معروفاً[٩].

---

(١) «دلائل النبوة»، رقم: (١١٤)، (١: ١٧٦).

(٢) «دلائل النبوة»، (١: ١٧٦).

(٣) في «تاريخ دمشق»: «وعدة»، وهو تصحيف.

(٤) في «تاريخ دمشق»: «القوم»، وهو تصحيف.

(٥) في «تاريخ دمشق»: «قائم».

(٦) في «تاريخ دمشق»: «وعزتك»، وهو تصحيف.

(٧) في «تاريخ دمشق»: «وعزة»، وهو تصحيف.

(٨) في «تاريخ دمشق»: «القوم»، وهو تصحيف.

(٩) «تاريخ دمشق» (٥٠: ١٩٠).

وهناك مواضع أخرى نقل منها ابنُ عساكر من كتابنا، إلا أن أكثرها من طريق خالد بن النضر القرشي، عن محمد بن عبدالأعلى، به.

وقد روى ابن عساكر أيضاً «سيرة ابن طرخان» من طريق إبراهيم الزَّبيبي، عن محمد ابن عبدالأعلى، به، وهي الرواية التي وردت في هذا الكتاب، وذلك في موضعَين:

ـ فأما الأول فقد روى فيه من طريق أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان[١]، قال: حدثنا إبراهيم بنُ عبدالله الزَّبيبي بعسكر مُكْرَم ـ قُرِئ عليه الإسناد وبعضُ المتن وأنا أسمع، وأجاز لنا باقيَ الحديث ـ: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا المعتمر بن سليمان، حدثني أبي، قال: بلغنا عن حديث رسول الله ﷺ أن الله بعث محمداً رسولاً على رأس خمس سنين من بناء الكعبة[٢].

ـ وأما الموضع الثاني فقد نقل منه نصّاً طويلاً في دفاع أبي طالب عن النبي ﷺ، ثم نَقل النصَّ نفسَه من «سيرة ابن طرخان» برواية خالد بن النضر القرشي، فكأنه بذلك يقارن بين الروايتَين في سياق النص الواحد.

قال ابن عساكر: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال، حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان، حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن محمد الزَّبيبي ـ قُرِئ عليه الإسناد وبعض المتن وأنا أسمع، وأجاز لنا باقي الحديث ـ قال: حدثنا محمد بن عبدالأعلى الصنعاني، حدثنا المعتمر بن سليمان، حدثني أبي، قال: فازداد البلاء من قِبل قريش على النبي ﷺ، فائتمروا بينهم أن يكلموا أبا طالب في ابن أخيه، فإن فعل، وإلا تعاقدوا على عقد أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يدفعوه إليهم[٣].

---

(١) هو ابن شاهين، كما تقدم ذكره. (٢) «تاريخ دمشق» (٦٦: ١٧).

(٣) «تاريخ دمشق» (٦٦: ٣١٦)، مع تصحيح أخطاء وقعت فيه.

ثم قال: أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن، أخبرنا محمد بن علي بن أحمد ابن إبراهيم، أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن خشنام المالكي، حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر القرشي، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا أبي قال: وأراد الملأ من قريش قتْلَ رسولِ الله ﷺ، فائتمروا بينهم أن يكلموا أبا طالب في ابن أخيه، فإن فعل، وإلا تعاقدوا أن لا ينكحوهم ولا يبايعوهم حتى يدفعوا إليهم على عقد[1].

٤ـ استفاد أيضاً أبو زيد السُّهيلي (ت٥٨١هـ) مِن سيرة ابن طرخان في كتابه «الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام»، وهذه بعض المواضع التي أفاد فيها من الكتاب:

ـ قال السهيلي: وخديجة بنت خويلد تُسمى الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وَفِي «سِيَر التَّيْمي» أنها كانت تُسمى سيدة نساء قريش[2].

ـ قال السهيلي: وذكر ابنُ إسحاق إرسالَ قريش النضرَ بنَ الحارث وعقبةَ بن أبي مُعيط إلى يهود، وما رجعا به من عندهم مِن الفصل بينهم وبين النبي ﷺ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التي قالت اليهود: إن أخبركم بها فهو نبي، وإلا فهو متقوِّل، فقال لهم: «سأخبركم غداً»، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عنه الوحي في قول ابنِ إسحاق خمسة عشر يوماً، وفي «سِيَر التَّيْمِي» وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاء جبريل بسورة الكهف[3].

ـ قال السهيلي: وذكرَ موسى بن عقبة زيادةً في الحديث حين أغْرَوا به سفهاءهم،

---

(١) «تاريخ دمشق» (٦٦: ٣١٧)، مع تصحيح أخطاء وقعت فيه.

(٢) «الروض الأنف» (٢: ١٥٧). (٣) «الروض الأنف» (٣: ٧٥).

قال: وكان يمشي بين سِماطَين منهم، فكلما نقل قدَماً، رجموا عراقيبه بالحجارة، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وذَكَرَ التَّيْمِي كما ذكر ابن عقبة، وزاد قال: كان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، حتى انتهى إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحاق من حائط عتبة وشيبة[١].

هذه نماذج من الأنقال عن الكتاب. وأما أهميته فيمكن تلخيصها في النّكت الجائية:

ـ أن في «سيرة ابن طرخان» زوائدَ وفوائدَ وفرائدَ لا تُوجَد في غيرها[٢]، بل ربما تكون أحداثها أتم سياقاً وأحسن قصصاً، كما قد يدل على ذلك هذه الشواهد:

قال المقريزي: ورواه من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير، ومن طريق محمد بن عبد الأعلى، عن معتمر بن سليمان، عن أبيه بأتم من روايتَي عروة وموسى بن عقبة وأحسن، فقد اختلفت الروايات في نزول أول سورة من القرآن على النبي ﷺ[٣].

قال السهيلي: وفي «سير موسى بن عقبة»، و«سير سليمان بن المعتمر»[٤]

---

(١) «الروض الأنف» (٤: ٢٥).

(٢) هذا ما ظفَرت به مما صرَّح العلماء المؤلفون في السيرة النبوية بأنه من مفاريد هذا الكتاب.

(٣) «إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع» (٣: ٣٠).

(٤) كذا، وهو تحريف، وكذلك ما بعده، وقد تُنسَب «السيرة لابن طرخان» إلى ابنه المعتمر ابن سليمان، كما وقع في «الأعلام» للزِّركلي (٧: ٢٦٥)؛ فإنه قال في ترجمة المعتمر بن سليمان: «له كتاب في المغازي»، وهي نسبة مجازية باعتباره هو الذي رواها عن أبيه مؤلِّفها، ونُسبت إليه كذلك دون تمحيص في بحث منشور بمجلة ديالي، العدد ٥٢، سنة ٢٠١١م، بعنوان: «معتمر بن سليمان بن طرخان: دراسة في سيرته التاريخية»، وهو بحث مستل من رسالة ماجستير.

زيادة؛ وهو أن جبريل أتاه بدُرْنُوكٍ من دِيباج منسوج بالدُّر والياقوت فأجلسه عليه، غير أن موسى بن عقبة قال: ببساط، ولم يقل: دُرْنوك، وقال في «سير ابن المعتمر»: إن الله تعالى أنزل عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الآيات، كأنه يشير به: فمسح جبريل صدره، وقال: اللهم اشرح صدره، وارفع ذكره، وضَعْ عنه وزره. ويصحح ما رواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الآيات، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل، والله أعلم[١].

قال علي القاري: وأما حديثُ موادعته ﷺ أهلَ مكة عام الحديبية عشر سنين، فنظر فيه بعض الشارحين[٢] بأن الصحيح عند أصحاب المغازي أنها ستتانِ، كذا ذكره معتمر بن سليمان، عن أبيه، وليس بلازم؛ لأن الحاصل أن أهل النقل مختلفون في ذلك[٣].

قال عبد الملك المعصومي: وفي «مغازي سليمان التيمي» أنها قالت: إن كنت كاذباً أرحت الناس منك، وقد استبان لي الآن أنك صادق، وإني أشهدك ومن حضر أني على دينك، وأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فانصرف عنها حين أسلمت. وفيه موافقة الزهري على إسلامها[٤].

ـ تَضَمُّن الكتابِ لكثيرٍ من أسبابِ النزول، وهي فيه أمثل وأصلح مما ذُكر في كتب المغازي الأخرى.

---

(١) «الروض الأنف» (٢: ٢٦١).

(٢) هو قوام الدين الأترازي الحنفي، كما في «البناية شرح الهداية» للعيني (٧: ١١٥)، نقل عنه قولَه: «لأن الصلح عند أصحاب المغازي أن رسول الله ﷺ وادعهم على ترك القتال سنتين، هكذا ذكره المعتمر بن سليمان في كتابه عن أبيه». وتصحف فيه «سنتين» إلى «سنين»، ففسد المعنى.

(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦: ٢٦٢٤).

(٤) «سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي» (٢: ٢٣٤).

قال ابن حجر العسقلاني: وقد يُوجَد كثير من أسباب النزول في كتب المغازي، فما كان منها من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه، أو من رواية إسماعيل بن إبراهيم ابن عقبة عن عمه موسى بن عقبة؛ فهو أصلح مما فيها من كتاب محمد بن إسحاق، وما كان من رواية ابن اسحاق أمثلُ مما فيها من رواية الواقدي(١).

ـ بعضُ مباحثِ الكتاب كانت محل أنظار المحققين الذين ألَّفوا في السيرة النبوية، وهذه نماذج تدل على ذلك:

قال ابن حجر: وذكر سليمان التيمي في «السيرة» التي جَمعها ورواها محمد ابن عبد الأعلى، عن معتمر بن سليمان، عن أبيه؛ قال: وفترَ الوحيُ، فقالوا: لو كان من عند الله لَتتابَعَ، ولكن الله قَلاه، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بكمالهما، وكل هذه الروايات لا تثبت، والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي؛ فإن تلك دامت أياماً، وهذه لم تكن إلا ليلتَين أو ثلاثاً، فاختلطتا على بعض الرواة(٢).

قال ابنُ حجر: وقوله في هذه الرواية: «فقام ساعة فنظر، فعرَفت أنه يُوحى إليه، فتأخرت حتى صعِد الوحي»؛ ظاهر في أنه أجابهم في ذلك الوقت، وهو يرُد على ما وقع في «مغازي موسى بن عقبة» و«سير سليمان التيمي»؛ أن جوابه تأخَّر ثلاثة أيام، وفي «سيرة ابن إسحاق» أنه تأخر خمسة عشر يوماً(٣).

قال السهيلي: وذُكر في الخبر أن عكاشة وثابت بن أقرم البلوي حَليفَي الأنصار كانا في جيش خالد حين نَهد إلى طُليحة، فاستقدما أمام جيش خالد للمسلمين، فوقعا في خيل لطليحة وهو فيهم، فاستُشهِدا معاً، وذلك في يوم بزاخة. كذلك قال

(١) «العجاب في بيان الأسباب» (١: ٢٢٠).

(٢) «فتح الباري» (٨: ٧١٠).　　(٣) «فتح الباري» (١٣: ٢٧٤).

كلُّ من ألَّف من السير إلا سليمان التيمي[١]؛ فإنه ذكر أن عكاشة قُتِل في سرية بعثها رسول الله ﷺ إلى بني أسد، والأول هو المعروف[٢].

رابعاً: منهج المؤلف في كتابه:

يرى قارئ «سيرة ابن طرخان» أن الأخبار موجَزة مضغوطة، منسَّقة منتظمة، لا تكثر خلالها الفواصل والزوائد كما نرى عند غيره من المؤرخين؛ فهو لا يذكر الأسانيد ولا يُعنى بالروايات المتعددة، وإنما يسير على رواية واحدة لا يتعداها.

ويمتاز وصفه بالقوة والحياة، يشعر القارئ أنه مشرف على المعركة يرى الأبطال، ويشاركهم أحاسيسهم وأفعالهم، كما يشعر بأن المؤلِّف لا يكتفي بمجرد وصف الأعمال، وإنما يدقِّق فيها ويبسطها بسطاً صادقاً[٣].

ويُعنى سليمان أيضاً بإيراد الآيات القرآنية، وشرح سياقها التاريخي، والاعتماد عليها، كما يُعنى بالشعر، ولكن هذا الشعر قليل متضائل بالنسبة لما عند غيره من المؤلِّفين في السيرة[٤].

---

(١) هذا يؤيد ما قاله د. حسين نصار في «تاريخ التدوين التاريخي عند العرب» (ص٧٠) عند ذكر «سيرة ابن طرخان»: «ولكننا نراه يأتي بروايات غريبة في الغزوات الكبيرة المعروفة، تخالف ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون».

(٢) «الروض الأنف» (٥: ١٠٢)، ولا أدري كيف قال السهيلي رحمه الله هذا؛ فالذي يُوجَد في كتابنا أن عكاشة استشهد مع ثابت بن أقرم لما كانا في جيش خالد حين نهض إلى طليحة، وهي نفسها السرية التي بعثها النبي ﷺ إلى بني أسد، قال سليمان التيمي: ثم بعث رسول الله ﷺ سَريةً مع خالد بن الوليد إلى بني أسد بن خزيمة، وبلغ بني أسد الخبر أن رسول الله ﷺ بعث إليهم جيشاً، وكان فيهم رجل يتكهَّن، يقال له: طليحة بن خويلد الفقعسي... إلى آخر القصة، فلم يشذَّ إذنْ سليمان التيمي عن جماعة المؤرخين.

(٣) «تاريخ التدوين التاريخي عند العرب» (ص٧٠).

(٤) «تاريخ التدوين التاريخي عند العرب» (ص٧١)، ويُنظر للتوسع الفصل الثالث من كتاب: =

خامساً: صفة النسخة المعتمدة في التحقيق:

عُمدة هذا الكتاب في التحقيق نسخة محفوظة بخزانة دير الإسكوريال بمدريد، تحت رقم: (١٨٧٨)، تقع في تسع وتسعين لوحةً، في كل لوحة ـ ما عدا الأولى والأخيرة ـ وجهانِ، وفي كل وجه سبعة عشر سطراً، كُتبت بخط مغربي، بحرف كبير ومشكول.

وهي غُفل عن تاريخ نسخها، وعن ذكر ناسخها، إلا أنه يظهر من خلال الخط أنها قديمة النسخ، وعليها طُرَر شارحة بخط مغربي متأخِّر.

لم تصِلْنا النسخة ـ مع الأسف ـ كاملة، وهي مقطوعة في أولها وآخرها، يُضاف إلى ذلك أن لوحاتها مختلطة وغير مرتبة، وإن كان ترقيم الصفحات متسلسلاً، لكن تم ـ والحمد لله ـ ترتيب اللوحات بحسب السياق والسباق.

وقد قُسمت النسخة إلى أجزاء على منهج المحدِّثين المنيف في هذا الباب؛ ففي آخر اللوحة (٢٣) قال الناسخ في الحاشية: هذا آخر الثاني وأول الثالث، وبعدها ـ أعني اللوحة (٢٤) ـ ذكر إسناد الكتاب، فقال:

مغازي رسول الله ﷺ

وأخبرنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، قال: أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد ابن أبي بكر السرَخسي بها، قال: أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزَّبيبي،

= «أبو المعتمر التيمي ومروياته في السيرة النبوية»، د. عبد العزيز العجلان، وقد طُبع بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٣٩هـ، وقد خص المؤلفُ الفصلَ الثالث بدراسة مرويات التيمي في السيرة التي شملت بيان قيمتها العلمية، وموارد التيمي فيها ومنهجه، ومقارنة مروياته ببعض كتب السيرة المعاصرة له، كمغازي موسى بن عقبة، ومغازي ابن إسحاق.

قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه سليمان التيمي، قال: بلغنا أن أول سرية كانت...

وهو ما يدل على أن المفقود من أول الكتاب هو الجزء الأول، الذي يمكن أن يكون فيه حديث عن مولد النبي ﷺ وما سبق ذلك، وما تلاه إلى أن يصل الكلام إلى مبعثه وهجرته إلى المدينة وما يتصل بذلك، وهو الجزء الثاني، ثم يتلوه الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس، وكلها في الكلام على مغازي النبي عليه السلام غزوةً غزوةً، ابتداءً من غزوة بَدْر إلى حديث فتح مكة، وبعد ذلك يأتي الجزء السابع ـ ولعله الأخير ـ ويَبتدئ من قصة حُنَين إلى وفاته عليه الصلاة والسلام.

وفي أثناء الجزء الثاني والثالث فُقِدت بعض اللوحات، وإن كان ترقيمها ـ كما سبق ـ متسلسلاً، فأدى ذلك إلى بقاء بعض الكلام بغير تمام، كغزوة بدر على سبيل المثال، بل إن غزوة أُحد لا وجود لها في النسخة بالكلية بسبب ذلك.

ومما يدل على ذلك أيضاً نَقْلانِ عن سليمان التيمي في «سيرته» لا وجودَ لهما في هذه النسخة، وهما[1]:

ـ روى أبو نُعَيم الأصبهاني من طريق خالد بن النضر القرشي، قال: حدثنا محمد ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه: أن رجلاً من بني مخزوم قامَ إلى رسول الله ﷺ وفي يده فِهر، ليرميَ به رسولَ الله ﷺ، فلما أتاه وهو ساجد رَفع يده وفيها الفِهر ليَدْمغَ به رسولَ الله ﷺ، فَيَبِسَت يدُه على الحجَر، فلم يستطع إرسال الفهر من يده، فرجع إلى أصحابه فقالوا: أجَبنتَ عن الرجل؟ قال: لم أفعل،

---

(١) عدم وجود هذَين النصَّين في الكتاب بسبب ضياع بعض الأوراق من نسخته يستدعي نقلهما بتمامهما على طولهما؛ ليكونا كالملحق بالنص، وعليه أستطيع القول: إن جميع ما وُجِد مما يتعلق بسيرة التيمي منقول بين دفتي هذا الكتاب، ولن يشذ عن ذلك إلا ما وُجِد من نصوص في الكتب المخطوطة، والله أعلم.

ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرساله، فعجبوا من ذلك، فوجدوا أصابعه قد يبست على الفهر، فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا: هذا شيء يُراد[١].

ـ روى ابن عساكر من طريق خالد بن النضر القرشي، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا أبي قال: فلما رأت اليهود ما لقي أصحاب رسول الله ﷺ من القتل يوم أُحد والبلاء شَمِتُوا بهم؛ فأما بنو النضير فأظهروا العداوة لله ولرسوله، وأما قُريظة فتمسكوا بالحلف على غشٍّ في أنفسهم وعداوة لله ولرسوله، فركب كعب بن الأشرف في ستين راكباً من بني النضير إلى قريش من مكة، فقال لهم أبو سفيان: ما جاء بكم؟ قال كعب: أتيناك لنحالفك على قتال هذا الرجل وعلى عداوته، قال أبو سفيان: مرحباً بكم وأهلاً، أحبُّ الناس إلينا مَن أعاننا على عداوة هذا الرجل وقتاله، قاله له كعب: فأخْرِج ستين رجلاً من بطون قريش كلها وأنت فيهم يا أبا سفيان، فلندخل نحن وأنتم بين أستار الكعبة فلنلصق أكبادنا بها، ثم لنحلف بالله جميعاً أن لا يخذل بعضنا بعضاً، ولتكون كلمتنا واحدةً على هذا الرجل وأصحابه ما بقي منا ومنهم رجل، ففعلوا ذلك وتحالفوا، فرجع كعب على قتال محمد ﷺ إلى المدينة، فواعده أبو سفيان أن يأتيه العام المقبل.

فلما قَدِم كعب وأصحابه إلى المدينة نزل جبريل عليه السلام على نبي الله ﷺ، فأخبره بخبر كعب وأبي سفيان والذي صنعوا، وأمر جبريل رسول الله ﷺ بقتل كعب، فأرسل رسول الله ﷺ إلى بني عبد الأشهل ـ وهم حيٌّ من الأنصار من الأوس حلفاء بني النضير ـ فقال: «يا معشر بني عبد الأشهل، ألا ترَون إلى حليفكم ما صنع؟» قالوا: وما صنع يا رسول الله؟ فأخبرهم رسول الله ﷺ الخبر، فقال: «اكْفُونيه يا بني عبد الأشهل؛ فإن الله عز وجل قد أمرني بقتله، فاقتلوه»، قالوا:

---

(١) «دلائل النبوة» للأصبهاني، رقم: (١٥٢)، (١: ١٩٩).

يا رسول الله، نفعل ونطيع أمرك، فإن فيهم أخاهُ من الرضاعة ومولاه في الحلف دوننا محمد بن مسلمة، وهو لهم غير متَّهم، ففعل رسول الله ﷺ ذلك.

فانطلق خمسة رهط: ثلاثة من بني عبد الأشهل، أحدهم عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ، ومن بني حارثة بن الحارث رجلانِ: محمد بن مسلمة وأبو عبس بن جبر، قالوا: يا رسول الله، ائذن لنا فَلْنَنَل منك عند الرجل، فأذِن لهم، فانطلقوا ليلاً، وقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، فأتوا كعباً وقد أخذ مضجعه، فنادوه: يا أبا الأشرف، فسمع كعبٌ الصوت، فوثَب وأخذت امرأته بجانب ثوبه، فقالت: إني لأرى حُمرة الدم من هذا الصوت قبل أن يكون، إنه لصوتٌ مريب، وأمر محمد بن مسلمة أصحابه فاختبؤوا، فضرب كعب يَدَ امرأته فأرسلته، وقال لها: لو دُعِي ابن حُرة لِطعنةٍ بليلٍ أجاب، فأشرف فنظر فقال: مَن هذا؟ فقال: أخوك محمد بن مسلمة، قال لامرأته: لا تخافي، هذا أخي محمد بن مسلمة، فقال كعب ورحَّب به: ما حاجتك يا أخي؟ قال: أخذنا هذا الرجل بالصدقة ولا نجد ما نأكل، فجئت لتقرضني وَسْقاً من تمر، وأرهنك به رهناً إلى أن يدرك ثمرنا، فضحك كعبٌ وقال: أما والله إن كنت لأعلم أن أمرك وأمر أصحابه سيصير إلى ما أرى، وما كنت أحب أن أراه، ولقد كنتَ تعلم يا محمد أنك كنت من أكرم أهل البلد علَيَّ وأحبهم إلَيَّ، ولقد كان الذي من أمرك وما على الأرض شيء كنت أمنعكَهُ، فأما إذ فعلت الذي فعلت فلست مصيباً عندي خيراً أبداً ما دمت على الذي أنت عليه، ولقد علمت أنك لن تصيب من هذا الرجل أبداً إلا شرّاً، فأتني برهنٍ وثيق، قال: فخُذْ مِن أي تمرٍ شئت، قال: عندي عجوة يغيب فيها الضرس، قال: أي الرهن تريد يا أبا الأشرف؟ قال: تأتيني بامرأتك، قال: لم أكن لأرهنك امرأتي وأنت أشبُّ أهل المدينة، وأحسنهم وجهاً، وأطيبهم ريحاً، وأكرمهم حسَباً، فتدركني الغَيرة، ولكن غير هذا، قال: فارهنّي ابنك، قال محمد: إني لأستحيي أن أُعيَّر بذلك أني رهنت ابني بوَسْقٍ من تمر، ولكن أرهنك درعي الفلانية، قال:

أين هي؟ قال: هي هذه، انزل فخُذْها فنزل، وكان محمد قال لأصحابه: لا يأتي أحد منكم حتى أُوذنه، فنزل كعبٌ فاعتنقه محمد وقال: لا إله إلا الله، فأقبلوا يسعَون بأسيافهم ومحمدٌ آخِذ شعره، فضربوه بأسيافهم فقتلوه، فصاح عدوُّ الله عند أول ضربة صيحة، فسمعتها امرأته فصاحت، فأسمعت اليهود فتصايح اليهود.

وأخطأ أصحاب رسول الله ﷺ برجل عمرو بن معاذ فقطعوها، فألقى إليهم السيف، وقال: لا أحبسكم، أقرئوا نبي الله ﷺ مني السلامَ، قالوا: لا، والله لننطلقن جميعاً، أو لنموتن جميعاً، فاحتملوا صاحبهم، فأسرعوا به، فاجتمع اليهود إلى امرأة كعبٍ، فأخبرتهم حيث توجهوا، فطلبهم أعداء الله وأخطؤوا الطريق، وانطلق أصحاب رسول الله ﷺ يحملون صاحبهم، فلما دخلوا بيوت المدينة كبَّروا، فسَمع رسول الله ﷺ الصوت وهو يصلي، فكبَّر، وعلِم أن أصحابه قد أفلحوا ونجحوا، فأتوا نبي الله ﷺ فأخبروه الخبر(١).

ثم استعنتُ في تصحيح النص بقطعة مطبوعة قديماً بتحقيق ألفرد فن كريمر (Alfred Von Kremer)(٢) ضمن كتابِ «المغازي» لأبي عبد الله الواقدي الذي طُبع في مدينة كلكتة سنة ١٨٥٥م.

وذكر في مقدمة تحقيقه باللغة الإنجليزية أنه عَثَر(٣) على نسخة فريدة من

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥٥: ٢٧٥).

(٢) مستشرق نمسوي، من الوزراء، وُلِد سنة ١٢٤٣هـ وتعلم في فِيَنّا، وتجوّل في مصر والشام، ودرّس العربية في بلده، وعُيّن قنصلاً في مصر، ثم في بيروت سنة ١٨٧٠م، وعاد إلى فِيَنّا، فولي وزارة الخارجية ووزارات أخرى إلى أن تُوفّي سنة ١٣٠٦هـ.
نشر نحو عشرين كتاباً، منها «الأحكام السلطانية» للماوردي، و«القصيدة الحميرية» لنشوان، و«الاستبصار في عجائب الأمصار في وصف بلاد المغرب» لمؤلف من القرن السادس.
انظر: «الأعلام» للزركلي (٢: ٧).

(٣) من غريب صنيع هذا المحقِق ـ والله أعلم بدينه ـ أنه أثبت في الصفحة الأولى عنوان =

«مغازي الواقدي»[1] بدمشق سنة ١٨٥١م، لكنها غير تامة انتهى فيها الناسخ إلى غزوة بني النضير، فلما وجدها كذلك أتم نقصها مِن «سيرة سليمان التيمي»، وذلك ابتداءً من غزوة بني النضير إلى وفاة النبي ﷺ.

وقد وقع في هذه القطعة ـ على صِغَرها ـ بعض الأخطاء، نبَّهتُ على بعضها أثناء المقابلة بينها وبين نسختنا الأصيلة المعتمدة في التحقيق.

هذا وكان وَكْدي في تحقيق النص قائماً على مجرد ضبطه، وشكله، وشرح غريبه، دون التوسع في التعليق عليه، وترجمة أعلامه، واستنباط الفوائد والعِبر والعظات من أحداثه، ومقارنة فَحاويه بما جاء في نظرائه؛ فكل ذلك سيكون ـ إن شاء الله ـ بعد إخراجه من نصيب النُّشَبةِ من أهل العلم وطُلابه.

والله الهادي إلى سواء الصراط، وهو المأمول سبحانه وتعالى، والمرجو في كل حين، ولا سيما عندما تُحْضَر الأنفسُ الشحّ، نعوذ بالله عز وجل من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وصلى الله وسلم وبارك على صاحب هذه السيرة العَطِرة نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

= كتاب «المغازي» للواقدي، ثم ذكر تسلسل رواته إلى المؤلف على وفْق ما يُوجَد في النسخة، فلما وصل إلى آخر راوٍ ـ وهو أبو الحسن بن الطراح (ت٥٨٤هـ) ـ قال: رواية الخواجة المحترم ألفريد ذي كريمر النمساوي أيَّده الله وجادة عن ابن الطراح، ثم قال بعد ذلك: وبعد تَعداد نَسخ هذا الكتاب بالطبع أجاز الخواجة المذكور ما فيه من الأحاديث والأخبار لكل من قرأه.

(١) طُبع كتاب «المغازي» للواقدي بعد ذلك كاملاً على نسخ شتَّى، بتحقيق مارسدن جونس، وقد اعتمد النسخةَ التي حقق عليها كريمر الكتاب أولَ مرة، لكنه لم يدرج القطعة من «سيرة التيمي»؛ لأنها غير داخلة في الكتاب أصلاً، وإنما أتم بها الناسخ للضرورة ما فُقد من الكتاب، وقد زالت هذه الضرورة بالعثور على نسخ أخرى.

شجرة رواية كتاب سيرة رسول الله ﷺ لسليمان التيمي

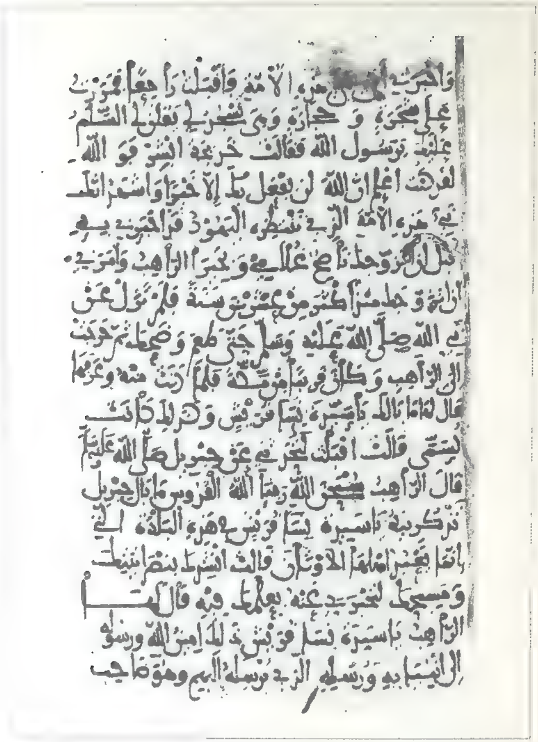
وأخبرني أبي ... من هذه الأمة وأقبلت راجعا فمررت
على مكة وجاوزة ومر بي نفر بي يقولون السلام
عليك يا رسول الله فقالت خديجة أبشر فوالله
لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيرا وأشهد أنك
نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود قد أخبرني به
قبل أن تزوجت أنا مع غلامي ونحن الراهب وأمرني
أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة فلم تزل مع
نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى طعم وشرب ثم خرجت
إلى الراهب وكان قريبا من مكة فلما دنت منه وعرفها
قال لها ما لك يا سيدة نساء قريش وكذلك كانت
تسمى قالت أقبلت لتخبرني عن جبريل صلى الله عليه
قال الراهب سبحان الله ربنا الله القدوس ما بال جبريل
تذكرينه يا سيدة نساء قريش وهذه البلاد التي
إنما يعبد أهلها الأوثان قالت أنشدك بنصرانيتك
ومسيحك لتخبرني عنه بعلمك فيه قال لها
الراهب يا سيدة نساء قريش ذلك أمين الله ورسوله
إلى أنبيائه ورسله الذي يرسله إليهم وهو صاحب

أول النسخة المعتمدة في التحقيق

وليست هي أول الكتاب؛ لاختلاط أوراقها، كما سبق التنبيه عليه

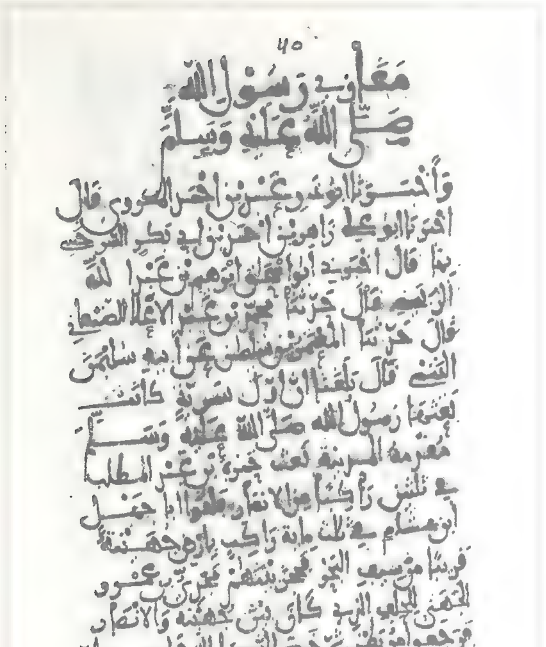

٤٥

مغازي رسول الله
صلى الله عليه وسلم

وأخبرنا أبو عمرو عثمن بن أحمد المعروي قال
أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد بن أبي بكر السرخسي
بها قال أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله
الزينبي قال حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني
قال حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه سليمان
التيمي قال بلغنا أن أول سرية كانت
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقدمه المدينة بعث حمزة بن عبد المطلب
في ثلثين راكبا من الانصار فلقوا أبا جهل
ابن هشام في ثلث مائة راكب بأرض جهينة
فرسانا [illegible] فحجز بينهم مجدي بن عمرو
الجهني الحليف [illegible] كان بين جهينة والانصار
فرجعوا [illegible] ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم
حتى بلغ بواط من تلقاء رضوى [illegible]

صفحة من وسط النسخة، وهو أول الجزء الثالث منها

آخر ما وُجِد من النسخة المعتمدة
وليست هي آخر الكتاب؛ لاختلاط أوراقها، كما سبق التنبيه عليه

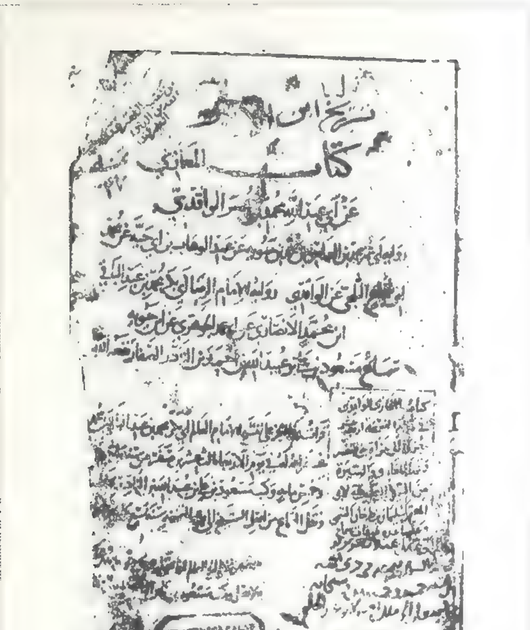

نسخة مغازي الواقدي التي أتمها الناسخ بقطعة من سيرة التيمي، وقد نبّه على ذلك كما يظهر في الطرة المحاطة بإطار، وهي التي نُشر عليها المغازي أول مرة سنة ١٨٥٥م.

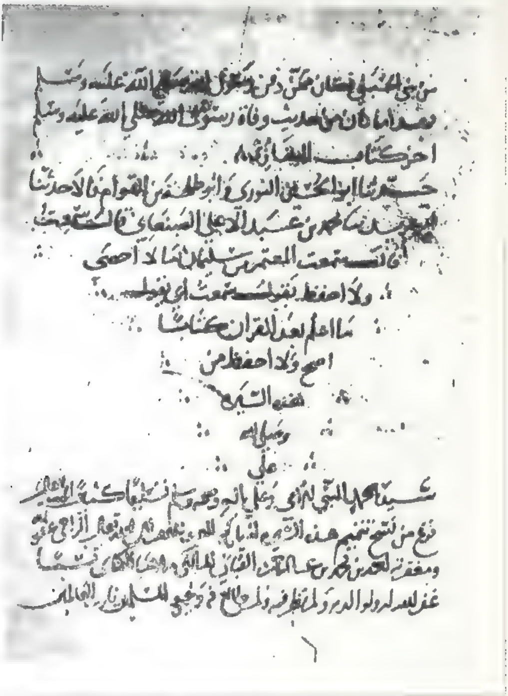

آخر قطعة ابن طرخان المتمّمة لمغازي الواقدي، كما نص على ذلك الناسخ، كما يظهر في قيم الختام

كتاب المغازي

تاليف ابي عبد الله محمد بن عمر الواقدي

رواية ابي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي
رواية ابي القاسم عبد الوهاب بن ابي حية
رواية ابي عمر محمد بن العباس بن محمد بن حَيُّوَيْهِ
رواية ابي محمد الحسن بن علي الجوهري عن ابن حيوية
رواية ابي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز
رواية ابي الحسن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن الطراح
رواية الخواجة المحترم الفريد ذي كريمر النمساوي ايّده الله
وجادةً عن ابن الطراح

وبعد تعداد نسخ هذه الكتاب بالطبع اجاز الخواجة المذكور ما فيه من الاحاديث والاخبار لكل من قرأه

طبع
في مدينة كلكتة بمطبع بپتست مشن
سنة ١٨٥٥ مسيحية

مطبوعة مغازي الواقدي المتمّمة بقطعة من سيرة التيمي، وهي محققة على النسخة السابقة

كتاب

سيرة رسول الله ﷺ

تأليف

أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري

(ت ١٤٣هـ)

رواية

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى

ابن منظور القيسي الإشبيلي

(ت ٤٦٩هـ)

تحقيق

د. رضوان الحضري

١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

[النص المحقق]

[من حديث بناء الكعبة][1]

وإنْ كُنتَ تَعلمُ أنّا قَد تَرَكْنا شيئاً نَرَى أن غيرَه أقربُ إلى الحقّ، أو خَلَطْنا فِي قُلوبنا الباطلَ، اللّهم فَحُلْ بَيننا وَبين بِنائها، وَعَمَدُوا إليها بِعُمّالهم رافعةً أيديهم يَقُولون:

اللّهم اللّهم عبادُك النّاسُ طِرْفٌ وَهُم تِلادُك[2]
وَحِرْزُنا الذي مَكَّنْتَ لَنا وشَرّفَنا على مَن حَولنا

فَخَرجَ عليهِم الثّعبان قَبل أن يَدْنُوا مِن الكعبة، فَشَدّ عليهِم، فَلَم يُزايِلُوا أقدامَهم على مَراتِبها.

فَلَمّا عَرَف اللهُ عَزّ وجل منهم الاجتهادَ والحرصَ على إصلاحِ الكعبةِ أرسلَ علَى الثّعبان عُقاباً جَرْداءَ[3]، فاخْتَطَفَتْه، فَلم يُرَ وَلا هيَ.

فَخَلّى اللهُ عز وجل بَينهم وبينَ بِنائها؛ لِيَنْظُرَ كيفَ يَعملُون، فَأَخَذُوا فِي بناءِ الكعبةِ، وَأَلْقَوا الثيابَ، وَتَجرّدوا عُراةً يَنْقُلون الصّخرَ، وَطائفةٌ منهُم تَبْنِي.

---

(١) هذا العنوان زدته أخذاً من آخر الباب على عادة المؤلف، وليس هذا هو أول النسخة لاختلاط أوراقها، كما سلف ذكره في مبحث وصفها.

(٢) الطِّرْف: هو المال المستفاد، وخلافه التليد، وقد رُوِي هذا البيت بصيغة أخرى، انظر كتاب «المحبر» لابن حبيب البغدادي (ص٣١٤)، تصحيح إيلزة ليختن شتيتر، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

(٣) العُقاب: مؤنث، يراجع كتاب «المذكر والمؤنث» لابن فارس (ص٥٩)، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٩م. والجرداء: هي الشديدة السرعة، «لسان العرب» لابن منظور، مادة: جرد.

فَبينما رسولُ الله ﷺ يَنْقلُ وَهو فتىً شابّ، وعليه إزارٌ، وكانَ شديدَ الحياءِ، [٣/ب] فَأقسمَ عليه العباسُ بنُ عبدالمطلب / بالرَّحم: يا ابنَ أخي، لتُلْقِيَنَّ الإزارَ وَلتَنْقُلَنّ عُرياناً[١]، فَفعلَ رسولُ الله ﷺ ذلكَ، فتَعَلّقت إحْدَى رِجْلَيه بالأُخرى مِن الحياءِ فَصُرِعَ، فَأقسمَ لا يَتَجَرَّد، وَأقسمَ العباسُ لا يَأمُره به، وقالَ: لَقد كِدت أقتلُ ابنَ أخِي.

فَأخذَ القومُ في البناءِ، حتى إذا انتهَوا إلى مَوضعِ الحجَرِ الأسودِ، تَنازَعَت فيه الأرْباعُ[٢] مِن تلكَ القبائلِ، وَتَحاسَدت أيُّهُم يَلِي رَفْعَه، حتى أَلَمَّ أن يَكونَ فيه أمرٌ شَديدٌ، فَصارَ مِن أمرِهم أن يُحَكِّموا أولَ رَجلٍ يَدخلُ عليهم البابَ، فَهو أحَقّ بِهم، وَتَعاقَدوا باللهِ رَبّ البَيت لَنُوَلِّيَنَّه إيّاه مَن كانَ.

فَخَرجَ عليهِم نَبيُّ اللهِ ﷺ مِن ذلكَ البابِ، أمراً اخْتَصّه اللهُ به، وهو يومئذٍ يُدعى الأمينَ، فَقالَت القبائلُ مِن قُريش: هذا الأمينُ هُو بَيننا، وَقَد رَضِينا بِهِ، فَلَمّا انتهَى إليهِم قالَ لَهم: «ما أمرُكم هذا؟» قالُوا: يا ابنَ عبد المطلبِ، تَنازَعْنا في هذا الحجَر، وَتَحاسدْنا، فَجَعلناه إلى أولِ مَن يَدخلُ علينا مِن هذا البابِ، [٤/أ] فَكُنتَ أولَ داخلٍ، / فافعلْ فيه أمراً يُصْلِحُ قَومكَ.

فَأخذَ رسولُ الله ﷺ ثوباً، فَبَسَطَه، ثُم أخذَ الحجَرَ فوَضَعه فيه، ثُم أمرَ تلكَ القبائلَ فَأخذُوا بِجَوانبِ الثّوب، فَرَفعوا علَى صَلاحٍ منهم وَجَماعةٍ حتى انتهَى إلى موضعِ الحجَرِ، فَأخَذه رسولُ الله ﷺ، فَوَضَعه بيَده، وَوَلّاه اللهُ عز وجل ذلكَ، وذلكَ قبلَ مَبعثِه بِخَمْس سنينَ[٣]، فهذا حديثُ بناءِ الكعبةِ.

---

(١) للمغاربة اصطلاح خاص في ضبط التنوين وجعل علامته على الحرف الأخير قبل الألف، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٢) جمع رَبع، ويُطلَق على جماعة الناس، وعلى العدد الكثير منهم، «لسان العرب»، مادة: ربع.

(٣) من قوله: «فأخذ القوم في البناء...» إلى هنا، رواه عن المؤلف أبو نعيم الأصفهاني في =

مبعث رسول الله ﷺ

ثُم إن الله عَز وجل بعثَ مُحمداً ﷺ رَسولاً عَلى رأسِ خَمس سنينَ مِن بناء الكعبةِ، فكانَ أولُ شَيء اختَصه الله به مِن النّبوة والكرامةِ رُؤيا كانَ يراها فِي المنامِ، فَقَصّ ذلكَ عَلَى زَوجتِه خديجةَ بنتِ خُويلد رَحمة اللهِ عليها، وهيَ مِن بَنِي عَبد العُزّى، فَقالَت لَه: أبشر، فَوالله لا يَفْعَلُ اللهُ بكَ إلا خيراً./ [٢ ـ ب]

وكانَ نَبيُّ الله ﷺ قَد تَركَ كثيراً مِمّا كانت قُريش تَفْعَلُ بآلِهَتِهم، وَتَنَزَّه عنه، فَبينما رسولُ الله ﷺ ـ كَما بَلغنا، واللهُ أعلم ـ ذاتَ يوم فِي حِراء، كانَ خرجَ إليه فاراً كَراهيةَ أن يَفعلَ بآلهتِهم كَما كانُوا يَفعلونَ، وَقد خَرَجت قُريش لتعظيمِ بعضِ آلهتهم.

فَبينما رسولُ الله ﷺ فِي حراء يَتَمَشّى عليه، إذْ نَزَلَ عليه جبريلُ عليهما السلامُ(١)، فَدَنا منه، فَخافَه نبيّ الله ﷺ مَخافةً شديدةً، فَأخذَ جبريلُ فَوَضَع يدَه على صَدره وَبين كَتفيْه، فقالَ: اللهُم احْطُطْ وِزْرَه، واشرحْ صَدْرَه، وَطَهِّر قَلبه.

يا مُحمد، أبشرْ؛ فَإنّك نبيُّ هذهِ الأمةِ، اقْرَأْ، قالَ لَه نبيّ الله ﷺ وَهُو خائفٌ يَرْعُد: «ما قرأتُ كتاباً قط، ولا أُحْسِنُه، وَما أكتبُ، وَما أقرأُ»، فَأخذَه جبريلُ فَغَتّه غَتّاً(٢) شديداً، ثُم تَرَكه، فقالَ: اقْرأ، فقالَ محمدٌ نبيّ الله ﷺ/ : «ما أرَى [٣/أ] شيئاً أقرؤه، وَما أقرأُ وَما أَكْتُبُ».

= «دلائل النبوة»، رقم: (١١٤)، وفيه بدل «بخمس سنين»: «بسبع سنين».

(١) كذا في الأصل بصيغة المثنى، والمقصود رسول الله وجبريل عليهما السلام.

(٢) الغَتُّ والغَطُّ سواءٌ، كأنه عَصَره عَصْراً شديداً حتى وَجَد من ذلك المَشَقّةَ. «لسان العرب»، =

فقالَ لَه جبريلُ، فَأجلَسه علَى بساطٍ كهيئةِ الدُّرْنُوكِ[١]، يَرَى فيه ـ كَما يُقال ـ مِن صفاتِه وَحُسْنه كَهيئةِ اللّؤلؤِ والياقوتِ، فقالَ لَه جبريلُ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١ ـ ٥][٢]، لا تَخَف يا مُحمد؛ فإنّك رسولُ الله، ثُم انصرفَ.

وأقبلَ علَى النبيّ ﷺ هَمُّه فقالَ: كيفَ أصنعُ؟ وكيفَ أقولُ لقومِي؟ ثُم قامَ وَهو خائفٌ، فَأَتاه جبريلُ عليه السّلام مِن أمامِه في صورةِ نفسِه، فأبصرَ النبيّ عليه السّلام أمراً عظيماً، مَلأَ صَدْرَه، فقالَ لَه جبريلُ: لا تَخَف يا محمد، جبريلُ، جبريلُ رسولُ الله إلى أنبيائِه وَرُسله، فَأَيْقِن بكرامة اللهِ؛ فإنّك رسولُ الله.

ثُم انصرفَ جبريلُ، فأقبلَ مُحمد ﷺ راجعاً، فَجَعلَ لا يَمُرُّ على شَجَرةٍ وَلا
علَى حَجَرٍ إلا وَهو/ ساجدٌ له، يقولُ: السّلام عليكَ يا رسولَ الله، فاطمأنت [٤/ب]
نفسُه، وَعَرَفَ كرامةَ الله إيّاه، وَعَجِبَ لقولِ الشّجر والحجارةِ وسُجودِهما لَه.

فَلمّا انتهَى النّبي ﷺ إلى زوجتِه خديجةَ أبصرَت ما بوجهِه مِن تغييرِ لونِه، فَأَفْزَعَها ذلكَ، فَقامَت إليه، فَلَمّا دَنَت منه أَبْصَرت كُسوفَ وَجهِه، فَحَسِبَتْه غُباراً، فَجَعلَت تَمْسَحُ عَن وجهِه، وتقولُ: يا ابنَ عبد الله، لَقَد أصابكَ اليومَ أمرٌ أَفْزَعَك، يا ابنَ عبد الله، لَعله كَبعضِ ما كُنتَ تَرى وَتسمع قبلَ اليومِ.

وكانَ نَبيّ اللهِ ﷺ قَد سَمِع الصوتَ مِراراً، وَأبصرَ الضوءَ، وَسَمع البُشرى،

= مادة: غتت.

(١) ضرب من الثياب أو البُسُط، له خَمَل قصير كخَمَل المناديل، وبه يشبه فروة البعير والأسد. «لسان العرب»، مادة: درنك.

(٢) عزو الآيات إلى سورها مما جرت به العادة التي بدأها المستشرقون الذين لا يحفظون القرآن، فلا يجوز جعله شرطاً في التحقيق ما دام أن المسلم القارئ خبيرٌ بالآية، وفي أيّ سورة هي، ولن يعزب ذلك عنه لو أراده في مثل هذا الزمان.

فإذا سَمعَ بذلكَ بالأرضِ أقبلَ مَذْعوراً، فَقصّ ذلكَ علَى خديجةَ، فَلَما رَأت خديجةُ أنه لا يُحِيرُ إليها شيئاً، أشْفَقَت، فَقالت: يا ابنَ عبد الله، ما لَك لا تكَلَّمُ؟ قال: يا خَديجة، أرأيتِ الذي كُنتُ أخْبَرتُك أنّي أرَى في المنامِ، والصوتَ الذي كنتُ أسمعُ في اليقظةِ، والضوءَ الذي كنتُ أُهالُ[١] منه؟ فإنّه جبريلُ ﷺ قَد اسْتَعْلَنَ لي، وَكَلَّمَنِي، وَأقرأنِي كلاماً فَزعتُ منه، ثم عادَ إليّ فَبَشَّرنِي، [٥ أ] وَأخبرنِي أنّي نبيّ هذه الأُمة، فأقبلتُ راجعاً، فَمَررتُ علَى شجرةٍ وحجارةٍ وهيَ تَسجدُ لي، يَقُلْنَ لي: السلامُ عليكَ يا رسولَ الله.

فَقالت خديجةُ: أبشر، فَوالله لَقد كنتُ أعلمُ أن الله لَن يفعلَ بكَ إلا خيراً، وَأشهدُ أنّكَ نبيّ هذه الأمةِ الذي تَنْتَظِرُه اليهودُ، قَد أخبرنِي به قَبلَ أن أتزَوَّجكَ ناصِحُ غُلامِي، وَبَحِيرا الراهبُ، وَأمَرنِي أن أتزوجكَ منذُ أكثرَ مِن عشرينَ سَنة.

فَلَم تَزُلْ عَن نَبي اللهِ ﷺ حتى طَعِمَ وَضَحِكَ، ثُم خَرَجَت إلى الراهبِ ـ وكانَ قريباً مِن مكةَ ـ فَلمّا دَنَت منه وَعَرَفَها، قالَ لَها: ما بالُكِ يا سيدةَ نساءِ قُريش؟ ـ وكذلكَ كانَت تُسَمّى ـ قالَت: أقْبَلْتُ لِتُحَدِّثَني عَن جبريلَ ﷺ.

قالَ الراهبُ: سبحانَ الله رَبِّنا! اللهُ القُدوسُ، ما بالُ جبريلَ تَذْكُرينَه يا سيدةَ نساءِ قُريش في هذهِ البلدةِ التِي إنّما يَعبدُ أهلُها الأوثانَ؟ قالَت: أَنْشُدُكَ بِنَصْرانيّتِك وَمَسِيحِك لَتُخْبِرَنِّي عَنه بِعِلْمكَ فيه.

قالَ لَها الراهبُ: يا سيدةَ نساءِ قُريش، ذلكَ أمينُ الله وَرسولُه إلى أنبيائِه وَرسلِه، الذي يُرْسِلُه إليهِم، وهو صاحبُ الرُّسل، وصاحبُ مُوسى وعيسى [١ ب] ابنِ مريم.

---

(١) هِيل الرجلُ يُهال: إذا رأى تهاويل ففزع لها، «لسان العرب»، مادة: هول.

فازدادتْ يقيناً، وَعَرَفَت أن اللهَ عزّ وجل قَد أهدى لمحمدٍ ﷺ أفضلَ الكرامةِ.

ثُم أقبلتْ مِن عندِه حتى تَأتِيَ عبداً لِعُتبةَ بنِ ربيعةَ نصرانياً مِن أهل نِينَوَى[1]، يُقال لَه: عَدّاس، قالَت لَه: أُذَكِّرُكَ اللهَ يا عَدّاس إلا حَدَّثْتَنِي عَن جبريلَ بما تَجدُ عندكَ فِي الكُتُب. فقالَ لَها عدّاس: قُدّوسٌ رَبّنا اللهُ عَزّ وجل، وَما شأنُ جبريلَ تَذْكُرِينَه يا سيدةَ نساءِ قريش بِهذه البلدةِ التِي إنّما يعبدُ أهلُها الأوثانَ؟ قالت: أنْشُدُكَ بِنصرانيّتك والمسيحِ إلا حَدّثْتَنِي عَنه بعِلْمِكَ فيهِ، ما تَجدُ عندكَ فِي الكتابِ؟ قالَ: قَد ذَكَّرْتِنِي بعظيمٍ، فإنّ جبريلَ عبدُ الله ورسولُه، وأمينُه الذي يَبْعَثُه اللهُ إلى الرسلِ، وهو صاحبُ عيسى بنِ مريم الذي أَيّده[2] به.

ثُم قامت مِن عندِه، فَأَتَت ابنَ عَمٍّ لَها شيخاً كبيراً، يُقالُ لَه: وَرَقةُ بنُ نَوْفَل، وكانَ نصرانيّاً، فَقالت: أُذَكِّرُكَ اللهَ يا ابنَ عَمّ والرَّحِمَ التِي بينِي وبينَك لَما [٢/أ] حَدَّثْتني عَن جبريلَ ما هو؟ قالَ: قُدّوس رَبّنا اللهُ الأعلَى، مَهْلاً يا خديجة، لا تَذْكُري جبريلَ؛ فَلَسْتِ مِن أهلِ ذِكره، قالَت: أُذَكِّرُك اللهَ يا ابن عَمّ لَما حَدَّثْتَنِي عَنه، فَإني أرجو أن أكونَ قَد كُنْتُ مِن أهلِ ذِكْرِه.

قالَ: ما أنا بِمُخْبِرِكِ عَنه لَما حَدَّثْتِنِي ما أذْكَرَكِهِ؟ فَإنَّكِ في بلدٍ لا يَذْكُرُونَه، وَلا يَدْرونَ ما هُو، قالَت: فَلِلّهِ عليكَ إن ذَكَرْتُ لَكَ الكتمانَ، والصدقَ لِي عَمّا أسْألُكَ؟ فقالَ لَها عندَ ذلك: نَعم.

قالَت: فَإنّ ابنَ عبدِ الله ذَكَرَ لِي ـ وهُو صادقٌ، أحْلِفُ باللهِ ما كَذَبَ وَلا كُذِّبَ ـ أنّه نَزَلَ عليه جبريلُ بِحراء، وَأنّه أخبرَه أنه رسولُ هذه الأمةِ، وَأقرأهُ

(١) ضبطه ياقوت الحموي بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو، وهي قرية نبي الله يونس عليه السلام بالموصل. «معجم البلدان» (٥: ٣٣٩).

(٢) في الأصل: «أيد»، والمثبت من «تاريخ دمشق» (٦٣: ٢١).

آياتٍ أرسلهُ اللهُ بها إليه، فَذُعِرَ لذلكَ وَرقةُ، وقالَ: لَئن كانَ جبريلُ قَد استقرّت قَدماه اليومَ علَى الأرضِ لَقَد نزلَ علَى خَيْرِ أهلِ الأرضِ، وَما يَنْزِلُ إلا إلى نَبيّ، وهو صاحبُ الأنبياء والرّسلِ الذي يُرسله اللهُ إليهم، وَقَد صَدَقْتُكِ عَنه، فَأرسلِي إليَّ ابنَ عبدِ الله أسألُه وأسْمعُ مِن قولِه، وَأُحَدِّثُه؛ / فإنّي أخافُ أن [٥/ب]
يكُونَ غيرَ جبريلَ؛ فإنَّ بعضَ الشياطينِ يَتَشَبَّهُ بِغَيْرِ صُورته لِيُضِلَّ به بنِي آدمَ، وَيُفسدونَ، حتى يصيرَ الرجلُ بعدَ العقلِ الرَّصينِ مُدَلَّهاً[١] مَجنوناً، فأنا خائفٌ على صاحبِك أن يكونَ كذلكَ.

فَقامَت مِن عنـدِ ورقـةَ وهيَ واثقةٌ باللهِ أن لا يفعلَ بصاحبِها إلا خيراً، فَرَجَعَت إلى النبيّ ﷺ وَقد نَزَلَ عليه جبريلُ، فَأمَّنه مِمّا تَكلّم به ورقةُ مِن تخويفِ الشياطينِ، فأنزلَ عليه: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ [القلم: ١-٦]: المجنون.

وَقَد كانَت قُريش إذا سَمِعوا شأنَ محمدٍ ﷺ مِمّا ذَكر لَهم الراهبُ وَعَدّاس، قالوا: فَلَعله مجنونٌ، وَخاضُوا في ذلكَ، فَوافقَ ذلكَ قولَ ورقةَ بنِ نوفل فِي ذلك، فَفِي ذلكَ أُنزلت: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾.

فَلمّا رَجعَت خديجةُ إلى النبيّ ﷺ أخبرتْه بالذي ذَكَرَ لَها ورقةُ، فقالَ لَها نبيّ الله ﷺ / : كَلا والذي اخْتَصَّنِي بالنّبـوة، ما بِي جنـونٌ، وإنّه لجبريلُ أتانِي [٦/أ]
فَأَخْبَرَنِي بالذي خاضَت فيه قُريش، وبقـولِ ورقةَ، فاقْتَرأ نبيّ الله ﷺ هؤلاء الآياتِ.

فَقالت: الحمدُ لله كثيراً، قَد زادنِي هذا يقيناً مَع ما كنتُ فيه مِن اليقينِ،

---

(١) المُدَلَّه: الذي لا يحفـظ ما فَعـل ولا ما فُعـل به، والتدلُّه: ذهاب العقل من الهوى، «لسان العرب»، مادة: دله.

وَقالَت لِي: أُحِبُّ أن تَلْقَى وَرقةَ فتنبئنه الحديثَ، وَتُخْبِرَه بِما أَحْدَثْتَ مِن هذه الآياتِ، لَعل اللهَ يُقْبِلُ بِقلبِه، فإِنَّه رَجلٌ قَد أُعطِيَ علماً، وَهو يقرأُ الكُتبَ.

فَأتاه نبيّ الله، فلمّا أبصرَه ورقةُ رأى لَه هَيْبةً وَجمالاً لَم يَكُن قبلَ ذلكَ يَراه، فقالَ لَه ورقةُ: يا ابنَ أخي، حَدِّثْنِي ما رأيتَ، وَما قيلَ لكَ؛ فَإنّي أرى لكَ هيْبةً لَم أكُن أراها، وَلا أراكَ إلا صادقاً، فَحَدِّثْنِي عَن الذي أتاكَ، أَفِي نُورٍ أتاكَ أم فِي ظُلمةٍ؟ وَصِفْ لِي صِفَته، فإنّه قَد نُعِتَ لِي، وَلن يَخْفَى عليّ أَهُو هُو أم غيرُه إن شاءَ الله.

فَأخبرَه نبيّ الله ﷺ بصفةِ جبريلَ، وبِما رأى مِن هَيْئَتِه، فقالَ وَرَقةُ لَه: وَرَقةُ يَشْهَدُ أن هذا جبريلُ ﷺ، / فَحَدِّثْني ما قالَ لَك، فَأَخْبَره كيفَ وَضَعَ يَدَه على صَدره وبيْن كَتِفيْه، فازدادَ ورقـةُ يقيناً، واقترأ عليه الآيـاتِ التِي أقْرَأه جبريلُ، والآياتِ بَعْدُ مِن ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾. [٦١ ب]

فقالَ ورقةُ لَه: ورقةُ يشهدُ أن هذا كلامُ الله، فَهل أمرَكَ بشيءٍ تُبَلِّغُه قومكَ؟ فقالَ لَه: لا، فقالَ وَرقة: أمْرُكَ أمْرُ نُبوةٍ[1]، وإنْ أُدْرِكْ زمانَك أتّبعكَ، أما والذي نَفسُ ورقةَ بيدِه، لَئن أعلنتَ ودعوتَ وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنَّ للهِ فِي نَصْركَ مِن الصدقِ وحُسنِ المؤازرةِ، فَأبشِرْ يا ابنَ عبد المطلبِ بِما بَشَّرَكَ اللهُ به.

وَفَشا قولُ ورقةَ فِي قُريش، وَتَصديقُه نَبيَّ اللهِ ﷺ، فَشَقَّ ذلكَ علَى الملأِ مِن قُريش، وَأَلْقَى الشيطانُ فِي قلوبِهم أن قولَ هذا الرجلِ فسادٌ لأمرِكم، وَهَلاكٌ لدينِكم، فكيفَ تَرْضَونَ به وَهُو مِن فُقرائكم وأصغَرِكم؟!

واحتبسَ جبريلُ علَى نَبيّ الله ﷺ بعدَ ذلكَ ما شاءَ الله، فَقالت قريش: ما نَرَى محمداً أَحْدثَ شيئاً بَعدُ، ولَو كانَ مِن الله لَتَتابعَ الحديثُ كما بَلَغَنا أنّه كانَ يُفْعَلُ بِمَن قَبله، فَقد وَدَّعَه الذي كانَ يَأتيه وَقَلاه.

---

(١) يجوز قراءة هذه الجملة هكذا: أَمَرَكَ أَمْرَ نُبوةٍ.

[١/٧] فَأتاه جبريلُ عليهما السلامُ عندَ ذلكَ، فقالَ: إن اللهَ عزّ وجلَّ أنزلَ عليكَ يا محمد: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ١-٤]، فَفَرَغَ مِن السورةِ كُلِّها، وَمِن ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

فَذَكَّره نعمةَ الله عليه، ثم انصرفَ جبريلُ عليه السلام، وماتَ ورقةُ بنُ نوفل قبلَ أن يَدعوَ نبيُّ الله إلى شيءٍ، وَقَد تَكَلَّمَ مِن تصديقِ النبيّ ﷺ بالذي تكلمَ به.

وكانَ ورقةُ بنُ نوفل، وزيدُ بنُ عَمرو بنِ نُفَيْل قَد كَرِها دينَ قومهما في الجاهليّة، وَرَغِبا عَنه قبلَ أن يبعثَ اللهُ محمداً ﷺ رَسُولاً، حيناً مِن الدهرِ، فَخَرَجا مِن مكةَ مُنْطَلِقَيْن إلى الشامِ يلتمسانِ العلمَ والدينَ، حتى أُهْبِطا أدنى الشامِ، فَلَقِيا اليهودَ وَعَرَضُوا عليهما دِينهم، وَكَرِها اليَهوديّة.

وَعَرَضَت عليهما النَّصارى دِينَهم، فأمّا ورقةُ فَتَنَصَّر، وأمّا زيدُ بنُ عَمرو فَكَرِهَ النصرانيةَ، فقالَ لَه قائلٌ من تلكَ الرّهبان: ما لَك ولِهذا الدِّين الذي نَرَى[١] / صاحبَك قَد رَضيَ به؟ قالَ: أكرهُ النصرانيةَ، فاذْلُلْني عَلى دينٍ هُو خيرٌ منه، [١٣ ـ] قالَ لَه الراهبُ: لا أعلمُه، قالَ لَه زَيد: فإنّي واكِلٌ أمري إلى الذي خَلَقَ الأديانَ لعلَّه يَدُلُّني على خير الأديانِ.

فَغضبَ الراهبُ، وألقَى اللهُ في نفسِ الراهبِ أن يتكلمَ بِخير الأديانِ، فقالَ: إنّك لَتَلْتَمِسُ يا رَجُل دِيناً ليسَ يُوجَد اليومَ في الأرضِ، وَقد كانَ مرةً، فقالَ لَه زيدُ بن عمرو: فإنّي أُذَكِّرُك اللهَ وَبِنَصرانيتكَ وَمَسيحِك لَما حَدَّثْتَني بذلكَ الدّين. قال الرّاهب: هُو دينُ إبراهيمَ خليلِ الرّحمن، قالَ لَه زَيد: وما كانَ دينُ إبراهيمَ خليلِ الرحمن؟ قالَ لَه الراهبُ: كانَ حنيفاً مسلماً، يَسْجُدُ

(١) في الأصل: «يرضى»، والمثبت من «تاريخ دمشق» (٦٣: ٢١).

قِبَلَ الكعبةِ، فقالَ[١] زَيد بنُ عمرو للراهبِ ولورقةَ بنِ نوفل: فإنّي أُشْهِدُكما أني على دينِ خليل الرحمنِ، وإنّي مُصَلٍّ قِبَلَ الكعبةِ، فانعتْ لِي يا راهب ـ بِدينكَ وَمَسيحِك ـ كيفَ كانَ صنيعُ إبراهيم؟

قالَ لَه الراهبُ: دَعا إلى الله، فكَذّبه قومُه، وَأَلْقَوْه في النار، فَأَنْجاه اللهُ منها، فَخَرَجَ منها مُتوجهاً قِبَلَ الشامِ، فَرَزَقَه اللهُ المالَ والولدَ، وكانَ يَحُجُّ الكعبةَ، وَيُصَلِّي / [نَحْوَها. [١٤/أ]

فقالَ لَه زيدٌ: فَما يَمنعُك يا راهب مِن دينِ إبراهيمَ؟ قالَ: أمورٌ حَدَثَت، وَنَحْنُ بَعدُ على دينِ إبراهيمَ، فقالَ زيدٌ: فإنّي مهاجرٌ إلى ربّي، أسيحُ في هذه الأرضِ، وأعبدُ الله، وأُصلي قِبَلَ الكعبةِ حتى أموتَ علَى ما ماتَ عليه خليلُ الرحمن، فَفَعلَ، فساحَ فِي الأرضِ، وَرَجَعَ ورقةُ بنُ نوفل إلى مكةَ، فَأخبرَهم الخبرَ، فَلمّا بلغَ وَرقةَ موتُ زيدِ بنِ عمرو بَكاه، وقالَ لَه فيما يقول:

رَشَدْتَ فَأَنْعمْتَ ابنَ عَمْرو وإنَّما ... تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً مِن النار حامِيا
دُعاؤكَ رَبّاً ليسَ رَبٌّ كَمثله ... وتَرْكُك جنانَ الجبالِ كَما هِيا][٢]

* * *

(١) في الأصل: «فقال له»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) زيادة من «تاريخ دمشق» (٦٣: ٢١) مع إصلاح تصحيف وقع فيه، وقد روى ابن عساكر هذا الخبر من أول مبعث النبي ﷺ إلى هنا من طريق محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، بلفظه سواء بسواء إلا ما ندر.

[الصدع بالأمر والهجرة إلى الحبشة][١]

مِن استقباله إيّاه بالأذى والتكذيبِ في وجهه[٢]، فقالَ نبيّ الله ﷺ: «يُحيي اللهُ هذا، ويُميتُك، ثُم يُدْخِلُك جهنمَ بتكذيبكَ الله ورسولَه»، فأنزلَ اللهُ عز وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ * إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧-٨٣].

فاشتدَّ علَى نَبيِّ الله ﷺ الأذَى والتكذيبُ مِن قَومِهم[٣]، وَحالوا بَينهم وبينَ كُل سُوق قَدِمَت مكةَ، فَمَنَعوهم المسجدَ، وَضَربُوهم في طُرق مكةَ وحيثُ يَلْقَوْنَهم بعدُ حتى / خَرَجت طائفةٌ إلى الحبشةِ. [٧/ب]

وأرادَ الملأُ من قريش قتلَ نبيِّ اللهِ ﷺ، فائْتَمَروا بَينهم أن يُكَلِّمُوا أبا طالبِ

(١) ذهبت في هذا الموضع لوحة أو أكثر من النسخة، وهذا العنوان وضعته بالنظر إلى الموضوع.

(٢) هذا السياق وارد في قصة العاص بن وائل السهمي مع النبي ﷺ لما جاء إليه بعظْم حائل ففتَّه بيده، فقال: يا محمد، أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟! يُنظر كتاب «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (٧: ٧٤).

(٣) كذا في الأصل، وهو الصواب بدلالة السياق، يعني من قوم الذين آمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام.

في ابنِ أخيه، فإنْ فَعَلَ، وإلا تعاقدُوا علَى عَقْدٍ أن لا يُنْكِحُوهم، وَلا يُبايِعوهم حتى يَدْفعوه إليكُم، فكَتَبوا في صحيفتِهم عهداً بَينهم أن لا يَنكحوا مِن بَنِي عبد المطلب، ولا يُبايعوهم، ولا يُجالسوهم، وَلا يُكَلِّموهم حتى يَدفعوا إليهم مُحمداً ﷺ فيَقْتُلُوه.

فَمَشَوْا إلى أبي طالبٍ وَقد كَتبوا كتابَهم، فَقالوا: يا ابنَ عَبد المطلب، أنتَ أفضلُ قريشٍ اليومَ حِلماً، وأكبرُهم سنّاً، وأعظمُهم شرَفاً، وقد رأيتَ صنيعَ ابنِ أخيك، والسفهاءِ الذينَ مَعه الصباةِ المخْطِئينَ لأمرهم، إن قومَك قَد نَفرُوا إليكَ في أمرٍ فيه صلاحُ قومِك، وصلاحُهم لكَ صلاحٌ إن فَعلتَ، وإنْ أبيتَ، فَقد أبْلَغُوا إليكَ في العُذر، وفيه هلاكُك وهلاكُ أهلِ بيتِك، لا يَعْدُوكُم ذلكَ إلى أحدٍ غيرِكم، وَقَد كتبَ قومُك كتاباً فيه الذي تَكْرَهون إن أبَيْتم أن تَدفعوا إليهِم حاجَتَهم. [١/٨]

قالَ[١]: ما حاجَتُكم فيما قِبَلِي؟ قالُوا: حاجتُنا أن تدفعَ إلينا هذا الصابئَ الذي فَرَّق كَلِمَتنا، وأفسدَ جَماعَتنا، وَقَطَع أرحامَنا، فَنَقْتُله، وَنُعْطِيَك الدّية. قالَ: لا تَطيبُ بذلكَ نَفْسِي أن أرى قاتلَ ابنَ أخي يَمشي بِمكةَ وَقد أكلتُ دِيته. قالُوا: فإنّا نَدْفعُه إلى بعضِ ذُوبانِ العَربِ[٢] فيكونُ هو يَقْتُله، ويدفعُ إليكَ ديته، ونُعطيكَ أيَّ أبنائنا شئتَ، فيكونُ لكَ ولداً مكانَ هذا الصابئ.

فقالَ لَهم: ما أنْصَفْتُموني؛ تَقتلونَ وَلَدي، وَأغْذُو[٣] أولادَكم! أوَلا تعلمونَ أن الناقةَ إذا فَقَدَت وَلَدَها لَم تَحِنَّ إلى غيرِه؟! وَلَكنْ أمْرٌ هُو أجْمَعُ لَكُم مِمّا

---

(١) في الأصل: «قالوا»، والصواب ما أثبت.

(٢) يقالُ لصَعاليك العرب ولُصُوصِها: ذُوبانٌ؛ لأنهم كالذِّئبانِ، وأصلُ الذُّوبانِ بالهمز، ولكنه خُفِّف فانْقلَبَت واواً. «لسان العرب»، مادة: ذوب.

(٣) يقالُ: غذَوْتُ الصبيَّ باللَّبَنِ فاغْتذَى، أي: رَبَّيْته به. «لسان العرب»، مادة: غذا.

أراكُم تَخُوضونَ فيه؛ تَجمعونَ شبابَ قُريش مَن كانَ منهم بِسِنِّ مُحمد، فَتَقْتُلونَهم جميعاً، وَتقتلونَ مَعهم محمداً ﷺ. قالوا: لا لَعَمْرو أبيكَ، لا نَقْتُل أبناءَنا وإخوانَنا مِن أجل هذا الصّابئ، وَلكنْ سَنَقْتُله سرّاً أو علانيةً، فائْتَمِرْ لذلكَ أمرَكَ، فعندَ ذلكَ يَقولُ لهم:

كَذَبْتُم وبيتِ اللهِ يُبْزَى مُحمد ... وَلَمّا نُضارِب دُونَه وَنُناضِل [٨ ب]
وَنُسْلِمه حَتى نُصَدّع حَولَه ... وَنَذْهلَ عَن أبنائنا والحلائِل
وننهضَ نَهْضاً في نحورِكم القَنا ... كَنهض الرّوايا فِي طَريقِ حُلاحِل
وحتى نَرى ذا الرّدع يَركبُ رَدْعَه ... مِن الطَّعن مَشيَ الأنْكَبِ المتحامِلِ (١)

فِي قولٍ كَثيرٍ يَقولُه لَهُم.

فَلمّا سَمعتْ قُريش بذلكَ، وَعَرَفوا منه الجِدَّ يَئسُوا منه، وَأظْهَروا لبني عبدِ المطلب العَداوةَ واللفظَ القبيحَ السَّيئَ، فَأقسموا: لَيَقْتُلُنَّه سرّاً أو علانيةً.

فَلمّا عَرَفَ أبُو طالب أن القومَ قاتِلُو ابنِ أخيه إن استطاعُوا، وَتَتابَعت مَعهم القبائلُ كلُّها، فلمّا رأى ذلكَ أبو طالب جَمَعَ رَهْطَه، فانطلقَ بِهم، فقامُوا بينَ الأستارِ والكعبةِ، فَدَعَوا اللهَ علَى ظَلَمةِ قومِهم في قَطِيعَتِهم أرحامَهم، وانتهاكِهم مَحارِمَهم، وَتَناولِهم سفْكَ دمائِهم، فقالَ أبو طالب: اللهم إن أبَى قومُنا إلا البغيَ علينا، فَعَجِّلْ نَصْرَنا، وَحُلْ بَينَهُم وبينَ الذي يُريدون مِن قتلِ ابنِ أخي.

---

(١) يُبْزى، أي: يُقْهر ويُغلَب، وأراد: لا يُبْزَى، فحذف «لا» من جواب القسم، وهي مرادة، أي: لا يُقهَر ولم نُقاتل عنه ونُدافع. «لسان العرب»، مادة: بزا، والحلائل: الأزواج، والقنا: جمع قناة، والروايا جمع راوية، وهي الدابة التي يُسْتقى عليها الماء، وحلاحل: موضع، وهو بالجيم أعلى، والردع: الأثر من الدم، يركب درعه، أي: يَخِر لوجهه على دمه، والأنكب: المائل إلى جهة، والمتحامل: الجائر والظالم.

[٩ أ] ثُم أقبلَ إلَى جَمعِ قُريش وَهُم حيثُ ينظرونَ إليه وإلى أصحابِه، فقالَ / لَهم: إنّا قَد دَعَونا ربَّ هذا البيتِ على القاطعِ المنتَهكِ المحارمَ، واللهِ لَتَنْتَهُنَّ عَن الذي تُريدون أو لَيُنْزِلَنَّ اللهُ بكم فِي قَطيعتنا بعضَ الذي تكْرَهون. فَأجابُوه: يا ابنَ عبدِ المطلب، لا صُلحَ بيننا وبينكُم أبداً، وَلا رَحِمَ إلا علَى قَتْلِ الصّابئ السفيهِ، فعندَ ذلكَ يقولُ أبو طالب:

لَمّا رأيتُ القومَ لا وُدَّ فِيهم ... وَقَد طاوَعُوا أمرَ العَدّو المُزايِلِ
حَبَستُ فناءَ الله رَهْطِي وَمَعْشَري ... وَأمسكتُ مِن أثوابِه بالوَصائلِ
فَعُذْنا بِمَن أرْسَى ثَبيراً مَكانَه ... وَراقٍ ليَرْقَى فِي حِراء وَنازلِ
وبالحجَرِ الأسودِ إذ يَمسحونه ... إذا اسْتلموه بالضُّحى والأصائلِ

فِي قولٍ كثيرٍ يَقولُه مِن دعاءٍ علَى قومِه فِي شِعره، ثُم عَمَد فَدخلَ الشِّعْبَ بابنِ أخيه وبنِي أبيه وَمَن اتَّبَعَهم؛ مِن بَين مُؤمنٍ دَخلَ لِنصرِ الله ونصرِ رَسولِه، وَمِن بَينِ مُشركٍ يَحْمِي أنَفاً، فَدَخَلُوا شِعْبَهم، وَهُو شعبُ أبي طالبٍ في ناحيةِ مكةَ[1].

وانطلقَ ناسٌ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ فِراراً مِن قومِهم إلى النَّجاشي
[١٠ ب] ملكِ الحبشة، فَجَعلُوا يَخْرُجون إليه أرْسالاً حتى تَتامَّ[2] إليهِ منهم ثَلاثون رجلاً، وكانَ في آخرِ مَن خرجَ جعفرُ بنُ أبي طالب رضيَ اللهُ عنه، وَمَعمر بنُ الحارث، وَحُوَيطب بنُ عبد العزّى أخُو بَنِي عامرِ بنِ لُؤي، وَصفوانُ بن بَيْضاء الفِهري، وَأبو عامرٍ الأشعري.

---

(١) من قوله: «وأراد الملأ من قريش...» إلى هنا، رواه عن المؤلفِ ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦: ٣١٦- ٣١٩) من طريقَين بينهما اختلاف طفيف.

(٢) في الأصل: «تنام»، والصواب ما أثبت، وجزى الله خيراً من صحَّح لي هذا الموضع، قال ابن منظور: وقوله في الحديث: تَتامَّتْ إليه قُرَيش، أي: أجابته وجاءَتْه مُتوافِرةً مُتابعةً. «لسان العرب»، مادة: تمم.

فَلَمّا بلغَ ذلكَ قُريشاً وَجدوا منه، وقالُوا: الحبشةُ أهل الكتابِ، وهؤلاء أهلُ الكتاب، فنَخافُ أن يُصَدِّقُوهم، وَيَعْرِفُوا مِن أمرِهم ما عَرَفَ ورقةُ بنُ نوفل، فَيُبايِعُونَهم، وإنّا مَتْجَرُنا إليهم.

فكَتَبُوا صحيفةً إلى النَّجاشي، فَبَعثُوا بكتابهم إليه مَع عَمْرو بنِ العاصي السَّهمي وَعُمارةَ بنِ الوَليد المخْزُومي، فَرَكِبا البحرَ فسبقا النَّفَرَ إلى النَّجاشِي، فلمّا دَخَلا عليه سَجَدا له، وَسَلَّما عليه، وَقالا له: إن عشيرَتنا ناصحونَ لَك، يُحِبُّون صَلاحَك، وَيَشْكُرُون لَك فِي الذي تُبْلِيهِم فيمَن أتاكَ منهم، وَقالُوا لَه: إنَّه قَد خرجَ فينا رَجلٌ فرَّقَ جَماعَتنا، وأفسدَ علينا دِينَنا، ثُم بعثَ إليكَ رهطاً مِن أصحابِه، فِيهم ابنُ عَمه أخِي / أبيه؛ لِيُفسدُوا مِن مُلْكِكَ وَدِينِك، وَيُفَرِّقُوا عليكَ [١١/أ] رَعِيَّتَكَ، كَنَحوِ ما فَعلُوا بنا، وَإنّا أتيناكَ نصيحةً لكَ لِما جَعَلَ اللهُ بيننا وبينكَ، وَنُخْبِرُكَ عَنهم باثْنَيْن هُما يَشْهَدانِ لَك علَى الذي يُريدونَ بكَ وَبِرَعِيَّتك؛ إحداهُما: أنَّهم لا يسجدونَ لكَ إذا دَخَلوا عليك، والأُخرى: أنَّهم لا يَشْهَدُون أن عيسى ابنُ الله.

وَعَشِيرتُنا ناصحةٌ لكَ، فَأرْسَلُونا إليكَ لِتُوثِقَ هؤلاءِ النفرَ الذينَ هَرَبوا منهُم إليكَ، فادْفَعْهُم إلينا فَلْنَكُفَّهُم؛ فإنّا لا نُحِبُّ شيئاً ساءَكَ مِن قِبَلِنا، وأفسدَ عليكَ جماعةَ أصحابِك، وَنَحن خائفونَ عليكَ مِنهم إذا قَدِمُوا عليكَ غداً أن يَجْعَلُوا دينَ أصحابِك دِينَيْن.

فَلَمّا سَمِعَ ذلكَ النجاشيُّ غَضِبَ غضباً شديداً، فَأمَر بهما فَأُنْزِلا، وقالَ لَهُما: اسْكُنا حتى يَقْدَمَ أصحابُكما، فَنَنْظُرَ فِي أمرِهم وَأمرِكُما. ثُم قَدِمَ جعفرُ ابنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه وأصحابُه، فَدَخَلوا علَى النجاشِي، فَسَلَّموا عليه، وَلَم يَسْجُدوا لَه، فَغَضبَ النجاشِي، / وقالَ: ما مَنَعكم أن تُحَيُّوني كما يُحَيِّيني [٩/ب]

مَن أتاني مِن قَومكم، وكما تُحَيِّيني الناسُ، وتَسجدُوا كَما يسجدُ لي أهلُ الأرض؟! إنَّكم لأنْتُم الذي ذُكِرَ لي شأنُكم.

فقامَ إليه جعفرٌ رضيَ اللهُ عنه، فقالَ: إنَّما كانَت تلكَ التحيةُ الذي[1] تَسْألُناها تَحيةَ بَعضِنا بعضاً، وَنَحنُ نعبدُ الأوثانَ، فَبعَث إلينا رَسولاً صادقاً، فَأمَرَنا بتحيةٍ سواها، رَضِيَها اللهُ لَنا، وهي تَحيةُ أهلِ الجنة التِي تُحَيِّيهم بِها الملائكةُ، وهو اللهُ السَّلام، فَحَيَّيْناك بالذي يُحَيِّي به بعضُنا بعضاً، وبالذي رضيَ اللهُ لَنا ورسولُه.

فَعَرَفَ النَّجاشي صِدْقَهم، قالَ: فَما أخرجَكم مِن قومِكم؟ فقالَ لَه جَعفرٌ: إنّا لَمّا عَبَدنا الرحمنَ، واتَّبعنا الرَّسولَ، وَكَفَرْنا بالأوثانِ، وَحَرَّمْنا ما حَرَّم الله ورسولُه؛ عادانا قومُنا، وَعادَوْا رسولَ الله ﷺ فَآذَوْه، وَأخذُوا طائفةً مِنا فَعذَّبُوهم بالنارِ، فَخِفْنا علَى أنفُسنا، فَهَرَبْنا إليكَ بِدِيننا؛ بإذنِ الله رَبِّنا، وبإذنِ رَسوله ﷺ.

فقالَ لَهم النَّجاشي: مَرحباً وَأهـلاً بِكم، لَكُم عندِي الذي يَسُرُّكم[2]، وَيُصلحكُم مِن المنْزل والرِّزق، وَرَدَّ عَمْراً وأصحابَه، وقالَ: لا حاجةَ لِي فِي نَصيحَتِكما؛ فإنَّ هؤلاء مَظلومونَ، وأنا لَهُم جارٌ ما دامُوا في بلدِي. وَنادى مُنادِيه فِي أهلِ أرضِه: أن أحْسنُوا مُجاورتَهم، فَوالله لا أعْلَمَنَّ أحداً مِن الناسِ كَلَّمَهم إلا بِما يَشْتَهُون، إلا غَرَّمْتُه عَشَرةَ دَنانيرَ.

فاجتمعَ ناسٌ مِن عُلماء القِسّيسين والرهبانِ، فَقالوا للنجاشِي: اجْمَع بَيننا وبينَ هَؤلاء القومِ، فَيقولونَ ونقولُ؛ فإنَّه قَد بَلَغنا أنَّهم يَزعمونَ أن عيسَى كانَ

---

(١) كذا في الأصل، وله وجهٌ.

(٢) في الأصل: «ورد بالذي يسوؤكم»، والمثبت من «دلائل النبوة» لقوام السنة الأصبهاني (٣: ٨٦١).

عبداً لله، فَفعلَ النجاشي ذلكَ، فَجمعَ بَينهم، فاخْتَصَمُوا، [فقال][1] القسّيسُون والرُّهبان لجعفرٍ وأصحابِه: ما كانَ دينُ إبراهيمَ؟ قالوا: كانَ حنيفاً مسلماً، وَما كانَ مِن المشركين، فقالَ القِسّيسون والرهبانُ: / نَحنُ أَحَقُّ بإبراهيمَ مِنكم. [١١ ب]

ونزلَ جبريلُ عليه السلام علَى نبيّ الله ﷺ، فَأخبرَه بِخُصومة أصحابه عندَ النَّجاشي، وَأنزلَ عليه: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

فَلَمّا فرغَ القومُ مِن خُصومَتِهم في إبراهيمَ، قالَ القسّيسون لجعفرٍ وأصحابه: فَما تَقُولون في عيسَى؟ قالَ جَعفرٌ: نَقولُ فيه ما قالَ اللهُ رَبُّنا، وَأتانا به رَسولُه، قالُوا: وَما هُو؟ قالَ: كَلِمةٌ مِن الله وَرُوحُه ألْقاه إلى العَذْراءِ البَتُول، كانَ عيسَى عبداً أكْرَمه اللهُ وَعَلَّمَه، فكانَ يَخْلُقُ مِن الطِّين كَهيئةِ الطيرِ، فَينفخُ فيه، فيكونَ طائراً بإذنِ الله، وَيُبْرِئُ الأكْمَه والأبْرَص بإذنِ الله، وَيُحْيِي الموتَى بإذنِ الله.

قالَ القسّيسون: قَد نَعْرِفُ مِن نَعْتِ عيسَى الذي تَقولونَ، غَيْرَ أنه لَم يَكُن بِعَبْد. قالَ النَّجاشي: واللهِ ما يَزيدُ عيسَى علَى ما يقولُ هذا الرجلُ وأصحابُه مِثْلَ هذهِ النُّفاثة[2] / [مِن سواكِي، وإنْ كانَ لَكَما يَقُولون، وإنّي لا أُدلُّ علَى رجلٍ [١٢ أ] خاصَمهم فيه إلا غَرَّمْتُه مئةَ دينارٍ، وَنَفَيْتُه مِن أرضِ الحبَشةِ][3].

* * *

(١) وقع في الأصل تقديم وتأخير، والتصويب من «دلائل النبوة» للأصبهاني (٣: ٨٦١).

(٢) ما يَعْلَق بالأسنان من طَعام أو نحوه فيُرْمى به.

(٣) زيادة من «دلائل النبوة» لقوام السنة الأصبهاني (رقم: ١٣٣)، وقد رواه عن المؤلِّف، من قوله: «فقالَ لَهم النَّجاشي: مَرحباً وَأهلاً بِكم» إلى هنا، بلفظه سواء بسواء إلا ما ندر.

[خروج النبي ﷺ من الشعب وانقطاع الحصار](١)

[ثُم إن اللهَ عَز وجل برحْمته أرسلَ علَى صَحيفةِ قُريش التِي كَتبُوا فيها تَظاهُرهم علَى بَنِي هاشم الأَرَضة، فَلم تَدَع فيها اسْماً هُو لله عز وجلّ إلا أَكَلته، وبقيَ فيها الظُلمُ والقَطيعةُ والبهتان.

فأخبرَ اللهُ عزَّ وجل بذلكَ رسولَ الله ﷺ، فَأخبرَ أبا طالب، فقالَ أبُو طالب: يا ابنَ أخي، مَن حَدَّثكَ هذا، وليسَ يَدخلُ إلينا أحد، وَلا تَخرجُ أنتَ إلى أحَد، ولستَ فِي نفسي مِن أهلِ الكذب؟ فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «أَخْبَرَني رَبِّي هذا»، فقالَ لَه عَمُّه: إن ربكَ لَحَقٌّ، وأنا أشهدُ أنك صادقٌ، فَجمعَ أبو طالب رَهْطه، وَلَم يُخبرهم بِما أخبرَه به رسولُ الله](٢) ﷺ كَراهيةَ أن يفشوَ مِن ذلك(٣) الخبرِ، فيبلغَ المشركينَ، فَيَحْتالوا للصحيفةِ الخبْثَ والمكرَ(٤).

فانطلقَ أبُو طالب برهطِه حتى دخلَ المسجدَ، والمشركونَ مِن قُريش فِي ظلّ الكعبةِ، فَلَمّا أبصرُوه تَباشَرُوا به، وَظَنُّوا أن الحَصْرَ والبلاءَ الذي أصابَهم حَمَلَهم علَى أن يَدْفَعوا إليهِم رسولَ الله ﷺ فَيَقْتُلوه، فلمّا انتهَى إليهِم أبو طالبِ وَمَعه رَهْطُه رَحّبُوا بِهم، وقالُوا لَهم: قَد آنَ لَكُم أن تَطيبَ أنفسُكم عَن قَتلِ رجلٍ، فِي قَتله صَلاحُكم وَجماعتُكم، وَفِي حَياتِه فُرْقَتُكم وَتَعادِيكم.

---

(١) ذهبت في هذا الموضع لوحة أو أكثر من النسخة، وهذا العنوان وضعته بالنظر إلى الموضوع.

(٢) ما بين المعقوفين زدته من «سيرة ابن إسحاق» برواية ابن بكير (ص٢٠٣)، إتماماً للسياق.

(٣) في الأصل: «ذلك من».

(٤) في الأصل: «والمنكر»، والمثبت من «سيرة ابن إسحاق» (ص٢٠٣).

قالَ أبو طالب: أَتيْتُكم لأمرٍ لَعله يكونُ فيه صلاحٌ وجَماعةٌ لِمَن قَبِلَ ذلكَ مِنكم، هَلُمَّ صَحِيفَتَكم التِي فيها تَظاهُركم علينا. وَهُم لا يَشُكُّون أنّهم دافعو رسولِ الله / ﷺ إليهم إذا نَشَرُوها، فَلمّا جاؤُوا بصحيفتِهم قالَ لَهم أبو طالب: [١٢/ب] صَحيفتُكم التِي في أيديكم بَيني وَبينكم، إن ابنَ أخي قَد حَدّثني ـ وَلم يَكْذِبْني ـ أن اللهَ عزّ وجلّ قَد بعثَ علَى صَحِيفتِكم آكِلةً لَم تَدَع للهِ فيها اسْماً إلا أكَلَتْه، وبقِيَ فيها الظلمُ والقطيعةُ والبُهتان، فإنْ كُنا كَذَبْناكم فَلَكم عليّ أن أدْفعَ إليكُم ابنَ أخي فَتَقْتُلوه، وإنْ كُنا صَدَقْناكم، فَهل ذلكَ ناهِيكم عَن تَظاهركُم علَى قَطِيعَتنا وَظُلمنا؟ قالوا: فذلكَ بينَنا وبينكَ، فَأَخَذ عليهِم المواثيقَ، وَأخذُوا عليه.

فَلَمّا نَشَروا صَحِيفتهم إذا هيَ كَما قالَ رسولُ الله ﷺ، وكانَ هُو أولَى بالغُذْر مِن المشركين[١]، فاستبشرَ أبو طالب ورهطُه، وقالُوا: أيُّنا أولىَ بالسِّحر والقَطيعةِ / والبُهتان؟! فقامَ المطْعِم بنُ عديّ بنِ نَوفل بنِ عبد مَناف، وَمَخْرَمةُ بن نوفل [١٣/أ] ابنِ عبد مناف بن زُهرة، وَعَمرو بنُ هشام أَخُو بَنِي عامر بنِ لُؤَي، والعلاءُ بن حارثة[٢] الثَّقفي، فَقالوا: نَحن بُرَآءُ مِن هذه الصحيفةِ الغادرةِ القاطعةِ الظالِمة، وَلا نُبالي[٣] أحداً فِي فسادِ أَنْفُسنا وأشرافِنا، وَتَتابعَ علَى ذلكَ [ناسٌ][٤] مِن أحياءِ قريش.

فَخرجَ إليهِم [أقوام][٥] مِن شِعبهم بعدَ ما أصابَهم الجَهْدُ الشّديد، وعندَ ذلكَ يَقولُ أبو طالبٍ يَذْكرُ ابنَه جعفراً وأصحابَه فِي أرضِ الحبشة:

---

(١) في «سيرة ابن إسحاق» (ص٢٠٤): و«كانوا هم بالغدر أولى منهم».

(٢) كذا في الأصل ومصادر أخرى، وفي بعضها: «العلاء بن جارية».

(٣) في «سيرة ابن إسحاق» (ص٢٠٤): «ولن أغالي أحداً».

(٤) زيادة من «سيرة ابن إسحاق» (ص٢٠٤).

(٥) زيادة من «سيرة ابن إسحاق» (ص٢٠٤).

ألا هَـل أتـى بَحْرِيَّنـا صُنْـعُ رَبِّنا   علَى نَأْيِهِم والنـاسُ بالأمرِ أرْوَدُ[١]
فَيُخبِـرَه أن الصحيفـةَ أُفْسِـدت   وأن كلَّ مـا لـم يَرْضَه الله مُفْسَـد
أإفـكاً وسِـحراً جُمِّعَـا وقطيعـةً   ولَم يُلْفَ سِـحْرٌ آخِرَ الدّهر يَصْعَدُ

فخرجَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فظَهَرُوا بِمكةَ، وَأَمِنُوا فيها، وَحَضَرَ الموسمَ،
[١٤/ب] فقالَ الوليدُ بنُ المغيرة لقُريش: إن الناسَ مُجتمعون غداً فِي الموسمِ، / وَسائِلوكُم عَن صاحبكم هذا، فإنّه قَد أغارَ قولُه في البلادِ وَأَنْجدَ[٢]، فماذا تَرُدُّون عليهم؟ قالُوا: نُخْبِرُهم أنّه شاعرٌ، قالَ: إذنْ يَلْقَوْنَه فَلا يَسْمَعوا قولَه يُشبه الشعرَ فَيُكَذِّبُوكم، قالوا: سَنُخبرهم أنّه مَجنون، قالَ: إذنْ يَلْقَوه فَيَسْمَعونه فصيحاً عاقِلاً، فَيُكَذِّبُوكم، قالوا: فَنُخْبِرُهم أنّه كاهنٌ، قالُوا: إذنْ يَلْقَوهِ فَلا يَسْمَعوا قولَه يُشبه الكهانةَ، ثُم انصرفَ إلى بَيته.

فَقالت قُريش: واللهِ لَقَد صَبأ الوليدُ، وايْمُ الله، لَتَصْبَأَنَّ قريش كلُّها، فقالَ لَهم أبو جهل: فَأنا أَكْفِيكُمُوه، فانطلقَ إليه حتى دخلَ عليه وَهو كَهَيئة الحزين، فقالَ لَه الوليدُ: ما يُحزِنُكَ يا ابنَ أخِي؟ قالَ: يُحْزِنُني أنّي رأيتُ قريشاً قَد جَمعوا لكَ نَفقةً يُعِينُونَك بِها علَى كِبَرِكَ وَزَمانَتك، فقالَ: أَلَسْتُ أكثَرَ قُريش مالاً وَولداً، فَفِيمَ تَجمعُ لي قريشٌ النفقةَ؟ قالَ لَه أبو جَهل: فإنَّهم يَتَحدَّثون أنَّما قُلتَ الذي
[١٥/أ] قُلْتَ فِي شأنِ محمدٍ ﷺ وأصحابِه، / [فقالَ: واللهِ ما يَسْمَعُوني، فكيفَ أَقْدِرُ أن آخذَ مِنهم مالاً؟! ولكنّي أكثرتُ حديثَ النفسِ في أمرِ هذا الرَّجل، وَتَفَكَّرْتُ في شأنِه، فَقولُه قولُ ساحرٍ، والذي يأتي به سِحرٌ، فذلكَ قولُه: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾][٣].

---

(١) في الأصل: «أورد»، ومعنى أرود: أرفق.

(٢) في الأصل: «واتخد»، وهو تصحيف، يراجع الخلاف في تفسير أغار وأنجد في «تاج العروس» للزبيدي، مادة: غور، (١٣: ٢٧١).

(٣) بين المعقوفين زدته مما نقله الواحدي في «البسيط» (٢٣: ٣٧١) عن الكلبي، إتماماً للسياق؛ لسقوط لوحة أو أكثر في هذا الموضع.

[موت أبي طالب واشتداد الأذى على النبي ﷺ](١)

وَحده لا شريكَ لَه، فنَفَروا منها، وَغضِبوا ثُم نَهَضوا فَخَرجوا، فقالُوا: إن هذا لشيءٌ يُرادُ؛ يَأمرُنا محمدٌ أن نَرفضَ آلهتنا كُلَّها، ونَعبدَ رَبّاً واحداً! قالُوا: اصْبِرُوا علَى آلهتِكم؛ فإنَّما هذا اختلاقٌ، يُوشكُ محمدٌ أن يَدَعه، وَيموتَ عَمُّه فَتَنْفِيَه من أرضنا.

فأنزلَ اللهُ عز وجلّ عليه: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾، إلى قوله: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٤-٨].

فلمّا رأى أبو طالب غَضَبَ القومِ وَذُعْرَهم قالَ: يا ابنَ أخِي، لَقد ذُعِرَ قَومُك مِن أمْرٍ، ما أَسأتَ لَهُم في الحكْم، وَلا أشْطَطْتَ لَهم في القَول، فأعجبَ تلكَ الكلمةُ النبيَّ ﷺ.

وَجَمَع أبو طالب رَهطه، فقالَ: يا معشرَ بنِي هاشم، أطيعُوا محمداً، وَصَدِّقُوا قولَه؛ تُفْلِحوا وَتَرْشدُوا، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «إنكَ تأمرُهم بالنصيحةِ [١٥ ب] لأنفسهِم، وَتَدَعُها لنَفْسكَ!»، قالَ: ما الذي تُريد يا ابنَ أخي؟ قالَ: «أريدُ كلمةً واحدةً؛ فإنَّك في آخرِ يومٍ مِن الدنيا، أن تقولَ: لا إلهَ إلا الله وَحده لا شَريك لَه، أشْهَدُ لكَ بِها يومَ القيامةِ»، قالَ لَه عَمّه: يا ابنَ أخي، لَقد علمتُ أنَّك صادقٌ، ولكنّي أكْرَه الجزَعَ عندَ الموتِ، وَلولا أن يكونَ عليكَ وعلَى بَنِي

(١) ذهبت في هذا الموضع لوحة أو أكثر من النسخة، وهذا العنوان وضعته بالنظر إلى الموضوع.

أبيكَ غَضاضةٌ فِي قريشٍ بَعدي لَقُلْتُها، وَلأقْرَرْتُ عينكَ عندَ الفراقِ مِمّا أرَى مِن شِدّة وَجْدِك وَنُصْحِكَ لِي، فَجَهدَ نبيّ الله ﷺ على إسلام عَمّه، فأنزلَ الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

فماتَ أبو طالبٍ، واشتدَّ علَى نبيّ الله ﷺ الأذى مِن قومِه، فكانَ أولَّ مَن تناولَ النبيَّ ﷺ بعدَ موتِ أبي طالب بأذىً عبدُ الله بنُ أبي ربيعةَ بنِ المغيرة، قالَ: فَشَعَّثَ[1] مِن رسولِ الله / ﷺ. [١٦ أ]

فوافقَه حمزةُ عندَ ذلكَ، فقالَ: ما لكَ يا ابنَ أخي؟ وَمَن وَقَعَ بك؟ فقالَ النبيّ ﷺ: «وَقَعَ بِي عبدُ الله»، فَأتَى حَمزةُ فِي مَجْمَعٍ مِن قُريش، فَأَخَذَه فَصَرَعه، ثُم مَثَّل به سَيئةً فِي وجهِه ورأسِه، لا يَقومُ إليه أَحَدٌ مِن المشركين يَحْجُزُه عنه حتى فرغَ. قالَ لَه رجلٌ مِن قريش: ما نَراكَ يا حَمزة إلا قد صَبَأْتَ، قالَ حمزةُ عندَ ذلك حَمِيّةً مِمّا فُعِلَ بابنِ أخِيه: أجَل قَد فَعلتُ، وما لِي لا أفْعَلُ وَقَد استبانَ لِي منه الحقُّ؟!

ثُم رَجَع حمزةُ إلى بيتِه، فَأتاه الشيطانُ، فقالَ: يا سيدَ قُريش، اتَّبعتَ هذا الصابئَ، وَفارقتَ دينَ آبائك، لَلْمَوتُ خيرٌ لَك مِمّا صنعتَ! فأقبلَ علَى حمزةَ هَمُّه، فقالَ: ما فَعلتُ، اللهُم فإنْ كانَ رَشَداً، فَأَلْقِ تَصديقَه فِي نفسي، وإلا فاجْعَل لِي مِمّا وقعتُ فيه مَخرجاً، فباتَ بِليلةٍ لَم يَبِتْ بِمثلها، مِن وسواسِ الشيطان وَتَحْزينه / إيّاه حتى أصبحَ. [١٦/ب]

فَغَدا على نبيّ الله ﷺ، فقالَ: يا ابنَ أخِي، قَد وَقعتُ فِي أمرٍ لا أعرفُ منه المخْرَجَ، وإقامةُ مِثْلي علَى ما لا يَدري، أرشدٌ هُو أم غَيٌّ؟ فَحَدِّثْني؛ فَقَد

---

(١) شعَّث مِن صاحبه: غضَّ منه وتنقَّصه. «لسان العرب»، مادة: شعث.

اشتهيتُ حديثَك بعدَ إنكارٍ. فأقبلَ عليه نبيّ الله ﷺ فذَكَّره وَوَعظَه، واقترأ عليه، وَخَوَّفه وبَشَّره، فألْقَى اللهُ في نفسِه العِرفانَ لِما قالَ لَه رسولُ الله ﷺ، فقالَ: أشهدُ أنَّك صادقٌ شهادةَ المصَدِّقِ العارفِ، فاظْهَرْ يا ابنَ أخِي، وَأظْهِرْ دينَكَ، فَوَأبيكَ ما أُحِبُّ أن لِي ما أظَلّت السماءُ وأنّي علَى دِيني الأولِ، فكانَ حَمزةُ مِمَّن أعَزّ اللهُ به الدِّين.

فَلَمّا رَأت قريشٌ أن ذَوي الرأيِ والحِجا مِن قريش قَد جَعلُوا يُبايعونَ رسولَ الله ﷺ، ائْتَمَروا به لِيَقْتُلوه قبلَ أن يُسْلِمَ مِن قُريش مَن يَمْنَعُه، فَأخذُوا في المكرِ. / [١٧ أ]

* * *

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قالَ أبو جهل: مَن يَنْتَدِبُ لِهذا الأمر؟ قالَ عمر بنُ الخطاب: أنا لَه، فانطلقَ عُمر لِيَلتمسَ نبيَّ الله ﷺ لِيَقْتُلَه ـ زَعَم ـ فلقيَ عامرَ بنَ ربيعةَ العَدَوي مِن بَنِي عَدي بنِ كَعب، فقال: أينَ يا ابنَ الخطّاب؟ قالَ: أريدُ محمداً الذي سَفَّه عقولَ قُريش، وخالفَ جَميعَ أمرهم، وطَعَن علَى آلِهَتهم، فقالَ لَه عامر: تريدُ ماذا؟ قالَ: أقتلُه. قالَ: لبئسَ المَمْشَى مَشَيْتَ يا ابنَ الخطّاب، أتَراكَ إن قَتَلْتَه تَمشِي آمناً في بنِي زُهرة وفي بنِي عبدِ مَناف؟! أنتَ واللهِ الأحمقُ السفيهُ، فقالَ عُمر له: ما أراكَ إلا قَد صَبأتَ، وايْمُ الله لو أعلمُ ذاكَ لَبدأتُ بكَ قبلَ مُحمد ﷺ.

فقالَ لَه عامر: أوَلا أدُلُّك علَى مَن أحَقُّ أن تبدأ [بهِ][1] منِّي ومِن محمد؟ قالَ: ومَن، لا أبا لكَ؟ قالَ: أُختك وخَتَنُك ابنُ عمك، / هُما أحَقُّ أن تبدأ به. [١٧ ـ] فانصرفَ قِبَلَهُما، ورَفَضَ الرَّجلَ، ولَها عَن نبيِّ الله ﷺ حتى انتهَى إلى بابِ أُخته، فوَجَدَهم يَقرؤونَ القرآنَ.

وَقد زَعَموا أن رسولَ الله ﷺ قالَ لَيْلَتَئِذ: اللهمّ أعِزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب، أو بأبِي جَهل، فضَرَب عمرُ البابَ، فلَمّا سَمعت المرأةُ صوتَ عمر خافَت، فرَفَعَت الصحيفةَ، واختفَى ضيفُهم ـ وهو خَبّابُ بنُ الأرَتّ مولى ثابتِ ابنِ أُمّ أنْمار الثَّقفي ـ فِي الدّاخل، وَفتَحت المرأةُ البابَ، فدَخلَ عُمر البيتَ، فلَم يرَ غيْرَها وَزوجَها، فقالَ: ما هذه الهَيْنَمة التي فِي بَيتكم، سَمِعتُها وأنا علَى البابِ؟ ـ وكانُوا يُسَمُّون الدراسةَ الهَيْنَمة ـ قالَت المرأةُ: ما عدا حَديثًا بيننا

(١) سقط من الأصل.

نَتَحَدَّثُه، فقالَ عُمر: أحلفُ باللاتِ والعُزَّى لا أخرجُ مِن هذا البيتِ حتى أعلمَ ما كُنتم تَقولونَ؛ فإنّه قَد بلغني أنَّكُما قَد تابَعْتُما محمداً، وإنّي أعلمُ أن هذه الهيْنَمةَ التِي سمعتُه كتاباً[1] كَتَبتموه، فأرُونيه أنظرُ إليه. [١٨/أ]

قالَ خَتَنُه ـ وَهو سعيدُ بنُ زيد ـ: أمُضْطَغِطٌ[2] الناسَ يا عُمر أنتَ على هَواك، وإن كانَ الحقُّ سِواه؟ فَغَضِبَ عُمر فَبَطشَ به، فضرَبه ضَرباً شديداً، فَقامت المرأةُ تَحْجُزُه عَن زوجها، فَنَفَحَها عمرُ بيدِه، فَشَجَّها في وَجهها بِحجر، فَلمّا أبْصَرت الدمَ غَضِبَت، وَقالَت: يا عُمر، أرأيتَ الذي بَلَغَكَ عَنّي ما تكرهُ مِن تَرْكِي آلِهَتَك وكُفري باللاتِ والعُزى، فإنَّه حَق، وَأنا أُشْهدُك أنّي منها بريئةٌ، وأن اللهَ لا إلهَ إلا هو وحدَه لا شريكَ لَه، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، فائْتَمِرْ علَى ذلكَ أمركَ، واقْضِ ما أنتَ قاضٍ.

فَلَما سَمعَ عُمر ذلكَ سُقِطَ في يدِه، وَيئسَ مِن الكتاب أن يَأخذَه، قالَ لأُخته: إنّي قَد آلَيْتُ، عَلَيَّ يمينٌ أن لا أخْرُجَ حَتى آخُذَ الكتابَ، فَلا تُحَنِّثِيني قَسَمِي؛ فإنِّي أُعْطِيكِ ميثاقاً تَطمئنُّ إليه نَفسُكِ أن لا أُغَيِّره حتى أرُدَّه عليك، فلمّا رَأت حِرصَه على الكتابِ، رَجَت أن تكونَ دعوة رسولِ الله ﷺ، فأخَذَت ميثاقَه، ثُم أمَرَته أن يغتسلَ من الجنابةِ، فَفعَل، فَأعْطَته الصحيفةَ، فاقترأها مِن أولِ «طـه»: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [ص: ١٤]. [١٨/ب]

فَتحـرَّكَ لذلكَ قلبُـه، فقالَ: اعْرِضُوا عليّ الإسلامَ، قالا لَه: تَشهدُ أن لا إلهَ إلا الله، وَتَكْفُرُ باللاتِ والعُزَّى، وَتَخلَعُ الأندادَ، وتَبرأُ مِن الأوثان، فَفعلَ،

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) قال ابن منظور: ضغط عليه واضتغط: تشدَّد عليه في غرْم أو نحوه، عن اللحياني، كذا حكاه اضتغط بالإظهار، والقياس اضطغط. «لسان العرب»، مادة: ضغط.

فَخرجَ خَبابٌ مِن الدّاخلِ، وَكَبَّر، وقالَ: الحمدُ لله، إن رسولَ الله ﷺ دعا البارحةَ رَبَّه أن يُعِزَّ الدِّينَ بكَ أو بأَبِي جَهل، فَجعلَ ذلكَ لكَ، فاقْبَل كرامةَ اللهِ.

فقالَ لَهم عُمر: دُلُّوني على محمدٍ ﷺ، فلمّا عَرَفوا منه اليقينَ والإخباتَ
[١/١٩] أرْشَـدوه إلى الدارِ التي هُو فيهـا، فانطلقَ عُمـر إليهِم، فدخلَ عليهِم، فقالَ رسولُ الله ﷺ حينَ رَآه: «إن يُرِد الله بعمر خيراً يُوَفِّقه للإسلام». فلمّا انتهَى إلى النبيّ ﷺ قامَ إليه، فَأَخَذَ بيدِه، فقالَ: «ما وَراءكَ يا عُمر؟» قالَ: الذي تُحب، فَشَهِدَ شهادةَ الحقّ، وَبَرِئَ مِن اللاتِ والعُزى، ثُم خَرَجوا فأَظهرُوا ذلكَ، فاشتد عليهِم الأذَى مِن قريش.

فَخَرجَ رسولُ الله ﷺ مِن مكةَ، واستخفَى مِن قومِه حتى حضرَ الموسمُ، فأتَى العباسَ، فقالَ: أي عَمّ، ما أرَى لي عندكَ ولا عندَ بَني أبيكَ مَنعةً، وَقد مَنَعني هؤلاء القومُ جوفَ مكةَ، فاحْمِلْني إلى السوقِ غداً بِعُكاظ، فَعَرِّفْني منازلَ قبائلِ العَرب؛ لَعَلّي أعرضُ نَفْسِي عليهِم، فَفعلَ العباسُ ذلكَ، وَقَدِمَ به السوقَ، فَأرْشَدَه منازلَ أحياءِ العَرب، فقالَ: يا ابنَ أخِي، احْتَلْ لِنفسك.

[٢٠/ب] وانطلقَ النبيّ / عليه السلامُ، فأتَى منازلَ أهلِ اليَمن، فلقيَ أبْضَعةَ بنَ مَعدِي كرب بنِ وليعةَ الكِندي أخا بَني عَمْرو بنِ ربيعةَ، فَعرضَ عليه نفسَه، فقالَ: أدعوكَ إلى اللهِ عَزّ وجلّ وَحْده لا شريكَ له. فقالَ أبضعة: بَدَأْتَ بِي لِتَفْتِنَنِي عَن دِيني، وَأُنابِذَ الناسَ علَى سواءٍ! لستُ أُطيقُ ذلكَ، ولِي أمراءُ بأرضٍ لا أمتنعُ إلا بَدأتُ بِهم، فالْتَمسْ سواي.

فَتركَه، وَعَمَدَ إلى منازلِ ربيعةَ، فَلقيَ أُناساً مِن قَيس بنِ ثَعلبة، فيهِم الحُطَم، فقالَ: مَن الحيّ؟ قالُوا: بَكر بنُ وائل، قالَ: وكيفَ العَدد؟ قالوا: مثلَ الحصَى، قالَ: فكيفَ المنَعة؟ قالَ: مَعنا قَومٌ لا نَمْنَعُ مَعهم شيئاً، قالَ: مَن هم؟ قالوا:

الفُرس، قالَ: فَبِاللهِ عَليكم إن لَم يأتِ عَليكم إلا قليلٌ حتى تنكحُوا نساءَهم، وَتَسْتَعبدُوا أبناءَهم، وَتَنْزِلُوا مساكنَهم، أن تُسَبِّحُوا الله ثلاثاً وثلاثينَ، وَتَحْمَدوا ثلاثاً / وثلاثينَ، وَتُكَبِّروه. يعني أربعاً وثلاثين، قالوا: اللّهم نَعم. [٢١ أ]

قالَ: فانصرفَ عَنهم، فَأتى بَنِي عامرِ بن صَعْصَعة، فقالَ لَهم: مَن الحيّ؟ قالُوا: بَني[1] عامر بنِ صعصعة، فَعَرضَ عليهِم نفسَه، وَشَكا إليهم تكذيبَ قَومه إيّاه، وقالَ: امْنَعُوني حتى أُبلغَ رسالاتِ رَبّي، وَلا أُكْرِهُ أحداً مِنكم على شيءٍ، قالُوا: مرحباً بكَ، نَمْنَعُكَ وَنُؤْوِيكَ حتى تُبلِّغَ رسالاتِ رَبّك.

فَبينما هُم كذلكَ إذْ أتاهُم رَجلٌ مِن بَنِي قُشَيْرٍ يقالُ له: بَيْحَرةُ بنُ فِراس بنِ عبد الله بنِ سَلَمةَ بنِ فَرس[2]، فقالَ: ما هذا الرجلُ بينَ أرْحُلِكُم لا أعرفُه؟ قالوا: هذا محمدُ بن عبد الله القُرَشي، شَكا إلينا أن قومَه لا يَذَرُونه يُبَلِّغُ رسالاتِ الله، فَأتانا لِنَمنعَه. فقالَ لَهُم بَيْحَرة: بئسَ ما صَنَعْتم! واللهِ ما أعلمُ حيّاً مِن العربِ فعلَ بهذه السوقِ شرّاً مِمّا فَعَلتم؛ عَمَدْتُم إلى دَجِيقِ[3] قوم، فَأخْرَجْتُموه[4]، لَتَرْمِيَنَّكم العربُ عَن قوسٍ / واحدةٍ، لَعَمْري، لَقَومُه أعْلَمُ به لَو وَجَدوا عندَه [١٩، ب] خيراً ما أخرجوه، ولكانوا هُم أسعدَ الناسِ به، فَأخرجوه كما أخرجَه قومُه، قالُوا: يا مُحمد، اغْمِدْ لِطِيّتِكَ[5] وإصلاحِ قومِك، فَلا حاجةَ لَنا فيكَ.

فَعَمَدَ رسولُ الله ﷺ إلى الطائفِ، فانتهَى إلى بَنِي عَمرو بنِ عُمير وَهُم في حَلْقةٍ مِن ثَقيف، وَهُم قريشٌ وأشرافُ أهل الطائف يومئذٍ، فَعَرَض عليهِم

(١) كذا في الأصل، وله وجه. (٢) كذا في الأصل.

(٣) الدَّجِيق: الطريد المقصى، «غريب الحديث» للخطابي (١: ٤٥٩).

(٤) كذا في الأصل، وفي «غريب الحديث» للخطابي (١: ٤٥٩)، كما تقدم في المقدمة الدراسية: «فأجرتموه».

(٥) أي: امْضِ لِوَجْهِكَ وقَصْدِك، «غريب الحديث» للخطابي (١: ٤٥٩).

نفسَه، وشكا إليهم تكذيبَ قومِه، والذي يَلْقَى هُو وأصحابُه في الله، فقالَ: امْنَعوني حتى أُبَلِّغَ رسالاتِ رَبّي، وَلا أُكْرِهُ أحداً مِنكم علَى شيءٍ يَكْرَهُه، فإنّي رسولُ الله، فَسَكَتَ القومُ، وَتَكَلَّم حبيبُ بنُ عَمْرو، فقالَ: حبيبُ بنُ عمرو يَسرقُ حِجابَ الكعبةِ إن كان اللهُ أرسلكَ بشيءٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أما إنّي لَعلّي أُذَكِّرُكَ هذا».

وقالَ كنانةُ بنُ عَبْد ياليل / بنِ عَمرو: ما وَجَدَ اللهُ رسولاً يُرسلُه غَيْرَك، وهُو [٢٠/أ]
يَشْهَدُ أنّك كَذّاب!

وقالَ مَسعود بنُ عَمْرو: واللهِ لا أُكَلِّمُك بعدَ مَجلسِي هذا أبداً؛ لئِن كنتَ رَسولاً لأَنْتَ أعظمُ في أنفسنا وأشرفُ مِن أن نُكَلمك، ولئِن كنتَ تَكْذِبُ على الله لأنتَ أَشَرُّ فِي أنفسنا مِن أن نُكَلّمك، فاخْرُج مِن أرضنا.

فاجتمعتْ ثَقيف مَعهم الحجارةُ لِيَقْتُلوه، فقالَ لَهم مَسعود: لا تَقْتُلوه؛ فإنّا نخافُ التِّباعةَ والأَضْغان، ولَكن اجْلِسُوا لَه سِماطَيْنِ[1] على طريقِه، فارْمُوا قَدَمَيْه وَساقَيْه، واتّقوا مَقاتِلَه، وَصِيحُوا به، وَأَذْعِرُوه أن يعودَ إلينا، فَفعلوا. فَجعلَ رسولُ الله ﷺ لا يَرْفَعُ واحدةً مِن قَدَمَيْه يَمشِي مُنْطَلقاً إلا رَمَوا قَدَمَيْه وَساقَيْه حتى يَجلسَ، فإذا جَلسَ صاحُوا به، وَأَخَذُوا بِضَبْعَيْه فَأقاموه ثُم رَمَوه، فَفَعلوا به ذلكَ حتى خَرَجَ مِن بَيْنِ سِماطَيْهِم. [٢١/ب]

ثُم أمَروا صبيانَهم وإماءَهم، فاتَّبَعوه بالحجارةِ حتى أخرجُوه مِن الطّائف، فَخَرَجَ مِن عِندهم مُوجَعاً خائفاً، تَسِيلُ قَدَماه وَساقاه دماً حتى انتهَى إلى بعضِ حِيطانِ الطائفِ، فإذا فيه عتبةُ بنُ رَبيعةَ بنِ عبد شَمس، وأخوه شَيْبةُ بنُ ربيعةَ، وَمَعهما عَبْدُهُما عَدّاس، يَقْطِفان كَرْماً لَهُما، فَلمّا أبصرَهُما عَرَفَ عَداوَتَهما للهِ

(١) سِماط القوم: صَفُّهم. «لسان العرب»، مادة: سمط.

ولرسولِه، فَقَصَرَ عَنْهُما، وجلسَ فِي أصلِ حَبَلةٍ[١]، يَغسلُ عَن قَدَميْه وساقيْه الدماءَ، وَأَعْجَبَهما الذي فَعلَت به ثَقيفٌ مِن الأذى، واسْتَحْيَا أن لا يُطْعِماه مِن العِنَب، فَأمَرا غُلامهما عَدّاساً، فَآتاه مِن عِنَبهما بِعنبٍ فَوَضعه لَه، وجلَس إليه.

وجعلَ رسولُ الله ﷺ يأكلُ مِن العنب، ويقولُ: يا عدّاس، مِن أيّ أرضٍ
أنتَ يا عَداس؟ قالَ لَه: أنا رجلٌ مِن أهلِ نِينَوَى، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ:
«مِن أهلِ مدينـةِ[٢] المرْء الصالـح يُونس». قالَ لَه: وَمَن المـرءُ الصّالح؟ قالَ
رسولُ الله ﷺ: «هُو يونسُ بنُ مَتّى»، قالَ لَه عَدّاس: هذا عَرَفْتَ يُونس؟ ما [٢٢ أ]
يُدْريكَ ما متّى؟ فَوالله لَقدُ خرجتُ مِن أرضِي وَما بِها عَشرةٌ يَعلمونَ ما اسمُ
أبِي يونس. قالَ لَه النبيّ ﷺ: «أنا عبدُ الله ورسولُه، ويونس عبدُ الله ورسولُه»،
قالَ لَه عدّاس: فإنْ كنتَ صادقاً فَأخبرني عَنه، وَحَدِّثنِي مِن حديثِه بِما أعرفُ،
فَفَعلَ رسولُ الله ﷺ، فَحَدَّثه حديثَ يونسَ، فَعَرَفه عَدّاس، فقامَ فسجدَ لَه،
وَقَبّلَ قَدَمَيه، وقالَ: أشهدُ أنّك عبدُ الله ورسولُه، وَأنّكَ قَد حَدَّثْتني حديثاً لا
يَعلمُه إلا نبيّ.

فأبصرا غُلامَهما وَهو يَسجدُ، فقالَ أحدهُما للآخَرِ: أمّا غلامُك هذا فقدْ
فَسَد، فَدَعَواه، فَأتاهُما، فقالا لَه: وَيْلكَ! ما صنعتَ يا عدّاس؟ لِمَ سَجدتَ
لِهذا الصابِئِ؟! قالَ: لا تَقُولوا لَه مثلَ هذا؛ فإنّه رجلٌ صالحٌ. فقالا لَه: وَيْلكَ يا
عدّاس! لا يَصُدَّنَّك عَن نَصْرانيّتك؛ فإنّما يَتبعه السّفهاء، قالَ عدّاس: هُو يشهدُ
أنّه عبدُ الله ورسولُه، حَدَّثَني بِحديثِ نبيّ الله صلى الله عليه يونسَ بنِ مَتّى عليهِ
السلام، بَعَثه اللهُ نبيّاً إلينا بِما عَرَفْتُ بِما أنزلَ اللهُ في الكِتاب، وَلَولا عُبُوديَّتِي
لَلَحِقْتُ به. / [٢٢ ب]

(١) طاق من قُضْبان الكَرْم، والحَبَلُ: شجر العِنَب، واحدته حَبَلة. «لسان العرب»، مادة: حبل.
(٢) في الأصل: «المدينة».

فَأخذاه فَأوثقاه، وَضَرباه ضَرباً شديداً، وَقالا: لَئِن عُدْتَ بِهذا الكلامِ أبداً لَنَقْتُلَنَّك، وَصاحا بنبيِّ الله ﷺ فَأَخْرَجاه، وَقالا لَه: لَوْلا تَحَرُّمُكَ[1] بِطعامنا لَدَعوْنا لكَ الذي فَرَرْتَ مِنهم، فَقَد رأينا الذي صَنَعوا بكَ.

فَخَرج مِن عندهم، فَقَدِمَ مكةَ فوافقَ الموسمَ، فَلَقِيَ خَمسةَ رَهطٍ مِن الأنصارِ، مِنهم أسعدُ بنُ زُرارةَ أَخُو بَنِي النَّجّار، ومعاذُ بنُ الحارثِ أخو بَنِي سَلِمة[2]، وَرِفاعةُ بنُ رافع أَخُو بَنِي زُرَيق[3]، وجابرُ بنُ عبدالله بنِ رِئابٍ أخو بنِي سَلِمة، وَقُطْبةُ بنُ عامر أَخُو بَنِي سَلِمة، فَعَرضَ عليهم نفسَه، فأخبرَهم بالذي اخْتَصَّه اللهُ به مِن الكَرامة والنّبوة، وشكا إليهم تكذيبَ قومِه إيّاه، والذي يَلْقَى مِنهم فِي الله، وقالَ: امْنَعوني حتى أُبَلِّغَ رسالاتِ الله؛ فإنّي رسولُ الله، واقْتَرأ عليهم آياتٍ مِن القرآن، فَهَداهم اللهُ عز وجل، وَعَرَفوا الذي جاءَ به رسولُ الله ﷺ، فَقالوا: صَدَقْتَ، نَشْهَدُ أنّك عبدُ الله ورسولُه ونبيُّه، وأن الذي جئتَ به.../ [٢٣/أ]

* * *

---

(١) أي: تَمَنُّعك، «لسان العرب»، مادة: حرم.

(٢) كذا في الأصل، وفي المصادر أنه من بني النجار.

(٣) في الأصل: «رزين».

[بيعة العقبة الأولى وخروج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة][١]

أهلَ يثربَ[٢]: إن هذا ابنُ أخِي، وَأحبُّ الناس إليّ، فَلا واللهِ ما أصدقه فيما تَقُولون، وإنْ كُنتم زَعَمْتُم أنّكم قَد عَرَفتم أمرَه، وَصَدَّقْتُم قولَه، وَآمَنْتُم به، وَبِمَن أرسلَه، وَأعْطَيْتُموه مِن أنْفُسِكم النَّصْرَ، وَأنَّكم مُخْرِجُوه مَعَكم إلى بلدِكم، فَأعْطُوا ابنَ أخي ميثاقاً تَطمئنُّ إليه نَفْسي أنّكم غيرُ خاذليه، وَلا مُسْلِمِيه إلى أحَدٍ، وَأكونُ بَينكم شهيداً.

قالُوا: يا رسولَ الله، إنّا معكَ علَى الصِّدق والوَفاء، فاشْتَرِطْ لِرَبِّك وَلِنَفْسك ما شِئْتَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أشترطُ عليكُم لرَبِّي أن تَعْبُدوه، وَلا تُشْرِكوا به شيئاً، ولِنَفسي أن تَمْنَعُونِي مِمّا مَنَعْتم به أنفسكَم وأولادَكم ونساءَكم». قالَ له عبدُ الله بنُ رَواحة: ما لَنا إن أعْطَيْناكَ هذا يا رسولَ الله؟ قالَ: «لَكُم الجنةُ»، فقالَ لَه ابنُ رواحةَ: فَقَد أعْطَينا الذي سَألْتَنا لنفسكَ ولِرَبِّك، وَقَبِلْنا الذي أعْطَيْتَنا.

ثُم قـامَ إليـه أبُو الهيْثَـم بنُ التَّيِّهـان فَأخذَ بيَـده، فقالَ: يا معشرَ الأوسِ والخزْرجِ، أتعلمـونَ أن هـذا رسـولُ الله؟ قالُوا: / نَعم، نَشهدُ أنّه رسولُ الله، [٢٣/ب]
قالَ: فَهل تَعْلَمُونَه فِي حَرَم الله وأرضِ مَولدِه وعشيرته؟ قالوا: نَعم، [قالَ]: فإنْ كُنتم مُسْلِمِيه لشيءٍ أبـداً أو خاذِلِيه فالآنَ؛ [فإنَّ] العربَ سَتَرْمِيكم عَن قوسٍ واحدة، فإن طابَت أنفسُكم عَن الأموالِ والأولادِ والنساءِ، فَأخرجوه مَعكم،

---

(١) ذهبت في هذا الموضع لوحة أو أكثر من النسخة، وهذا العنوان وضعته بالنظر إلى الموضوع.

(٢) من هنا تبدأ اللوحة التالية، والقائل هو العباس عم رسول الله ﷺ، قال لهم: يا أهل يثرب، إن هذا ابن أخي...

وإلا فَذَرُوه الآنَ فِي بَلدِه قَبل أن تَنْدَموا. فَأجابُوه: إنّا معَ رسولِ الله ﷺ على الوَفاء والصِّدق.

فقالَ لَهم رسولُ الله ﷺ: «إنْ كانَ مَن تَرَكْتُم خَلْفَكم علَى مِثل الذي أنتم عليه، فابعثُوا مِنكم نُقَباءَ أنَّهم علَى مِثل ما أنتم عليه مِن المؤازرة». فقامَ مِن كُل حيٍّ رجلٌ أو اثْنان، فقامَ أبو الهيْثَم بنُ التَّيِّهان، وَعَتِيكُ بن التَّيهان، وأسعدُ ابنُ زُرارةَ، وَسَعْدُ[١] بنُ خَيْثَمة، وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْر، والبَراءُ بنُ مَعْرُور، وعبدُ الله ابنُ رَواحة، وَسعدُ بنُ رَبيع، وَمُنْذر بنُ عَمْرو، وَعُبادةُ بنُ الصّامت، وعَبّاس بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلةَ، وَرِفاعةُ بنُ رافع، فَنَقَّبُوا علَى أن مَن تَرَكْنا مِن / قَومنا علَى مِثل [٣٤/أ]
الذي نَحن عليه.

وَأبو الهيثَم آخِذٌ بِيَد نبيِّ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا نبيَّ الله، لَعَلَّنا نَقْطَعُ الذي بيننا وبينَ الناسِ مِن الحِلْفِ، ثُم تَرْجِعُ إلى بَلَدِكَ وَقَد قَطَعْنا تلكَ الحِبالَ، فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ، وقالَ: «الدَّم الدَّم، والهدْم الهدْم، دَمِي مَع دمائِكم، وَهَدْمِي معَ هَدْمِكم».

فقالَ القومُ: يا أبَا الهيْثَم، خَلِّ بيننا وبينَ نَبيِّ الله كَيْ نُبايِعَه، فَسَبَقه أبو الهيْثَم، فقالَ: أنا أولُ مُبايعٍ، فَبايِعْ أُبايِعْكَ يا نبيَّ الله علَى ما بايَعت عليهِ بَنُو إسرائيلَ مُوسى عليهِ السلامُ، وَبايَعه عبادةُ بنُ الصّامت علَى أن لا يُباليَ في اللهِ لومةَ لائمٍ. فَتَتابعَ القومُ علَى البَيعةِ، حتى إذا بايعُوا كُلُّهم، قالَ لَه عباسُ بنُ عُبادة: إن شئتَ يا رسولَ الله مِلْنا[٢] علَى أهلِ مِنىً بأسيافنا، قالَ: «لَم أُومَرْ بذلكَ».

وَصَرَخَ صارخٌ[٣] في الجبلِ، وَهو إبليسُ، وَتَشَبَّهَ بِمُنَبِّهِ بنِ الْحَجّاج بنِ عامر[٤] بنِ حُذيفة، وكانَ رَجُلاً صَيِّتاً، فقالَ: يا معشرَ / قُرَيش، إن كانَ لَكُم فِي [٣٤/ب]

---

(١) في الأصل: «أسعد».
(٢) في الأصل: «منا».
(٣) في الأصل: «صارخاً».
(٤) في الأصل: «الحجاج».

محمدٍ حاجةٌ فَأْتوه؛ فإنّه بِمكانٍ مِن الجبلِ، قَد حالَفَه الذينَ يَسْكُنون يثربَ.

ونزلَ عليه جبريلُ ﷺ، فَلَم يُبْصِره أحدٌ مِن القومِ بعدَ رسولِ الله ﷺ غيْرُ حارثةَ بنِ النُّعمان، قالَ بَعْدَما فرَغُوا: يا نبيَّ الله، لَقَد رأيتُ رجُلاً، عليهِ ثيابٌ بِيضٌ، أنْكَرته قائماً عَن يَمِينك، [قالَ]: «أوَقَد رَأيْته؟» قالَ: نَعَم، قالَ: «قَد رأيتَ خيراً كثيراً، ذلكَ جبريلُ ﷺ».

واجتمعَ المشركونَ مِن قُريش عندَ صَرْخة الصّارخِ بالمكانِ الذي نَعَتَ لَهُم، فَعَظُمَ الأمرُ بينَ المشركينَ والأنصارِ حتى أَلَمَّ أن تكونَ بَينهم فتنةٌ، ثُم إن أبا جَهلٍ كَرِهَ القتالَ فِي تلكَ الأيام، فقالَ: يا معشرَ الأوسِ والخزْرَج، أنتم إخوانُنا وأصهارُنا، وَقَد أَتيْتُم علينا أمراً عظيماً، وانْتَهكْتُم مِنّا ما لَم نَكُن لِنَنْتَهِكَه مِنكم، تُريدونَ أن تَغْلِبُونا علَى أخينا وَصاحِبنا، فَيَرْجِعَ مَن حَضَرَ الموسمَ اليومَ مِن قبائلِ العَرَب، فَيَتَحَدَّثُون أنّا غُلِبْنا علَى أخينا، وانْتُزِعَ مِن بينَ أظْهُرنا عَن غيْرِ مُؤامَرةٍ مِنه!

[٣٥/أ] فقالَ لَه / حارثةُ بنُ النّعمان: نَعَم، وَأَنْفُكَ راغِمٌ، واللهِ لَو نَعلمُ أنّه هَوىً مِن رسولِ اللهِ ﷺ أن نُخْرِجَك مَعنا لأخْرَجْناك، قالَ لَه أبو جهل: لَيْسَت تلكَ لَكُم بعادةٍ، لَو قُلتَ هذا فِي مَجْمَع مَن حَضَر الموسمَ لَعَرَفْتَ أنّه سَيُكَذِّبُك غيرُ واحدٍ، إنّي لأعَزُّ أهلِ البَطْحاء، وَلَكِنّا نُعْطِيكم النَّصَفَ مِن أنفسنا، هذه أيامٌ عظيمةٌ حُرْمَتُها، يُكْرَه فيها القتالُ والْهُجْرُ مِن القَول.

يُعَرِّضُ بأن يَلْحَقَ بكم مِن أصحابِ محمد مَن شاءَ غَيْرُه، وَتَذَرُونه ثلاثةَ أشهر، ثُم يَخْرُجُ إذا شاءَ، وَنُعْطِيكُم ميثاقاً تَرْضَون بهِ، وَيَرْضَى به محمدٌ، لا نَحْبِسُه بعدَ ذلكَ يوماً، فرضيَ بذلكَ رسولُ الله ﷺ، فقالَ للأنصار: خُذوا مَواثِيقَكم علَى الذي يَقولون فِي ثلاثةِ أشهر، فَتَتَجَهَّزُ وَنَسْتَعِدُّ للخروجِ، فصارَ

مِن الأمرِ أن مَكَثَ رسولُ الله ﷺ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن أحَبَّ مِنكم أن يُهاجرَ فَلْيُهاجِر، حتى إذا جَعَلَ اللهُ لَه مَأْوىً يَأوي إليهِ».

[٣٥/ب] فَخَرجَ ناسٌ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ، / فِيهم عَيّاش بنُ أبي رَبيعةَ، وكانَ أصغرَ وَلَدِ أمِّه، فَجَزِعَت أُمُّه جَزَعاً شديداً، وهيَ أُمُّ أَبِي جهلِ بنِ هشام والحارثِ بنِ هشام، وكانَ عَيّاش أخاهُما لأُمِّهِما، فَأَقْسَمَت أُمُّه باللهِ لا يُظِلُّها ظِلٌّ غيرُ ظِلِّ السَّماء، وَلا يُصيبُ رأسَها غسْلٌ وَلا دُهْنٌ، وَلا تَأْكُلُ أُدْماً حتى يرجعَ إليها.

فَطَلبه أبو جهل والحارثُ بنُ هشام، فَأَدْرَكاه بالمدينةِ، فقالا لَه: وَيْلَكَ يا عَيّاش! أُمُّك فِي الضَّبْحِ[1] والذَّبح، أَقْسَمَت لا تَدْخُلُ كِنّاً، وَلا تُصيب أُدْماً حتى تراكَ، وكنتَ أحَبَّ وَلَدِها إليها، وَقَد عَلِمْتَ أثَرَتَها إيّاك على إِخْوَتك، وَزَعَمْتَ أن فِي دينكَ بِرَّ الوالِدَيْن. فَلَم يَزالا به حتى نَزَلَ إليهما، فَأَعْطَياه المواثيقَ باللهِ لا نَضْرِبُك وَلا نَمْنَعُك مِن صلاةٍ؛ فإنَّ رَبَّك الذي بيثربَ هُو رَبُّك بمكةَ، فَلم يَزالا به حتى خرجَ مَعهما، فَلَمّا خرجا به مِن المدينةِ شَدّاه بِنِسْعِه[2]، ثُم جَلَدَه كلُّ واحدٍ منهما مِئةَ جَلْدةٍ، ثُم انطلقا به إلى مكةَ، فَأوثقاه فيها، فَلَم يَبْرَحْها حتى فَتَحها اللهُ على نَبيِّه ﷺ.

[٣٦/أ] وَخَرَجَ عثمانُ بنُ عَفان، / وعثمان بنُ مَظْعُون، وعمّار بنُ ياسر، وشَمّاس ابنُ عثمان، وطلحةُ بنُ عبيد الله، وسعيد بنُ زيد إلى المدينةِ مَع الأنصارِ، فَخَرج طلحةُ بنُ عبيد الله، وسعيدُ بنُ زيد تاجِرَيْن إلى الشّام.

---

(١) ضَبَحَتْه الشمسُ والنار تَضْبَحُه ضَبْحاً فانْضَبَحَ: لَوَّحته وغيَّرت لونه. «لسان العرب»، مادة: ضبح.

(٢) النِّسْعُ: سَيْرٌ يُضفَرُ على هيئة أعِنّةِ النِّعالِ تُشَدُّ به الرِّحالُ. «لسان العرب»، مادة: نسع.

وجعلَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَخْرجون إلى المدينةِ أرْسالاً حتى خَرَجَ عامَّتُهم، وَخَرَج عَمّار إلى مكةَ لِيُخْرِجَ أهلَ النبي ﷺ، وَمَكَثَ رسولُ الله ﷺ في ناسٍ يسيرٍ.

فلمّا حضرَ انقضاءُ العِدّةِ ائتمرَ المشركون أن يُؤْذِنُوا رسولَ الله ﷺ بالخروجِ؛ لِتَبْرأ ذِمَّتُهم، فإذا خَرَجَ مِن مكةَ رَدُّوه فَحَبَسُوه فيها، فَمَكَر اللهُ له مِن حيثُ لا يَحْتَسِبُون، فآذَنُوا رسولَ الله ﷺ عَشِيّةً بالخروجِ، وائْتَمَرُوا وَأوْعَدُوه: إنّا إن رَأيْناكَ بعدَ عَشِيَّتِنا هَذه، فَقَد بَرِئَتْ منكَ ذِمَّتُنا. فَلَمّا أمْسَوا وَجَدوه في المسجدِ يُصَلي، قالوا: يا مُذَمَّم، ألَم نَنْهَكَ عَن هذا المدْخَلِ، وَنُؤْذِنْكَ بالخروجِ؟! [٣٧ ب] فَأصابوه بأذىً وَضَرْبٍ.

فَفَرَّ مِنهم رسولُ الله ﷺ، واتَّبَعوه، فَسَبَقهم إلى دارِه فَدَخَلها، واسْتَحْيَوا أن يَدْخُلوا عليه، فَأحاطوا بالدارِ، ثُم ائْتَمَروا: كيفَ يَفْعَلون؟ فَمنهم مَن قالَ: ادْخُلوا عليه فَأوْجِعُوه ضرباً، ثُم أخْرِجوه إلى الكعبةِ فَشُدُّوه بِها وِثاقاً إلى أن تُصبحوا، ثُم ائْتَمِرُوا وَهو في الوِثاقِ؛ إمّا أن تُرْسِلوه، وإمّا أن تَقْتُلوه، وإمّا أن تَحْبِسوه. وَقالت طائفةٌ منهم: نَسْتَحْيِي أن تصيحَ نِساؤُهم سائرَ الليلةِ، فإنْ أرادَ الخروجَ مِن لَيْلَتِه خَرَجَ فِي أيديكم، وإنْ مَكَثَ إلى الصبحِ دَخَلْتُم عليه فَأخَذْتُموه، ونبيُّ الله ﷺ مضطجعٌ في الفراشِ، وذلكَ بِأعْيُنِهم، فَقالوا: لا تَرَوْنَه على فراشِه لَو أرادَ الخروجَ لَم يَضْطَجِع.

وَدَعا رسولُ الله ﷺ رَجُلاً مِن أهلِه ـ وهو عليُّ بنُ أبي طالب رضيَ اللهُ عنه ـ فَأضْجَعه مكانَه على الفراشِ يُوَرِّي عَنه العيونَ، وقالَ: إنّي / لاحقٌ بالغارِ مِن [٣٨ أ] ثَورٍ، وَثورٌ جبلٌ مِن جبال مكةَ. قالَ نبيّ الله ﷺ للذي اضْطَجَعَ على الفِراشِ: إن أتاكَ ابنُ أبي قحافةَ فَأخْبِره أنّي تَوَجَّهْتُ إلى ثَورٍ، فَأْمُرْه فَيَلْحَقني، وَأرْسِل إليّ بطعامٍ، واستأجِرْ لي دَليلاً يَدُلُّني على طريقِ المدينةِ، واشْتَرِ لي راحلةً.

ثُم انصرفَ رسولُ الله ﷺ، فَعَمَّى اللهُ تَعالَى وَعَزَّ أبصارَ الرَّصَدِ الذين كانوا يَرْصُدُونَه، فَأسرعَ نَبيّ الله ﷺ قِبلَ الكَعْبة، وأقبلَ أبو بَكر حتى جاءَ صاحبَ الفِراش، فَسَأله عَن رسولِ الله ﷺ، فَأخْبَره أنه لَحِقَ بالغارِ مِن ثور، وقالَ: إن كانَ لكَ فيه حاجةٌ، فالْحَقْهُ، فَخرَج أبو بكر مُسرعاً، فَلَحِق نبيَّ الله ﷺ فِي الطريقِ، فَسَمِع رسولُ الله ﷺ جَرْسَ أبي بَكر فِي ظُلمة الليلِ، فَحَسِبَه مِن المشركينَ، فأسرعَ رسولُ الله ﷺ / السعيَ، فخافَ أبو بَكر أن يَشُقَّ على رسولِ الله ﷺ، [٣٦/ب]
فَرَفَع صَوْتَه وَتكَلَّم، فَعَرَفه نبيُّ الله ﷺ، وأقامَ حتى أتاه ثُم انْطَلَقا، وَرِجْلُ رَسولِ الله ﷺ تَسيلُ دماً حتى انْتَهيا مَع الصُّبح إلى الغارِ، فَدَخَلاه.

وَأصبحَ الرَّصَدُ الذينَ كانُوا يَرْصُدونَ صاحبَ الفِراش، فَدَخلوا الدارَ، وقامَ صاحبُ الفِراش عَن فِراشه، وَأتَوْه وَهم يُرَوْنَ أنّه رسولُ الله ﷺ، فلمّا أن دَنَوْا منه عَرَفوه، فَقالوا له: أينَ صاحبُك؟ فقالَ: لا أدْري، أوَرقيباً كنتُ عليه، أمَرْتُموه بالخروجِ فَخَرج. فانتَهَرُوه وَضَرَبُوه، وأخرجُوه إلى المسجدِ، وَحَبَسُوه ساعةً ثُم تَرَكُوه، فَأنْجَى رسولَ الله ﷺ وصاحبَه مِن مَكْرِهم الذي مَكَروا به، فذلكَ قولُ الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال ٣٠]. فَمَكَر اللهُ له وَهُم كارهون. [٣٧/أ]

ثُم قامَ أبو جهل، فقالَ: يا معشرَ أهلِ مكةَ، خُذوا فِي طَلَبِ هذا الرَّجلِ، فإنّا نَخافُ أن يَخْرُجَ إلى أهلِ يَثْربَ، فَيَجْتَمِعُوا إليه عِصابةً مِن العَرب، فَتَلْقَوْا مِنه الأمَرَّيْن، فَدَعَوُا القافةَ فاقْتَصُّوا الأثرَ، فإذا هُم بالدم والأثرِ حتى انْتَهوا إلى الغارِ، فَلَمّا دَنَوا منه أبْصَرَهم أبو بَكر رضيَ اللهُ عنه، فقالَ: يا رسولَ الله، أُتِينا، وَنَحْنُ وُجِدنا، فقالَ لَه نبيّ الله ﷺ: «لا تَخَفْ؛ إن اللهَ مَعَنا»، وقالَ: «اللّهم رَبَّنا أعْمِ عَنّا أبْصارَهم».

وانقطعَ الأثرُ، وَضرَبُوا عَن يَمينِ الكَهف وَعَن شِماله يَلتمسونَ الأثرَ، فَلم يَجِدُوا شيئاً، وَعَمّاهُم اللهُ عَن الغار، فَفي ذلكَ أنزلَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. [٣٨ ب]

فَرجعَ الطلبُ إلى مكةَ، وَأرسلُوا فِيمَن حَوْلَهم مِن قبائلِ العربِ أن محمداً ﷺ وَأبا بَكر أبقا مِنّا، فَأيّما حَيٍّ جاءَنا به، فَله مئةٌ مِن الإبل، فَأصبحَ كلُّ ماءٍ[١] يَقْتَفِرُون[٢] ما حَوْلَهُم، وَمَكثَ رسولُ الله ﷺ في الغار ثلاثةَ أيـام وَلَيلتين، وأرسلَ إلى رسولِ الله ﷺ بطعـام معَ عامرِ بنِ فُهَيـرة مولى أبي بَكرٍ، فأرسلَ إليه بَخَبَرِ الطّلب، وَكيفَ بَعَثوا إلى مَن حَولهم، فَجُعِلَ فِيهما الجُعْلُ.

ثُم قَدِمَت رُفْقةٌ مِن عَبد القَيْسِ تُجّارٌ، فانطلقَ رَجلٌ مِن أهلِ رَسولِ الله ﷺ، فاشْتَرَى مِنهم ثَلاثَ رَواحلَ، واستأجرَ رَجُلاً مِن خُزاعة يقالُ لَه: [ابنُ][٣] أُرَيْقِط، دَليلاً عالِماً بالطريقِ، وَأجّرَه إحدَى الرَّواحلِ، وَأخَذوا منه المواثيقَ والكِتمان، ثُم انطلقَ به وَبالرَّواحلِ حتى أتَى رسولَ اللهِ ﷺ وَصاحبَه بِرَواحلِه [٣٩ أ]
وَبالدليلِ، فَرَكبَ رسولُ الله ﷺ راحلةً وَأبو بَكر أُخرى، والدليلُ أُخرى، ثُم أخَذَ بِهم الدليلُ أسفلَ مِن كُراعِ لَيث حتى يَصِلَ بِهم عَن[٤] الساحلِ مِن أرْضِ بَني الحارثِ بنِ مُدْلِجِ بنِ كنانة.

---

(١) اقْتَفَرْتُ الأثر: إذا تتبعْتَه وقفَوتَه. «لسان العرب»، مادة: قفر.

(٢) كذا في الأصل، فلعل المقصود كل موضع فيه ماءٌ، إشارةً إلى عادة العرب؛ فإنهم كانوا يتَّبعون قَطْرَ السماء فينزلون حيث كان، ولهذا سماهم النبي ﷺ ببني ماء السماء، والله أعلم.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) كذا في الأصل.

فأصبحَ سُراقةُ بنُ مالك بنِ جُعْشُم المُدْلِجِي يَقْتَفِرُ الأثرَ، فأبصرَ أثرَ الرَّواحلِ علَى غَيْرِ الطريقِ، وكانَ رَجُلاً قائفاً، فقالَ: ليسَ هذه بآثارِ نَعمِ تِهامةَ وَلا اليمنِ ولا الشامِ، قالَ: وَلكن هيَ آثارُ نَعم عَبد القَيْسِ. وَذَكَرَ الذي كانَ مِن شأنِ نبيّ الله ﷺ، فَرَجَع إلى أهلِه، فَرَكِبَ فرساً لَه أُنثى، فَأسرعَ الطلبَ، فأدركَ نَبيَّ الله ﷺ وَصاحبيْه، فقالَ: قِفُوا، ما شَأْنُكم؟ فأبصرَه أبو بكر فعَرَفه، فقالَ: يا نبيَّ الله، هذا [٣٩/ب] سُراقة، فقالَ نبيُّ الله ﷺ: «اللهُم احْبِسْه عَنّا بما شئتَ»، فَساخَتْ قوائمُ فَرَسِه / في الأرضِ، فَنَزَلَ فَأدْرَكَهم سعياً، فَعَرَفَ أبا بَكر، فقالَ: لَكُما اللهُ والميثاقُ، لَئِن دَعَوْتُما رَبَّكُما فَبَعَثَ لي فَرَسِي، لَأُرْشِدَنَّكُما إلى الأمرِ، ولأُبَيِّنَنَّ[١] لكُما الطريقَ، وَلَئِن لَم أنْفَعْكُم لَم أضُرَّكُم.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «اللهمّ إن كانَ صادقاً فَأَنْجِه»، فإذا فَرَسُه قَد اسْتَوَت علَى الأرضِ، فقالَ سُراقة: يا أبا بَكر، ما أرَى هذا إلا صاحبَك الذي طَلَبَه قُريش، قالَ: نَعم، قالَ: فَمَن هذا مَعكما؟ قالَ: رَجلٌ يَهْدِيني الطريقَ. فأخرجَ إليهما سُراقة سَهماً مِن كِنانَتِه، فقالَ: إن لي إبلاً علَى طَرِيقِكما، وهذا السهمُ آيةٌ إلى الراعِي، فإنْ كانَ لَكُما حاجةٌ في راحلةٍ فَخُذُوا الفُلانيّة، واحْتَلِبوا مِن اللبنِ؛ فإنّي لا أدْري لعلَّ الحيَّ قَد فزِعُوا مِن رُكوبِي إليكم، وإنّي راجعٌ فَأُوَرِّي عَنْكُم، فَلا تَخافوا ما بَعْدِي.

ثُم انصرفَ سراقةُ فَوَجَدَ قَومَه قَد رَكبُوا، قالَ: ارْجِعوا؛ فإنَّما هيَ إبلُ [٤٠/أ] عَبد القَيْسِ / مَعَهم مَعبدُ بنُ وَهب العَبْدِي، وكانَ مَعبدٌ خَتَناً لقريش كانَت عندَه بنتُ زَمْعَةَ بن قَيس مِن بنِي عامرِ بنِ لُؤَي، فَصَدَّقُوه فَرَجعوا، وكانوا قَد عَرَفوا مِن آثارِ النَّعَم ما قَد عَرَفَ سُراقة، فَوَرَّى عَنهم بِهذا القولِ.

وانطلقَ رسولُ الله ﷺ وَصاحباه حتى إذا كانوا بالجُحْفة لَقُوا رَسُولاً

---

(١) في الأصل: «ولايتين».

لطلحةَ بنِ عُبَيد الله القُرَشي مُقبِلاً مِن الشّام، وَمَعه ثِيابٌ بِيضٌ مِن هذه القِطْرِيّ[١]، أرسلَ بِها طلحةُ إلى أبي بَكر وَهو يُرَى أنّه بِمكةَ، فَأعْطى أبو بكر رسولَ الله ﷺ منها طائفةً، وأمسكَ طائفةً.

فَلمّا غَشِيا المدينةَ لَقِيَهما أبو عامر وَهُو يسيحُ في الأرضِ ـ وَهُو الرّاهب، وكانَ يُدْعَى الراهبَ مِن شِدّة تَعَبُّده وَتَأَلُّهه ـ فقالَ: والله يا مُحمد، لَقد حُدِّثْتُ عنكَ قَبْلَ أن أراكَ حَديثاً ما أدْري لَعَلَّه سَيَكُونُ كذلكَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما هُو؟» [٤٠/ب]
قالَ: حُدِّثْتُ أَنَّك تُفَرِّق بَيْنَ اثْنَيْن، ولِي ابنٌ يقالُ لَه: حَنْظَلَةُ، أَبَرُّ مَن أدْرَكَ، فَهَبْهُ لي، وَلا تُفَرِّقْ بينِي وبينَه. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لَسْتُ كذلكَ، وَلكنِّي قَد أَتَيْتُكَ يا أبا عامرٍ وَقَوْمَكَ بِالْهُدَى والبصيرةِ مِن العَمى»، قالَ: فقالَ لَه أبو عامر: ليسَ كَما تَقولُ، فادْعُ اللهَ عَلى الكاذبِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أماتَ اللهُ الكاذبَ ضالًّا ذَليلاً تائِهاً فِي الأرضِ».

وَقَدِمَ رَسولُ الله ﷺ وأبُو بَكر المدينةَ وعليهما ثيابٌ بِيضٌ مِن ثيابِ الشّام، فَمَرّا عَلى عبدِ الله بن أُبَيّ وَهُو في ظِلِّ أُطُمٍ مِن آطامِ المدينةِ، فَوَقَفا عليه لِيَدْعُوَهُما إلى المنزلِ، واجتمعَ إليه ناسٌ كثيرٌ، وَعَمَدَ أبو بكر فَظَلَّلَ عَلى رسولِ الله ﷺ بِثَوبِه مِن الشمس لِيُعْرَفَ أحدُهما مِن الآخَر. قالَ لَه عبدُ الله بنُ أُبَيّ: انْظُرْ أصحابَك الذينَ دَعَوْكَ فانْزِلْ عَليهم، فَعَمد رسولُ الله ﷺ، فَنَزَلَ [٤١/أ]
عَلى سَعدِ بنِ خَيْثَمةَ فِي بَنِي عَمْرو بنِ عَوف.

واجتمعتْ إليه الأنصارُ لِيُكْرِمُوه، فَذَكَرَ لَهُم رسولُ الله ﷺ وُقُوفَه عَلى عبدِ الله بنِ أُبَيّ والذي قالَ، قالَ: فقامَ ثابتُ بنُ قَيس بنِ شَمّاس أَخُو بَنِي الحارثِ بنِ الخَزْرَج، فقالَ: يا رسولَ الله، اعْذُرْه، فَأنتَ أَحَقُّ مَن عَذَره، هُو خالك وحديثُ عَهد بِجاهليّةٍ، فَوالله لَقَد كانَ الذي كانَ مِن أمرنا وأَمْرِ إخوانِنا

(١) ضَرْب من البرود. «لسان العرب»، مادة: قطر.

بَنِي الأوسِ، وإنّا نُريد أن نُتَوّجه قَبْلَكَ، وَلَكِنَّ الذي اخْتَصَّنا اللهُ به مِن قُدوم النبيِّ ﷺ، وَما أَهْدَى اللهُ لَنا بكَ مِن الخيرِ والكرامةِ خيرٌ مِن الذي كُنّا نُريد.

وَمَكث رسولُ الله ﷺ في بَنِي عَمْرو بنِ عَوفٍ يومَ الاثْنَين - وَهو يومُ قَدِمَ - لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتا مِن شَهر رَبيع الأول، فَمَكَث الاثْنينَ والثلاثاءَ والأربعاءَ والخميسَ، ثُم خَرَجَ يومَ الجمعةِ فَجَمَّع فِي بَنِي سالِم، وَبَنَى بِقُباء مسجداً، وهو المسجدُ الذي أُسِّسَ علَى التّقوى.

[٤١/ب] ثُم ارْتَحلَ / مِن بَنِي سالِم، فَدَخلَ النبيّ ﷺ، فَتنازعَ القومُ زمامَ الناقةِ رغبةً فِي رَسول الله ﷺ، وَرَجاءَ أن يَنْزِلَ عَليهم، فَلَمّا رَأى رسولُ الله ﷺ حِرْصَهم علَى الخيرِ قالَ لَهُم معروفاً، [وقالَ][١]: تَراخَوْا عنها؛ فإنّها مأمورةٌ، وإنَّما أَنْزِلُ حيثُ أَنْزلنِي اللهُ عَزَّ وجلَّ، فَتَرَكُوها، فانْطَلَقت حتى بَرَكَت علَى بابِ أَبِي أيوبَ ابنِ زَيد أخي بَنِي النّجار، فَنَزلَ عليه رسولُ الله ﷺ، وإنَّما كانت كرامةً مِن الله أَهْداها لأَبِي أيوبَ، نُزولُ النبيّ ﷺ.

فَنَزلَ رسولُ الله ﷺ سُفْلَ الدارِ، وكانَ أبو أيوبَ وأهلُه في العلوّ، فباتَ أبو أيوبَ ساهراً مَخافةَ أن يَتحركَ أحدٌ مِن أهلِه فَيُؤْذِيَ رسولَ الله ﷺ، فلمّا أصبحَ أبو أيوبَ غَدا علَى رسولِ الله ﷺ، فقالَ: يا رسولَ الله، بِتُّ البارحةَ ساهراً أنا وَأهلي مَخافةَ أن يَتحركَ أحدٌ مِنّا فَيُؤْذِيَك، أو يَقُومَ فَيَنْتَثِرَ عليكَ مِن التّراب، فَأَستغفِرُ اللهَ، فَشَفِّعْنِي يا رسولَ الله جَعَلنِي اللهُ فداكَ، / فانْزِلْ فِي العُلوِّ؛ فَأَنتَ أَحَقُّ بذلكَ. [٤٢/أ]

فقالَ: يا أَبا أيوبَ، السُّفْلُ أهونُ علينا وَأَرْفَقُ بنا وَبِمَن يَأتينا مِن النّاس، فَلم يَزَلْ به أَبُو أيوبَ حتى أَصْعَدَه فِي العُلو، وكانَ أبو أيوبَ وأهلُه في السُّفل.

---

(١) في الأصل: «وقالوا».

فَمَكَثَ رسولُ الله ﷺ شهراً، يَأتيه جبريلُ عليه السلامُ بأمرِ الرَّحمن عَز وجل، وهـو فِي دارِ أبي أيـوبَ حتى ابْتَنَى رسـولُ الله ﷺ مَسكناً وَمسجداً، وكانَ المسجدُ والمسكنُ مِرْبَداً[1] لِبَنِي أخي أسعدَ بنِ زُرارة أخِي بَنِي النّجار، فَعَرَضَ أسعدُ بنُ زرارةَ علَى بَني أخيه نَخْلاً لَه في بَنِي بَياضةَ بِحائطهم ذلك، فقالَ لَهم: أعْطُوني أُعْطِه نَبيَّ الله ﷺ، قالُوا لِعَمِّهم: لا واللهِ لا نَأْخُذُ به ثمناً أبداً، ولكنّا نُعطيه رسولَ الله ﷺ، فَيَبْنِي فيه مَسْكَنا ومسجداً، فهذا خروجُ نبيِّ الله ﷺ مِن مكةَ إلى المدينةِ[2]./ [٢٣/ب]

* * *

(١) الموضع الذي تُحبَس فيه الإبل وغيرها. «لسان العرب»، مادة: ربد.

(٢) في حاشية الأصل: «هذا آخر الثاني وأول الثالث».

مغازي رسول الله ﷺ

وأخبرنا أبو ذَر عبدُ بنُ أحمدَ الهروي، قالَ: أخبرنا أبو عليّ زاهرُ بنُ أحمد بنِ أبي بكر السّرَخسي بها، قالَ: أخبرني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبد الله الزَّبِيبي، قالَ: حَدثنا محمدُ بنُ عبد الأعلى الصّنعاني، قالَ: حدثنا المعتمرُ بنُ سليمان، عَن أبيه سليمانَ التَّيمي، قالَ:

بلغنا أن أولَ سَرِيّةٍ كانَت بَعَثها رسولُ الله ﷺ مَقْدَمه المدينةَ، بعْثُ حمزةَ ابنِ عبد المطلبِ في ثلاثيـنَ راكباً مِن الأنصـار، فلَقُوا أبا جهل بنَ هشام في ثلاثِ مئةِ راكبٍ بأرضِ جُهَينةَ قَريباً مِن سِيفِ[1] البَحر، فحَجَزَ بَينهم مَجْدِيُّ ابنُ عَمْرو الجُهَنِي لِلْحِلْفِ الذي كانَ بينَ جُهينةَ والأنصارِ، فَرَجَعُوا مِن بَطْنٍ.

[١/٢٤] ثُم خَرَجَ النبيُّ ﷺ حتى بلغَ بُواطَ مِن تِلْقاءِ رَضْوَى مِن أرضِ بنِي / كنانةَ، فَوادَعَ ناساً مِن بَنِي ضَمْرةَ علَى أن يُعِينُوه وَلا يُعِينُوا عليه.

وبعثَ رَهْطاً سِتّةً، وَأمَّرَ عليهم عُبَيدةَ بنَ الحارثِ بنِ عبد المطلب، وَعَقَد لَه لواءَه، فَلَمّا ذَهَبَ لِيُوَدِّعَ رسـولَ الله ﷺ فاضَـت عَينـاهُ مِن فراقِـه، فَحَبَسَه رسولُ الله ﷺ، وَبَعَث مكانَه عبدَ الله بنَ جَحش الأسدي، وكتبَ لَه كتاباً فيه أمْرُه الذي أمَرَه به، وَأمَره أن لا يقرأ الكتابَ لَيْلَتَيْن، ثُم يقرأُ الكتابَ، وَأمَره أن يَتَوَّجَه تلقاءَ مكةَ، فَتَوَجَّه قِبَلَها، فلَمّا سارَ لَيْلَتَين قرأَ الكتابَ، فإذا فيه: أن سِرْ إلى نَخلةَ علَى اسمِ الله وَبَركتِه، وَلا تُكْرِهَنَّ أحداً مِن أصحابِك علَى السَّيْر

---

(١) ساحل البحر، والجمع أسياف. «لسان العرب»، مادة: سيف.

مَعك، وامْضِ لأمْرِي فِيمَن اتَّبَعَك مِنهم حتى تَقْدَم بَطنَ نَخلةٍ فَتَرْصُدَ بِها عِيراتِ قُرَيش.

فلمّا اقترأ عبدُ الله الكتابَ استرجعَ، وَأَتْبَعَ اسْتِرْجاعَه سَمعاً وطاعةً للهِ وللرَّسول، ثُم قالَ لَهم: مَن شاءَ منكم أن يسيرَ مَعي فَلْيَسِر، وَمَن أحَبَّ أن يَرجعَ فَلْيَرجع، فإنّي ماضٍ لأمرِ رسولِ الله ﷺ. / [٢٤/ب]

فَرجعَ مِن القومِ سعدُ بنُ أبي وَقّاص الزّهري، وَعُتبةُ بنُ غَزْوانَ حليفٌ لبنِي زُهْرةَ مِن بَنِي مازِنِ بنِ مَنْصور، فَرَجَعا إلى بُحْرانَ أرْضِ لبَنِي سُلَيْم، فَمَكَثا بِها، وَمَضَى عبدُ الله بنُ جَحْشٍ خامسَ خَمْسةٍ حتى قَدِمَ بَطْنَ نَخلةَ، فَلَقِيَ بِها عَمْرو بنَ الحضْرَميّ، وعثمانَ بنَ عبد الله بنِ المغيرةِ، ونَوفلَ بنَ عبد الله، والحَكَم بنَ كَيسان، فَقُتِلَ عمرو بنُ الحضرمي، قَتَلَه واقدُ بنُ عبد الله التَّمِيمِي مِن ثعلبةَ بنِ يَرْبُوع.

وَأَسَرُوا عثمانَ بنَ عبد الله والحكَمَ بنَ كَيْسان، وَأَفْلَتَهم نوفلُ بنُ عبد الله علَى فَرَسٍ لَه، فَقَدِمَ مكةَ مِن الغَدِ، وَقد أَهَلُّوا رجباً، فَأَخْبَرهم بالذي لقيَ أصحابُه، ولَم يَستطيعُوا طلبَ القوم، فانْطلقَ أصحابُ النبيِّ ﷺ بِغَنِيمَتِهم وَأسيرِهم حتى قَدِمُوا علَى النبيِّ ﷺ، فَأَخْبَرُوه الخبَرَ، فقالوا: يا نبيَّ الله، أَصَبْنا القومَ نهاراً، فلمّا أمسينا نَظَرْنا إلى هلالِ رَجَبٍ، فَلا نَدْري / أَصَبْناهم في رَجب، أو في آخرِ يومٍ مِن جُمادى الآخِرِ. [٢٥/أ]

وأقبلَ المشركونَ مِن أهلِ مكةَ علَى المسلمينَ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فقالُوا: يا مَعشرَ الصُّباة[1]، ألا تَرونَ إلى إخوانِكم؟! عَمَدُوا فَاسْتَحَلُّوا القتلَ في الشهرِ الحرامِ، وكانَ شهراً يَأْمَنُ فيه الخائفُ، وَتُرْبَطُ فيه الخيلُ، وَتُوضَعُ فيه

---

(١) في الأصل: «الصبا».

الأسنةُ، وَيَنْذَعِرُ[1] الناسُ إلى مَعايِشِهم، فاسْتَحَلُّوا ذلكَ، فَأَهراقُوا فيه الدِّماءَ، وَأَخذُوا فيه الأسْرَى، وَذَهَبوا فيه بالحَرائِبِ، وَأَنْتُم زَعَمْتُم تَعْبُدونَ اللهَ، أفَوَجَدْتُم هذا في دينِ اللهِ؟! فَأَكثرُوا في هذا القولِ، فَلَم يَرْجِع إليهِم المسلمونَ فيه شَيئاً، غَيْرَ أَنّهم يَقُولون: اللهُ ورسولُه أعلم.

وَكتبَ المسلمونَ إلى عبدِ الله بنِ جَحْشٍ أن المشركينَ يُعَيِّرُونا قَتْلَكُم ابنَ الحضْرَميّ، وَأَخْذَكُم الأَسِيرَيْن في الشهرِ الحرام، فاسْأَل لَنا رسولَ الله ﷺ: / [٢٥ ب] هَل لَنا في ذلكَ مُتكلَّمٌ، وهَل نَزلَ في ذلكَ كتابٌ؟ فانطلقَ عبدُ الله بنُ جَحْش بكتابِ المسلمين، فَدَفَعه إلى رسولِ الله ﷺ، فَأَقْرَأه إيّاه، فَأنزلَ اللهُ عَزَّ وجلّ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فأخبَرهم اللهُ عزّ وجلّ أن الذي فَعَلُوا بِكم ـ إذْ أَخْرَجوكم مِن دياركم، وَظاهَروا علَى إخراجِكم، وَنَفَوْكُم عَن المسجد الحرام ـ أَكْبَرُ عندَ الله، وأعظمُ جُرْماً مِن قَتْلِكم ابنَ الحضرميّ في الشهرِ الحرامِ، والفِتنةُ ـ وهيَ الشركُ بالله ـ أكبرُ مِن ذلكَ كُلِّه.

فكَتَب عبدُ الله بنُ جَحْش إلى مُسلمي مكةَ أن اللهَ عَزَّ وجل قَد أنْزَلَ عُذراً، وَكَتَب بهذه الآيةِ إليهم: إذا عَيَّرُوكم فَعَيِّرُوهم إخراجَ أهلِ المسجدِ ظُلماً وعُدواناً، والشِّركَ الذي هُم فيه، فَخَصَمُوا أعداءَ الله.

[٢٦/أ] ثُم خَرجَ رسولُ الله ﷺ / مِن المدينةِ خَرْجةً أُخرى، فَبَلَغَ وَدّانَ، فَنَزَلَ وَبعَثَ سِتِّينَ راكباً مِن المهاجرينَ، ليسَ مَعَهم مِن الأنصارِ أحَدٌ، وَأَمَّرَ عَليهم عُبيدةَ بنَ الحارثِ، وَأَمَرَه أن يسيرَ إلى جيشِ المشركين، فإنّهم قَد خَرجوا مِن مكةَ، فَخَرج مَعَهم المقْدادُ بنُ الأسْود، فَكَتَب إلى رسولِ الله ﷺ: إن

(١) انذعر إلى الشيء: فزع إليه. «لسان العرب»، مادة: ذعر.

المشركينَ قَد خرَجوا مِن مكةَ يُريدون أن يَسيروا فِي تِهامة، وَيَدْنُوا قريباً مِن المدينة، ثُم يَرْجِعوا، فلذلكَ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عُبيدة بنَ الحارثِ والذينَ مَعه بِثَنِيَّةٍ، فارْتَمَوا بالنَّبْل.

وانْحازَ المسلمونَ فِي حامِيةٍ حتى هَبَطُوا مِن الثَّنِيّة، ثُم انْكَفأ بعضُهم عَن بَعض، وَرَمى سعدُ بنُ أبي وقاص بِأسْهُم في أعداءِ الله، فَأصابَ بِكُلِّ سَهْم رَمَى به رَجُلاً، وكانَ أوَّلَ مَن رَمَى بِسَهْمٍ يومئذٍ في سبيلِ الله، وَيومئذٍ لَحِقَ المقدادُ بالمسلمينَ، وكان خَرَجَ في جَيْشِ / المشركينَ مُتَوَصِّلاً بِهم لِيَلْحَقَ بِرَسولِ الله [٢٧ أ] ﷺ، فَفَعَلَ ذلكَ.

* * *

قصة غزاة بدر

ثُم نَزَلَ جبريلُ ﷺ، فأخبرَ رسولَ الله ﷺ بِعيرٍ لِقريشٍ مُقْبِلةٍ مِن الشام، فيها أربعونَ راكباً، فِيهم أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ، وَمَخْرَمةُ بنُ نَوْفل الزُّهري، وَأَمَرَ بالنفيرِ، واستنفرَ رسولُ الله ﷺ المهاجرينَ والأنصارَ، فَنَفَرُوا مَعه علَى نَواضحِ المدينةِ، ليسَ لَهُم ظَهْرٌ غيرُها، فكانَ يَخْرُجُ الثلاثةُ مِنهم على البَعير، وَخرجَ رسولُ الله ﷺ وَرجُلان مَعه، ليسَ مَعهم ظهرٌ غيرُ بَعيرٍ، فَرَكِبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنهم عَقِبَه، ليسَ مِنهم فارسٌ غيرُ اثْنَيْن: مُصْعَب بنُ عُمَير بنِ هاشمٍ أخِي بَنِي عَبْدِ الدّار، والمقدادُ بنُ الأسود./ [٢٧/ب]

فَخَرجوا مِن المدينةِ علَى نَقْبِ بَنِي دِينار، وَأرْسلَ رسولُ الله ﷺ رَجُلاً عَيْناً علَى العِيرِ وَمَن فيها، يُقال لَه: عَدِيُّ بنُ أبي الزَّغْباءِ مِن الأنصارِ، وأصلُه مِن جُهينةَ، وكانَ حليفاً للأنصارِ، فانطلقَ عَدِيّ، فَعايَنَ العيرَ وَمَن فيها، فَأَنْكَرَ القومُ شَأْنَه، فَسَبَقَهم عَديّ بَعْدما عَلِمَ عِلْمَهم، فَسَبَقهم، فَطَلَبوه فَفاتَهم، فَبعثَ أبو سفيانَ وأصحابُه رَجُلاً مِن بَنِي ضَمْرةَ ـ يقالُ لَه: ضَمْضَمُ بنُ عَمْرو ـ مُستغيثاً إلى أهلِ مكةَ، وَجَعلوا لَه راحلةً إن بَلَّغ عَنهم.

فانطلقَ حتى تَوَسَّطَ بيوتَ أهلِ مكةَ، فَنادى: يا صَباحاه! فقالوا: وَيْلَكَ! ما لكَ؟ قالَ: تَرَكْتُ مُحمداً وأصحابَه قَد نَفَرُوا إلى عِيرِكم، وَمَعايشكم، وإخوانِكم، فَأَتَيْتُكم لأُخْبِرَكم، فقامَ حنظلةُ بنُ أبي سفيانَ فَنادى: إن الصُّباة[1]

---

(١) في الأصل: «الصبا».

مُحمداً وأصحابَه قَد نَفرُوا إلى مَعايِشِكم وَحَرائِبِكم[١].

وَكانَت امرأةٌ مِن بَنِي هاشمٍ قبلَ ذلكَ بِثَلاثِ ليالٍ قَد رَأتْ في المنام مَلَكاً قائماً بَيْن الأخْشَبَيْنِ / يُنادي: ألا كيفَ يَخْرجُ أعداءُ الله إلى مَضاجِعهم؟! فقالَ [٢٨ ب] أبو جَهل: واللاتِ والعُزَّى، لَقَد تَنَبَّأت عَلينا نساؤُكم ورجالُكم، وايْمُ الله إنّي لأحْسَبُ ما يقولُ محمدٌ كَنحْو ما تقولُ صاحبَتُهم هذه، إن هُو إلا رُؤيا الليلِ.

فلمّا قَدِمَ عَليهم ضَمضمُ بنُ عمرو، قالَ أبو البَخْتَرِيّ[٢] بنُ هشام بنِ الحارثِ مِن بَنِي أَسَدِ بنِ عَبد العُزى: واللاتِ والعُزَّى، إنّي لأَرَى أعداءَ الله الذينَ يَخْرجونَ إلى مَضاجِعهم، وإنّي لَجالسٌ. فقالَ أبو جهل: كَذَبْتَ واللاتِ والعُزى، لَنَخْرُجَنَّ راغماً أنْفُكَ داحراً، وَلا نُخَلِّف بعدنا أحداً بِمكةَ مَع نِسائنا وأبنائِنا، فَنَفَرَت قُريش كُلُّها، الحرُّ مِنهم والعبدُ، مَن أطاقَ السلاحَ[٣]، وَكَرِهت بَنو هاشم الخروجَ، فَأُخْرِجوا كرْهاً، وَأُخْرِجَ مَعهم أبو البَخْتري بنُ الحارث، وَأرادَهم العباسُ علَى أن يُجَهِّزَ مَعهم عبداً له شاباً شُجاعاً، وَيذَرُوه فأبَوا عليهِ. [١/٢٩]

فقالَ أبو جَهل: إن بَنِي هاشم وَأبا البَخْتري عَدُوٌّ لَكم وَعَيْنٌ فِيكم، فَلا تَذَرُوهُم فِي بَيْضَتِكم وَنسائِكم، وَلَكن أخرِجُوهم مَعَنا وإنْ لَم يَكُن عِندَهم غَناءٌ، وَأُعْتِلَ[٤] ناسٌ كثيرٌ مِن أهل مكةَ بِالزّاد، فَضَمِنَ لَهم عُتْبَةُ بنُ ربيعةَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ عَشْرَ جَزائِرَ، فَفَعَلَ، وَخَرجَ القومُ علَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ، فَبَلَغُوا ألْفاً وَنَيِّفا مِن مِئَتَيْنِ.

---

(١) حَرِيبة الرجل: ماله الذي يعيش به، وقيل: ماله الذي سُلِبه. «لسان العرب»، مادة: سلب.

(٢) في حاشية الأصل ما نصه: «قال ابن إسحاق: واسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث ابن أسد».

(٣) كذا في الأصل، يعني: مَن أطاق السلاح ومَن لم يُطِق، ومثله سائغ في اللسان العربي.

(٤) العتْل: الدفع والإرهاق بالسوق العنيف. «لسان العرب»، مادة: عتل.

فَسارُوا، حتى إذا ظَعَنُوا في أدنى أرضِ بَنِي كِنانةَ أتاهُم الخبَرُ أن العِيرَ قَد نَجَت، وَأَخَذَت طريقَ السّاحل، وأن محمداً وأصحابَه بِالصَّفْراءِ، فأرادَ القومُ الرجوعَ، فَغَلَبهم أبو جَهـل علَى أمرهم. وقالَ أُبَيُّ بنُ شَرِيقٍ ـ وهُو الأخْنَسُ ـ: واللاتِ والعُزَّى، لا أرْفَعُ علَى محمدٍ رايةً عامِي هذا، وَلا أسيرُ إليه بِزُهْرِيٍّ، وَقد نَجَّى اللهُ صاحبَنا مَخْرَمةَ بنَ نَوفل، وإنَّما خَرَجْنا إليه، وَلا نَبدأُ أنفسنا العامَ / بِقَطْع [٢٧ ـ ب] رَحِمنا مِن محمد ﷺ، وَلا نَدْرِي ما نَلْقَى فِي قتالِه، وَلَئن أطَعْتُموني لَنَرْجِعَنَّ.

فأرادَ النَّفرُ الهاشِمِيُّون الرَّجْعةَ وَأبو البَخْتَري بنُ الحارث، فأبَى عليهِم أبُو جهل وَمَن مَعه، وقالَ: أَلَم أَقُل لَكم: إن هَؤلاء الرهطَ عَدوٌّ لَكم؟! فقالَ لَهُم طالبُ بنُ أبِي طالبٍ: فلِمَ تَخْرُجون مَعكم بِعَدُوّكم؟! ولو شِئتم تَرَكْتُمُونا، فَأبَوا عليه، فعندَ ذلكَ يَقولُ:

اللهُــم إمّــا يَغْــزُوَنّ[1] طالِب ... فــي مِقْنَبٍ مِن هــذه المقانِبِ
فَليَكُن المسلوبَ غيرَ السالبِ ... الراجعَ المغلوبَ غيرَ الغالبِ

قالَ أبو جَهل لأصحابـه: أَلَم أَقُل لَكُـم؟! قالَ طالبٌ: إن الذي بَقِيَ مِن خِذْلاننا إيّاكم عندَ الله أشَدُّ مِن القَول. فَهَمَّ أبو جَهل بِضَربه، فَمَنعه بَنو عَبد مَناف، وقالوا له: لَقد كِدتَ يا أبا الحكَم أن تُفَرِّقَ كَلِمَتَنا، أوَتَلومُ طالباً في النُّصح لابنِ عَمّه؟! فاختلفتْ كلمةُ القومِ، وَهَمُّوا بالرجوعِ.

وَرَجَع الأخْنَسُ بنُ شَرِيق فِي ثَلاث مئةٍ، يَومئذٍ سُمِّيَ الأخنسَ، / وكانَ [٢٨ أ] اسْمُه أُبَيّاً؛ لأنّه خَنَسَ بالقومِ، وأرادَ عُظْمُ القَوم أن يَرجعُوا، فَأتاهم إبليسُ في صورةِ سراقةَ بنِ مالك بنِ جُعْشُم الْمُدْلِجِيّ مِن بَنِي مالك بنِ كِنانة، فقالَ:

---

(١) في الأصـل: «يعـززن»، والمثبت من «الاكتفـاء» للكـلاعي (١: ٣٣٠)، والمقنَب: جماعةُ الخيل والفُرْسانِ، وقيل: هي دون المئة، «لسان العرب»، مادة: قنب.

يا معشرَ قُريش، أنتم كثيرٌ، وَعَدوُّكم قليلٌ، فَلا تَرْجِعُوا حتى تَسْتَأصِلُوهم، فَتَأْمَنَ ضَيْعَتُكم وَسُبُلُ عِيرِكم، وَأنا جارٌ لَكم على بَنِي كِنانَةَ، أن يبرئَ منه أهلُ الميثاق مَعكم مَن لا ميثاقَ بَينهم وَبينه، فَلم يَزُل عَنهم عَدوُّ الله حتى سارُوا جَميعاً، غَيْرَ الأخنسِ وَمَن مَعه.

فَلَمّا رَجَعَ ابنُ أبي الزَّغباء عَيْنُ رسولِ الله ﷺ علَى العيرِ وَمَن فيها إلَى نَبيِّ الله ﷺ، فَأخْبَرَه أينَ فارقَ العيرَ، وَكَم هيَ، وَمَن فِيها، وَما أحْمالُها، وَقد نَزلَ جبريلُ ﷺ قُبَيْلَ قُدوم عَديٍّ علَى رسولِ الله ﷺ، فَأخْبَره بنَفير المشركينَ، [٢٩/ب]
وَبيَّنَ لَه أن الله عَزَّ وجلَّ وَعَدَكَ يا مُحمد وَأصْحابَك إحدَى الطّائفَتَيْن أنَّها لَكم.

فَنَزلَ نَبيّ الله ﷺ وَفي نَفسِه مِن أمرِ الأنصار؛ لأنّهم إنَّما شَرَطوا لَه يومَ بايَعوه علَى: أنّا نَمْنَعُك مِمّا نَمْنَعُ أنفسنا وأولادَنا ونساءَنا، وَنَمْنَعُك إن أتاكَ أحدٌ يُريدُك فِي دِيارنا وَقَرارِنا، فاسْتَشارَهم رسولُ الله ﷺ وَقَد سَمِعوا خَبَرَ عَديّ، فقامَ أبو بَكر بنُ أبي قُحافة، فقالَ: يا رسولَ الله، أنا أعلمُ القوم بهذا الطريقِ، وَقَد أخَذْتُه مِراراً، فارقَ عَديٌّ العيرَ بِكذا وكَذا، ثُم سارُوا وَسِرْنا، فَلم نَزَلْ نُسايِرُهم حتى قالَ[١] القومُ وَنَحن علَى ماءِ كَذا وَكَذا، كَأنّا فَرَسا رِهانٍ.

فَلَم يَكُن ذلكَ هَوَى رَسولِ الله ﷺ، فقالَ: أشِيرُوا عَلَيّ، فقامَ عُمر فقالَ: يا رسولَ الله، لا أرَى الذي أشارَ به الصِّديق، وأنتَ أعلمُ يا رسولَ الله، اسْتَشَرْتَنا [٣٠/أ]
لِنُشيرَ عليكَ، فَأرَى مِن الرأيِ يَغْنِي أن تَسيرَ إلى هذا الطريقِ [...][٢] أصحابَ العيرِ، فَتُصيبَهم وَما مَعهم إن شاء الله، فَيَكُونَ شَيءٌ يَكْبِتُ اللهُ به المشركينَ، وَيُقَوِّي به المسلمينَ فِي حَرْبِهم، والأمرُ إليكَ يا رسولَ الله. يُشيرُ بِهذا عمرُ وَأبو بَكر، وَلا يَعْلمانِ بنفيرِ المشركينَ.

---

(١) من القيلولة.

(٢) خرْم بمقدار كلمة، ولعلها: «فتلقى»؛ بدليل أن «أصحاب» في الأصل المخطوط منصوبة.

ثُم أعادَ رسولُ الله ﷺ المشاورةَ لَهم، فقالَ لَهم: يا معشرَ الأنصارِ، ألا يَعْزِمُ مِنكم رَجلٌ؟ فقامَ سعدُ بنُ عبادةَ أخُو بَنِي زُرَيق حاملُ رايةِ الأنصار، فقالَ: اللهمّ وَفِّقْنِي للذي تُحِبُّ، والذي يَرْضَى به عَبدُكَ ورسولُك، إنّك خَرَجْتَ
[٣٠/ب] مِن المدينةِ علَى أمرٍ، وَلا نَدْري لَعلَّ اللهَ قَد أحْدَثَ لكَ أمراً سِواه، / نَفَرْتَ حينَ نَفَرْتَ إلى العِير، ثُم أراكَ تَستشيرُ القومَ، فَيُشيرُون عليكَ بالمسيرِ إلى العِير، ثُم تَعودُ إلى المشاورةِ، كَأنَّك لا تَرْضَى الذي يُشيرونَ به عليكَ، وأراكَ يا رسولَ الله قَد رِبْتَ أن الأنصارَ لَن يَنْصُروكَ علَى عَدوٍّ إلا عَدُوّاً أتاكَ فِي دِيارِهم وَقَرارِهم، فامْضِ للذي أمَرَكَ اللهُ به؛ فإنَّك لَو سِرْتَ إلَى عَدَنِ أبْيَنَ[1] ما تَخَلَّف عنكَ رَجلٌ مِن الأنصار.

فاستبشرَ رسولُ الله ﷺ لقولِه، وَعَرَف أصحابُ رسولِ الله ﷺ الطلاقةَ فِي وَجْهه لقولِ سَعْدٍ، فقامَ المقدادُ بنُ الأسود فقالَ: يا رسولَ الله، إنّا لا نَقولُ كَما قالَت بَنو إسرائيل: اذْهَب أنتَ وَربّكَ فَقاتلا، إنّا هاهنا قاعدون، ولكِنّا نقولُ: سَمْعاً وطاعةً لله وَللرسولِ، فَأْمُرْنا بأمرِك؛ فإنّا لكَ تَبَعٌ.

[٣١/أ] فقالَ لَهُما / رسولُ الله ﷺ معروفاً، وَأخْبَرهم بالذي أتاه جبريلُ ﷺ مِن نَفير المشركينَ، وقالَ: إن اللهَ وَعَدني إحْدَى الطائفتَيْن، فَسِيروا، وَخُذُوا أُهْبَةَ القِتال؛ فإنِّي لا أدري أيّتَهُما ألْقَى.

فَوجدَ مِن ذلكَ ناسٌ من المسلمينَ، فَجادلوا نبيَّ الله ﷺ، وقالُوا: لو كنتَ آذَنْتَنا ونحنُ في المدينةِ بالقتالِ أخَذْنا لذلكَ أُهْبَتَه، ولكنكَ ذَكَرْتَ لَنا العيرَ، فَقال لَهُم رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الأمرَ يَحْدُثُ بعدَه الأمرُ، فامْضُوا حيثُ تُؤْمَرُون». فَمَضَوا علَى ما لا يَعْلَمُه إلا اللهُ مِن الكَراهِيةِ والوَجْدِ، فأنزلَ الله

---

(١) رجلٌ من حِمْيَر، أُضِيفت إليه عدن. «صبح الأعشى» للقلقشندي (٥: ٩).

عزّ وجلّ: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ * يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥-٦].

وكانَ مِن هَواهم / أن يَسيروا إلى العِير، وَقد أطْلَعَ نَبيَّه ﷺ على ذلكَ، [٣١/ب] فلِذلكَ قولُ الله: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧].

فلمّا عرَفَ أصحابُ رسول الله ﷺ آيةَ القتالِ، فَطابَت لذلكَ أنفسُهم، فاسْتَأْذَنَه مَن كانَت به عِلّةٌ، فَتَرَكَهم بِالرَّوْحاء والصَّفراء، فَمَضَى رسولُ الله ﷺ، وَبَعَثَ بَين يَدَيه رَجُلاً مِن الأنصارِ ـ يقالُ له: بَسْبَس ـ في عَشَرة رَهط، وقالَ لَهم: امْضُوا فيما بَيْنَكم وبينَ بَدر؛ لَعلكم تَأخذونَ عَيْنَ القَوم. فَمَضى بَسْبَس وأصحابُه حتى وَرَدُوا الظَّنَّ[١]، فَوَجَدُوا فيها أبا رافِع عبداً للعباسِ ابنِ عبدالمطلبِ، وَأسْلَمَ أبا عِياضِ بنِ أسْلَمَ عَبداً لعقبةَ بنِ أبي مُعَيْط / [٣٢/أ] فأخَذُوهُما

وَقَدِمَ نبيّ الله ﷺ الماءَ، فَخَلا بأبي رافع، وَعَرَفَ أنّه سَيَصْدُقُه الخبَرَ، وَتَرَكَ أسْلَمَ في أيدي القومِ يَسْتَخْبِرونه، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لأبي رافع حينَ خَلا به: يا أبا رافِع، اصْدُقْنِي خبرَ القومِ، فقالَ: كيفَ تَسألُني عَن خبرِ القَوم وأنتَ أعلمُ به منّي؟! قالَ: حَدِّثْنِي مَن خَرجَ مِن بَني هاشم، قالَ: لَم يَبْقَ مِنهم بمكةَ أحدٌ، قالَ: وكيفَ خَرجوا؟ قالَ: خَرجوا كَرْهاً، قالَ: وَهَل أُكْرِهُوا[٢] غَيرُهم؟ قالَ: لا، غَير أبي البَخْتَري بنِ الحارث؛ فإنّهم أخْرجوه كُرهاً، قالَ: فَمن بَعَثَك؟ قالَ:

---

(١) الظَّنَّة: القليل من الشيء، ومنه: بئرٌ ظنونٌ؛ قليلة الماء. «لسان العرب»، مادة: ظنن.

(٢) كذا في الأصل، والمعنى: هل أُكره غيرُهم؟

بَعثَنِي العباسُ، قالَ: حَدَّثَنِي مَن خَرَجَ مِن أشرافِ أهلِ مكةَ، قالَ: خَرجَ مِن بَنِي عَبد شَمْسٍ عتبةُ بنُ ربيعةَ، وَشَيبةُ بنُ ربيعة، وَحَنظلةُ بنُ أبي سفيانَ، وعقبةُ بنُ أبي مُعَيط، وَخرجَ مِن بَنِي المغيرةِ أبُو جَهل / بنُ هِشام، والحارثُ بنُ هشام، [٣٢/ب] والعاصِ بنُ هشام، وخرجَ مِن بَنِي سَهْم مُنَبِّهُ بنُ الحَجّاج، والعاصِ بنُ مُنَبِّه، ونَحوُ هؤلاء يا رسولَ الله.

فَحُدِّثْتُ أن رسولَ الله ﷺ قالَ عندَ ذلكَ اليوم: اليومَ فاتَ مكةَ أفْلاذُها؛ أما إنّهم لَن يَعودُوا إليها أبداً إن شاءَ اللهُ إلا رَيْثَ[١] ما يُخْزِيهم الله.

قالَ نبيُّ الله ﷺ: «وَيْحَكَ! كَم القومُ يا أبا رافع؟» فقالَ أبو رافع: بَشَرٌ كثيرٌ، طَعامُهم كلَّ يومٍ عَشْرُ جزائرَ، قالَ: «فَهُم إذنْ ألفُ رَجلٍ»، حَزَرَهُم نَبيُّ الله ﷺ، وكذلكَ كانوا.

وَخَلا القومُ بأسلمَ غُلامِ عقبةَ بنِ أبي مُعَيط، فَجَعلوا يَقولونَ لَه: حَدِّثنا، فإذا أَخبَرَهم بكثرةٍ مِن القومِ، وَسَمَّى لَهم صَناديدَهم جَلَدُوه، وقالوا: أنتَ يا عدوَّ الله تُخَوِّفُنا، / وإذا أَخبَرَهم بِقِلةٍ مِن القومِ وَضَعْفٍ تَرَكُوه. فَخَرجَ [٢٣/أ] رسولُ الله ﷺ وَهُم علَى ذلكَ، وَأبو بكر بنُ أبي قُحافةَ يَضرِبُه علَى رأسِه، يقولُ: اصْدُقْنا يا عدوَّ الله، قالَ النبيُّ ﷺ عندَ ذلك: «أَتَضْرِبُونه إذا صَدَقكم، وَتَدَعُونه إذا كَذَبكم؟! فإنَّ الحديثَ كالذي حَدَّثَكم أَسْلَمُ، قَد خَبَّرَنِي أبو رافعٍ وَلم يَكْذِبْنِي»، فَقالوا عندَ ذلكَ: حَسبنا اللهُ وَنِعْمَ الوكيلِ.

ثُم أصبحَ رسولُ الله ﷺ مُرْتَحِلاً، وأصبحَ المشركونَ مُرْتَحلينَ حينَ أبطأَ عَليهِم عَيْنُهم، فَسَبَقوا رسولَ الله ﷺ إلى ماءِ بَدر، فَنَزَلوا عليه، وَأتاه نبيُّ الله ﷺ

(١) قَعَدَ فلانٌ عندنا إلّا رَيْثَ أن حَدَّثَنا بحديث ثم مَرَّ، أي: ما قَعَد إلّا قَدْرَ ذلك. «لسان العرب»، مادة: ريث.

وَقَد حازُوا الماءَ خَلْفَ ظُهورِهم، فَنَزلَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه على غيرِ ماء.

فَمَكَثوا يومَيْن وليلةً يُصلُّون / مُجْنِبِينَ مُحْدِثِينَ، فأتاهم الشيطانُ عندَ ذلكَ، فقالَ لَهم: أتزعمونَ أنّكم أولياءُ الله، وَأنّكم على الحقّ، وَقد غَلَبكم هؤلاءِ القومُ المشركونَ علَى الماءِ، وَأنتم تُصلُّون مُجْنِبِينَ مُحْدِثِينَ! لا تَعلمونَ أنّكم لَو كُنتم علَى حَقٍّ نُصِرْتُم، وإنَّما يَمْنَعُ القومَ قِتالُكم ما أنتم فيه مِن الْجَهدِ والبلاء، فلذلكَ تَرَكُوكم حتى إذا انْقَطَعت رِقابُكم مِن العَطَشِ قاموا إليكُم، فَلا يُبْصِرُ بعضُكم بعضاً، فَقَرَنُوكم في الحبالِ، فَقَتَلوا مَن شاؤوا، وانْطَلقوا بِبَقِيَّتكم إلى مكةَ، فَلَم يَزل الشيطانُ يوسوسُ إليهم حتى حَزِنَ المسلمونَ، وَخافوا حتى امتنعَ مِنهم النومُ، ثُم رَجَع عدوُّ الله إلى المشركينَ، فقالَ: أبْشِرُوا؛ فإنَّ القومَ لا ماءَ لَهُم، وَهُو مُتَشَبِّهٌ لَهُم بسراقةَ بنِ مالكٍ، وجعلَ يَقولُ: إنّي قَد بَعَثْتُ عَيْنِي قِبَلَهُم، فَأخبَرَنِي أنّه لا ماءَ لَهم، والقومُ مُسلمونَ صاحبَهم، وَأنا مَعكم، وَلا تَخافوا أن يُمِدَّهُم مِن حُلفائِهم أحَدٌ، وبعثَ المشركونَ إلى حلفاءِ النبيِّ ﷺ مِن بَنِي ضَمْرة[١]. /

[٤٢/ب] [٤٣/أ]

* * *

(١) إلى هذه اللوحة انتهى الكلام على غزوة بدر، وقد سقطت بعد ذلك لوحات الله أعلم بعِدتها، فانتقل الكلام إلى بداية غزوة بني قريظة، فسقط من المخطوط بقية غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة بني النضير، وغزوة الخندق، وما الله به عليم من الأخبار، لولا أن وجدنا غزوة بني النضير وغزوة الخندق وأول غزوة بني قريظة في نسخة من «مغازي الواقدي»، كانت ناقصةً، فأكمل الناسخ نقصها من «مغازي ابن طرخان»، وهي المطبوعة القديمة، فهما متفقانِ، أعني نسختنا والمطبوع إلى آخر الكتاب تقريباً.

[غزوة بني النضير]

[وَأمرَ اللهُ رسولَه أن يسيرَ إلى بَني النَّضير، فَيُخْرِجَهم مِن المدينةِ، وأرسلَ المنافقونَ إلى بَنِي النضير: أن لا تَخْرُجوا، وَدَرِّبُوا[١] الأزِقّة، وَحَصِّنوا الدُّور؛ فإنّه إن أبَى إلا قتالَكم أعنّاكُم، فَفَعَلَت اليهودُ ذلكَ.

وَنادَى رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فَأخَذوا السلاحَ، وَساروا إلى القومِ، فَلمّا انتهَى إليهم نبيُّ الله ﷺ وَجَدَهُم يَنُوحُونَ علَى كَعْبٍ، فَقالوا: يا مُحمد، أواعيةٌ[٢] علَى إِثْرِ واعيةٍ، وباكيةٌ علَى إِثْرِ باكيةٍ؟ قالَ: نَعم. قالوا: ذَرْنا نَبْكِ شُجُوناً، ثُم ائْتَمِرْ أمرِكَ، قالَ: اخْرُجوا مِن المدينة، فَأبَوا ذلكَ، وَقالوا: الموتُ أقربُ إلينا مِما تُريد، فَتَنابَذُوا الحربَ، فاقْتَتَلوا[٣] الناسُ قريباً مِن عشرينَ ليلةً.

فَجعلَ رسولُ الله ﷺ إذا ظَهَر علَى الدَّرْبِ أو الدارِ تَأخَّرت اليهودُ إلى الدارِ التِي مِن بَعْدِها، فَنَقَّبُوا[٤] مِن دُبُرِها ثُم حَصَّنُوها، وَتخرب[٥] أصحابُ رَسول الله ﷺ ما ظَهَرُوا عليه، وذلكَ قَولُه عز وجلَّ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

---

(١) التَّدْرِيبُ: الصَّبْرُ في الحَرْبِ وقْتَ الفِرار. «لسان العرب»، مادة: درب.

(٢) الواعِيـةُ: الصّارِخةُ، وقيـل: الواعِيةُ الصُّراخ على الميت، لا فِعْلَ له. «لسان العرب»، مادة: وعى.

(٣) كذا على لغة: أكلوني البراغيث.

(٤) خَرَقُوا البلادَ فساروا فيها طَلَباً للمَهْرَب. «لسان العرب»، مادة: نقب.

(٥) كذا في الأصل، ولعله: أخرب، أو نَخْرَبَ.

وَأمرَ رسولُ الله ﷺ بِقَطْعِ شيءٍ مِن النّخل لِيُغِيظَهم بِهِ، وَيُخزيَهم الله به، وكانَ في نَخلهم ضَرْبٌ يقالُ له: اللَّوزُ[١]، أصفرُ شَديدُ الصفرةِ، تُرَى النواةُ مِن اللّحْمة، تكونُ النخلةُ أحَبَّ إليهِم مِن الوَصِيفِ، فَجَزِعَ أعداء الله حينَ رَأوا ذلكَ الضَّرْب مِن نَخلهم يُقطع، قالوا: يا محمد، أوَجَدْتَ فيما أُنزل إليكَ الفسادَ في الأرض أو الإصلاحَ؟ فَجَعلوا يُكْثِرون في ذِكر هذا.

فَلَمّا أيِسُوا مِن نَصر المنافقينَ، وَقَذَفَ اللهُ في قلوبِهم الرُّعبَ، سَألوا نبيَّ الله ﷺ أن يُؤَمِّنَهم على أموالِهم وَدمائِهم وَذَراريهم، يَخْرُجون مِن المدينة، فَصالَحَهم نَبيّ الله ﷺ علَى أن يَخرجُوا من المدينة، وَلكلّ ثلاثةٍ مِنهم بَعيرٌ يَحْملونَ عليه ما شاؤوا مِن مال أو طَعام أو شَراب، لَيس لَهم غَيْرُه، فَخرَجوا علَى ذلك، فَأنزلَ اللهُ تَعالى في ذلكَ النخلِ الذي قَطَعوا والشجرِ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]. وقالَ تَعالى فِي إخراجِهم مِن المدينة: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ٣].

فَساروا حتى خَرَجوا مِن المدينةِ إلى أذْرِعاتٍ وَأريحا مِن الشّام، غَيْرَ أن حُيَيَّ بنَ أخْطَبَ سارَ في أهلِه وبنِي أخيه إلى خَيْبَرَ، فَتَرَكَهم فيها، وسارَ إلى مكةَ، فَوَجدهم قَد خَرَجوا يريدونَ النبيَّ ﷺ في عام سَنةٍ، فَأقاموا بَعدما خَرجوا مِن مكةَ، فَقالوا: لا نُصالِحكم إلا عامَ الخَصِيبِ، تَرْعَون فيها الشجرَ، وَتَشْربونَ فيها اللبنَ، وَكانوا قَد أكَلوا[٢] مِن السَّويق، فَسمي ذلكَ الجيشُ جيشَ السَّويق.

---

(١) من تمور العراق، صِنف يقال له: أم اللوز، لَون البسر أصفر حلو، يُؤكَل رطباً. «النخيل والتمور في العراق» لعبد الوهاب الدباغ (ص١٠٠).

(٢) في (ط): «أكروا»، وهو تصحيف.

فَأتاهم حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ وَهم يَأتَمِرون، فَصارَ مِن أمرِهم أن رَجَعوا إلى مكةَ، فَسَألوا حُيَيّاً عَن قَومهم، فقالَ: تَرَكْتُهم بَين خيبرَ والمدينةِ يَتَرَدّدون حتى تَأْتُوهم، فَتَسيروا مَعهم إلى محمدٍ وأصحابِه. فَسألوا عَن قُريظةَ، فقالَ: أقاموا بالمدينةِ مكراً بمحمدٍ حتى تأتُوهم، فَيَميلوا مَعكم، فَأقاموا سَنةً أُخرى، فهذا حديثُ بَني النَّضير.

* * *

غزوة الخندق

ثم إن قريشاً جَمَعوا الجموعَ، واستأجَروا حَيّاً مِن قبائلِ العَرب، فَسارت غَطَفان وَأسَد وَسُلَيم وقُريش وَمن دَخل فيها، فاجتمعَ مِنهم نَفيرٌ جَمٌّ، فَساروا جَميعاً، وَبَلغَ نبيَّ الله ﷺ الخبرُ، فأخذَ فِي حَفْر الخنْدَقِ مِن حَول المدينةِ، فلمّا رَأوا[1] أصحابُه أن نبيَّ الله ﷺ قَد جَدَّ في أمرِ الخنْدَق، عَرَفوا أن المشركينَ قَد ساروا إليهِم.

وَجعلَ رسولُ الله ﷺ لِكل بَني أبٍ طائفةً مِن الخندق، فاختصمَ المهاجرونَ والأنصارُ في سلمانَ الفارسي، وكانَ رَجلاً قويّاً، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هُو مِن أهل البيتِ».

فَأخذَ القومُ في حَفر الخندقِ، فَعرضَتْ عليهِم صخرةٌ، فَشَقَّت علَى كُلِّ مَن يَليها مِن الناسِ، فَبينما سلمـانُ يضربُ فيها لا يُغْنِي فيها شيئاً، إذْ نَزَلَ رسولُ الله ﷺ، فَأخَذ مِعْوَلاً كانَ فِي يَد سلمانَ، وَضَرَبَ به رسولُ الله ﷺ ثَلاثَ ضَرَبات، فانْصَدَع الحجَرُ، فَأبصرَ سلمـانُ أمـراً مِن الحجَرِ لَم يُبْصره غيرُه وغيرُ النبيّ ﷺ.

فَلَمّا أخرجوا الصخرةَ، قالَ: يا رسولَ الله، لَقد رأينا[2] مِن الصخرةِ وَأنتَ تَضربُها أمراً مُعْجِباً، قالَ رسولُ الله ﷺ: «وَهل رأيتَه يا سلمانُ؟» قالَ: نَعمْ، والذي أنزلَ عليكَ الكتابَ، قالَ رَسول الله ﷺ: «لَقد رأيتَ في الضّربة الأُولى

---

(١) كذا على اللغة المعروفة.

(٢) لأنه ظن رضي الله عنه أن الجميع رأى، وليس كذلك.

قُرى اليمن، ثم في الثانيةِ أَبْيَضَ المدائنِ(١)، وفي الضربةِ الثالثةَ مَدائنَ الرّوم، وَلقد أوحَى اللهُ به إليَّ لَيُفْتَحَنَّ عليَّ، فَأبشِروا»، فاستبشرَ المؤمنونَ بِبُشرى رسولِ الله ﷺ.

فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ مِن حَفْر الخندقِ، أتاه المشركونَ فنَزلوا به، فاقْتَتلوا قِتالاً شديداً، بَلَغَ مِن أصحابِ النبيّ ﷺ كلَّ مَبْلغ، فَحَصَرُوهم حصاراً شَديداً، ارْتابَ مِنه المنافقونَ، وَشَكُّوا في نبيّ الله ﷺ، وَأساؤُوا اللفْظَ. فقامَ رجلٌ مِن الأنصارِ يُقال لَه: مُعَتِّبُ بنُ بَشِير(٢)، فقالَ: أوَعَدَنا محمد أن يفتحَ قصورَ فارسَ والرومِ واليمنِ، وَلا يَتَبَرَّزُ أحدُنا إلى الخلاءِ مِن رَحْلِه، واللهِ لَغُرورٌ، وَتابعه على ذلكَ رَهْط مِن المنافقين. فأنزلَ الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

وَزَعموا أن قَبِيلتَين مِن الأنصارِ ـ بَنِي حارثةَ بن الحارثِ أو بَنِي سلمة ـ هَمّوا أن يُخْلُوا مَراكزَهم، وقالوا: يا نبيّ الله، إن بيوتَنا خَلِيّةٌ، نَخافُ عليها السَّرَقَ، فَلَهم يقولُ الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]. وَذَكَر في سورةٍ أخرى، فقال: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]. فَقالوا بعد ذلك: ما نُحب أن نَهُمَّ بالذي هَمَمْنا به؛ إذْ كانَ الله وَلِيَّنا.

ثُم قالت قُريش لِحُيَيّ بنِ أخطب: ما كنتَ وَعَدْتَنا مِن نُصرة قَومك؟ قالَ لَهم: إنّا علَى ذلكَ، وَهُم عندَ قَولِي، فانطلقَ عَشية الجمعة عندَ غروب الشمسِ، فَوَجد [بني] قريظة قَد تَشاءموا بحُيي بنِ أخطب، وَقالوا: إن أتاكم فلا تُدْخِلوه فَيُصيبَكم مِن شُؤمه مثلَ الذي أصابَ قومَه، فما انتهَى إليهم حتى أغلقوا البابَ

(١) إشارة إلى القصر الأبيض بالمدائن، وهو إيوان كسرى.

(٢) في (ط): «مغيث بن بشير»، وهو تصحيف.

دُونه، وقالُوا: وَراءَكَ؛ فإنّك رجلٌ مشؤومٌ، أهْلَكْتَ قَومك، فَلا أرَبَ لَنا فيكَ، وَلا فيما أتَيْتَنا به، فَوافَقهم قَد صَنعوا طعاماً لِسَبْتِهم، فقال: إنّما أغلقتم دُوني البابَ مَخافةَ أن آكُلَ مَعكم مِن طَعامكم، فَقَبَّح الله طَعامكم.

فَلمّا ذَكَر لَهم الطعامَ اسْتَحيوا منه، فَفَتحوا له، فلمّا دَخَل عليهم اسْتَمْكَن مِنهم الشيطانُ، فقالَ: وَيْحَكم يا بَنِي قُريظة! أطِيعوني؛ فإنّ الله قَد بَرِئَ مِن هذا الرجلِ وَمن أصحابِه، وَقَد حَضَر مِنهم هَلاكُ مِن أيّامهم هذه، فاخرجوا إليهم، فَخُذوا مِنهم بِحَقِّكم مِن قتال هؤلاء القوم؛ فإنّي أخافُ إن لَم تَفعلوا أن يَميلوا عَليكم إذا فَرَغوا مِن محمد وأصحابِه، فَقَد أتَيْتُكم بقريبٍ من خَمسةَ عَشَرَ ألفاً مِن العَرب، فيهِم رُؤُوسهم وساداتُهم.

فَقالوا له: وَيْحكَ يا حُيي! إنّا نَخافُ ـ كَعاداتِهم ـ أن يُهزم المشركونَ، وَيَذَروا محمداً علينا هَمّاً، وَقد قَطَعنا الذي كانَ بَيننا وَبينه، وليسَ لَنا ناصرٌ وَلا مُنْصِفٌ مِن القوم، ما يَضُرُّك يا حُيي ما لَقينا مِن القوم إذا نَجوتَ بنفسكَ! تَأمرُنا أن نَنْكُثَ الحِلْفَ الذي بَيننا وبَين محمد، فإنْ كانَ ذلكَ خَيراً فهو لكَ، وإنْ كان شرّاً فعلينا كَنحو ما لقيَ قومُك مِن شُؤمك وشُؤم أهلِ بَيتك.

قالَ: فإنّي أُقسم [في] ذلكَ بِما أنزلَ الله علَى مُوسى مِن التوراة، لَئن انهزم المشركونَ عَن محمد وأصحابِه ـ وَلا أرَى أن يَفعلوا ـ لآتِيَنَّكم حتى أدخلَ حِصنكم مَعكم، فيصيبَنِي ما أصابَكم، فَأخذوا منه مواثيقَ علَى ذلكَ، وَقالوا: أما إن فعلتَ ما فعلتَ فَأْت المشركينَ، فَجَدِّد حِلفاً بَيننا وَبينهم، وَأدخل عَلينا سَبعين رَجلاً مِن فُرسانهم وأشرافِهم، فَلْيَكونوا مَعنا في حِصننا، فإذا نَهَدُوا إلى محمدٍ خَرَجنا إليهم في أدْبارهم.

فانطلق حُيي إلى المشركين، فَحالفهم لِبنِي قُريظة، ومعه أبو لُبابةَ القُرَظِي

علَى أن يُدخلوا مَعَهم سبعينَ رَجلاً مِن أشرافهم وفُرسانهم؛ ليَكُونوا مَعهم فِي الحِصْنِ، وَأجَّلُوهُم عَشْرَ لَيالٍ علَى أن يَفْرُغوا مِن أمرهم وَيَجْمَعوا السلاحَ، وَتُقاتلـوا أنتم مُحمـداً وأصحابَه فِي هذه الأيـام، وَتَنقلوا إليهم السُّوقَ[١]، فَفَعَلوا.

فَقاتلوا رسولَ الله ﷺ في تلكَ العَشْرِ قِتالاً لَم يَكونوا قاتلوه قبلَ ذلكَ، وذلكَ حينَ أَتوا مِن فَوقهم، ومِن أسفلَ مِنهم، فكَتَّبوا[٢] للنبيِّ ﷺ ثَلاثَ كَتائبَ، فأتاه أبو[٣] الأعور السُّلمي مِن فَوق الوادي مَعه الحارثُ بنُ عوف المزَني في بَني سَعد وبَني ذُبْيان[٤]، وَأتاه عُيينة[٥] بنُ حِصن في [بني] فَزارةَ وَأسد، وعلَى بَني أسَد يومئذٍ طُلَيْحةُ بنُ خُويلد الفَقْعَسِي، وَنَصَب لَه أبو سفيانَ القِبابَ[٦] مِن قِبَلِ الخندقِ.

قاتلوه يومئذٍ مِن فَوقه، ومِن تَحته، ومِن بَين يَديه إلى غُروب الشمس، وَحالوا يومئذٍ بَينه وبينَ صلاةِ العصر، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنَعُونا مِن صلاة العَصر، مَلأَ اللهُ بطونَهم وبيوتَهم ناراً»، وَهم الأحزابُ الذين ذَكَر الله، قال اللهُ تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

وأقبلَ نوفلُ بنُ عبد الله بنِ المغيرةِ علَى فَرسٍ لَه بَعد ما غَربت الشمسُ لِيُوثِبَه[٧] الخنْدقَ، فَصُرِعَ هو والفرسُ في الخندقِ، فَتَحَطَّما جميعاً، فأرسلَ

(١) سوق القتال والحرب وسوقته: حَوْمته. «لسان العرب»، مادة: سوق.

(٢) كَتّب الكتائبَ: هيَّأها. «لسان العرب»، مادة: كتب.

(٣) في (ط): «ابن».

(٤) في (ط): «دنيال».

(٥) في (ط): «عتيبة».

(٦) جمع قبة، وهي من الخيام، بيتٌ صغير مستدير. «لسان العرب»، مادة: قبب.

(٧) يعني الفرس أوثبه الخندق، يقال: أوْثَبَه الموضعَ؛ إذا جَعله يَثِبُه. «لسان العرب»، مادة: وثب.

أبو سفيانَ إلى نبيِّ الله ﷺ: إنّا نَعْرِضُ عليكَ بجيفة نوفلِ الديةَ مئةً مِن الإبل، قالَ: «لا، أرسلُوا فَخُذوه؛ فإنّه خبيثٌ، خبيثُ الديةِ».

ولقيَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ تلكَ العَشيّةَ مِن المشركينَ زلزالاً شديداً، فرجعَ المشركونَ إلى مُعسكرهم، فَأَعْظَمُوا النيرانَ، فَجَلَسوا، ونادَى رسولُ الله ﷺ ناساً مِن أصحابِه بأسْمائهم، فِيهم حُذيفة بنُ اليَمان، فَلم يُجِب منهم أحَدٌ، فقامَ رسولُ الله ﷺ يَتخَلَّل الصفوفَ حتى مَرَّ على حُذيفةَ، فَضَربه برجله، فقالَ: «مَن هذا؟» قالَ: أنا حذيفةُ يا رسولَ الله، قالَ: «إنَّك تَسمعُ صوتِي مُنذ الليلة؟» قالَ: نَعم والذي أنزلَ عليكَ الكتابَ، قالَ: «فَما مَنَعك أن تجيبَنِي؟» قالَ: القُرُّ والضُّر الذي أنا فيه، قالَ: «قُم بِاسم اللهِ»، فَنهضَ حُذيفة.

فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «انطلقْ يا حُذيفةُ إلى عَسكر المشركينَ، فائْتِني بِخَبَرِهم وبالذي يُريدون إذا أصبحُوا؛ فإنّه قَد بَلغَنِي بعضُ الخبَر، وَلا تُحْدِثَنَّ حَدَثاً حتى ترجعَ إليّ». فانطلقَ حُذيفة لأمرِ رَسول الله ﷺ، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ لَمّا قَفَّى[١]: «اللهم احفظْ حُذيفة مِن بَين يَدَيه، ومِن خَلفه، وعَن يَمينه، وعَن شِماله».

وانطلقَ حُذيفة وَلا يشعرُ بِقُرٍّ وَلا ضُرٍّ حتى انتهَى إلى حَلْقةٍ مِنهم، وهم جلوسٌ على نارٍ لَهم يَتَحدّثون، فَجَلَس إليهم وَلا يَرَوْنَ إلا أنه مِنهم، فَأتاهم آتٍ مِن قِبَل أبي سفيانَ، فَقالوا: ما وراءكَ؟ قالَ: يَأخذُ كلُّ رجلٍ مِنكم بيدِ جَليسه فَيَعْلَمُ مَن هو؛ فإنِي أُريد أن أُخبركم خبراً لَيَسُرَّكم، فَأخذَ كلّ رجلٍ مِنهم بيدِ مَن يَلِيه، وأخذَ حذيفةُ بيد جَليسه، فَرَدُّوا عَليه أنّه ليسَ فِينا أحَدٌ مِن غَيْرِنا، فَحَدِّثْنا حديثَك، قالَ: أتانا أبو لُبابة سَيد بنِي قُريظة وَحُيَي، فَسَألوا أن نَبعثَ

---

(١) أي: ذهب مُوَلِّياً، وكأنه من القَفا، أي: أعطاه قفاه وظهره. «لسان العرب»، مادة: قفا.

إليهم سبعينَ رَجلاً منّا، فإذا نَهَدُوا إلى محمدٍ خَرَجُوا عَليهم مِن أدْبارهم، قالَ: ومَتَى ذلكَ؟ قالَ: الثّالثةَ.

فقامَ حُذيفة مِن عند القومِ، فَمَرّ على أبي سفيانَ وَهو يُصْلِي ظهرَه بِنارٍ لَهُم، فَهَمّ أن يَضعَ فيه سَهْمَه، ثُم ذَكَر وصيةَ رَسول الله ﷺ، فانطلقَ حتى أَتَى نبيَّ الله ﷺ وهو يُصَلي، فانصرفَ، فَدَخلَ رسولُ الله ﷺ قُبّتَه، فأرسلَ إلى حذيفةَ، فقالَ: «أخبرنا يا حُذيفة»، قالَ: غَدَرَت اليهودُ، فَحَدَّثه حديثَ القَوم، وكيفَ قالوا، ثُم قالَ: يا نبيَّ الله، بَيْنا أنا مُقبلٌ قِبَلَك إذْ رأيتُ رَجُلاً كَذا وَكذا يُصْلِي ظهرَه ناراً، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «ذاكَ أبو سفيانَ»، قالَ: يا رسولَ الله، لَولا وَصِيَّتُك كنتُ قَد وَضَعْتُ فيه سهماً.

فأرسلَ عبدَ الله بنَ رواحةَ، وسعدَ بنَ مُعاذ، وخَوّاتَ بنَ جُبير إلى بَنِي قريظة، قالَ: «ائْتُوهم فَأَخْبِروهم أنّه قَد بَلَغنا عَنكم أنّكم قَد نَقَضْتُم الحِلْفَ، وَسَلُوهُم الموادعةَ، وَذَكِّرُوهم اللهَ والعهدَ، فَحَسْبُنا ما قَد أتانا». فانطلقُوا إليهِم مِن لَيلتهم، فَوَجَدُوهم جُلوساً فِي ضَفّةِ البابِ، فاسْتَفتحوا فَفُتِحَ لَهم، فَدَخلوا عَليهم، فَبَلَّغُوهم الذي أُرْسلوا به، فَرَدُّوا عَليهم: إنَّكم كَسَرْتُم جَناحنا، فإنْ شِئتم فَأَعِيدُوه إلينا، وإلا فَنحن بُرَآءُ مِنكم؛ فإنَّما أنتم كاذبون. يَعْنُونَ بِجَناحِهم المكسورِ إخوانَهم بَنِي النّضير.

قالَ لَهم سعدُ بن معاذٍ ـ وَهو حَليفُ القَومِ ـ: يا معشرَ بَنِي قريظةَ، إنّي أخْشَى عَليكم مِثْلَ ما لَقِيَت بَنو[1] النّضير وَأكْثَرَ. فَرَدُّوا عَليه أن أكَلْتَ أيْرَ أبيكَ[2]، قالَ لَهم سعدُ بنُ معاذ: إن مِن الغَدْرِ ما هُو خيرٌ مِن ذلكَ، قالَ: اللهمّ لا تُمِتْنِي حتى تَشْفِي صَدْري مِن بَنِي قُريظة، فَوَقَعت اليهودُ حينئذٍ في رسولِ الله ﷺ

---

(١) في (ط): «بني».

(٢) تحرف في (ط) إلى: «فآبد بابنك».

يَسُبُّونه وَيُعَيِّرُونَه بالكذبِ، فَقالوا: أرْسَلَ إلينا محمدٌ يَسْأَلُنا الموادعةَ والصلحَ حينَ الْتَقَتْ حَلَقُ البِطانِ، كَلا والذي يَحلفونَ به لَنَمُدَّنَّ عليه عَداوتَنا حَطًّا وَلَنأتزرنَّ بإخواننا.

فَخَـرج عبدُ الله وَصاحِبـاه وَقد سَمِعوا أذىً كثيـراً مِن اليهـود حتى انْتَهوا إلى نبيِّ الله ﷺ، فَتَلَقّاهم النبيُّ ﷺ، فقـالَ: «ما وَراءَكـم؟» قالوا: يا نبيَّ الله، أَتَيْناك مِن عند شِرار الناسِ، والله ما رَأينا وَلا سَمعنا منذُ فارَقناك إلا الذي نَكْرَه، فَأَخْبَروه الخبرَ كَنحو ما سَمعُوا. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «اكْتُموا خَبَرَكم، وَأَظْهِروا العارِفَ[1]؛ فإنّما الحربُ خَدْعة».

فلمّا انتهَى رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه كَبَّر فكبّروا، ثم كبّر فكبّروا، ثم كبّر فكبّروا، فَفَزِع المشركونَ، وقالوا: لَقَد أَتَى محمداً وأصحابَه أمرٌ يَسُرُّهم، قالَ أصحابُه: يا نبيّ الله، ما بَلَغَك؟ فَبَلَّغَ إلى أصحابه الثلاثةِ فقالَ: «حَدِّثوا إخوانكم». فقامَ عبد الله بنُ رَواحة فقالَ: هؤلاءِ حلفاؤُكم مِن اليهودِ قَد زَعموا أنهم قَد بَعثوا إلى المشركينَ لِيَبْعَثوا إليهم سَبعين رَجلاً مِن أشرافِهم وفُرسانهم، فإذا دَخلوا حِصْنهم ضَرَبوا أعناقَهم، ثم خَرجوا إلينا فَأعانونا على المشركينَ، فَنضربُهم إن شاءَ اللهُ حتى نُصْبِح.

وفي صَفّ نبيّ الله ﷺ عَينٌ للمشركينَ، رَجُلٌ مِن أشْجَع، يقالُ لَه: نُعيم بنُ مَسعود، فَسَمِع الذي سَمعَ وَهُم يَنْتَظرُونه، فَأَتاهم، فَقالوا: ما وراءَكَ يا نُعيم؟ وما هذا الصوتُ في عَسكر محمد؟ فقالَ: أَتَيْتُكم مِن ذاكَ باليقينِ، كِدْتُم أن تُهْلِكوا سبعينَ مِن أشرافِكم، فَفَزِعوا، وَقالوا: ما ذاكَ لا أبا لكَ؟ قالَ: أرْسَلَ محمدٌ ثلاثةَ رَهْطٍ إلى بَنِي قُريظة لِيَنْظُرَهم مَعه أو مَعَكم؟ فَأتَتْه رُسُله مِن عندهم فَأَخْبَروه ـ وأنا أسْمَع ـ أنّهم قَد صالَحُوكم علَى أن تَبْعثوا إليهم سبعينَ رَجُلاً

(١) أمرٌ عريفٌ وعارفٌ: معروف، فاعلٌ بمعنى مفعول. «لسان العرب»، مادة: عرف.

مِن فُرسانكم وَساداتِكم، فإذا دَخلوا حِصنهم ضَرَبوا أعناقَهم، ثم أتَوا محمداً فَأعانوه عليكُم.

قالَ أبو سفيان عندَ ذَلك: نَغْمةُ حَقٍّ واللاتِ والعُزّى، فقالَ عندَ ذلك: غَدَرَ اليهودُ لَعَنهم الله، وقالَ السّبعون: لا والله لا نَدْخُلُ حِصْنَهم أبداً. فأرسلَ أبو سفيانَ إلى أبِي لُبابةَ سَيّد بَنِي قُريظة أن يا أبا لُبابةَ، قَد طالَت إقامتُنا وحِصارنا هذا الرجلَ، وإنّي قَد رأيتُ أن تَعْمَدُوا إليه بالغَداةِ، وَأن انْتَهِدُوا مِمّا يَليكم، فَلا ألْقاكم تُخَلَّفُون بَعدي.

قال أبو لُبابة: إن غداً السبتُ، وإنّا لا نَستطيعُ القتالَ والعملَ يومَ السّبت، فَرَجَع رسولُ أبِي سفيانَ إليه أن أبا لُبابةَ وأصحابَه يَزْعُمون أنّهم لا يَستطيعونَ القِتال يومَ السّبت. فَغَضِبَ أبو سفيانَ، وَصَدَّقَ حديثَ نُعيم بنِ مسعود، فأعادَ الرّسولَ بأن اجْعَلُوا سبتاً مكانَ هذا السبتِ؛ فإنّه لا بُدَّ مِن قتالِه غداً، فَواللاتِ والعُزّى لَئِن نَهَدْنا وَلستم مَعنا لَنَبْرَأنَّ مِن حِلْفِكم، وَلَنَبْدَأنَّ بِكم قَبلَ مُحمد.

فَرَجَع رسولُ أبِي سفيانَ إلى أبِي لُبابةَ بِهذا الحديثِ، فَغَضِبَ أبو لُبابةَ فقالَ لِلرّسول: والله ما يَعْقِلُ الذي أرْسَلك! أيُرَى أبُو سفيانَ أنّا سَنَتَعدّى سَبْتَنا مِن أجله؟! لَقد غَضبَ اللهُ على قوم مِنّا اعْتَدَوْا في السبتِ فَجُعِلوا قردةً وخنازيرَ، وإنّا نخافُ إن أطعنا أبا سفيانَ غداً أن نكونَ كذلكَ. فَرَجَع رسولُ أبِي سفيانَ إليه، فقالَ: إن أبا لُبابةَ وأصحابَه يَزْعُمون أن ناساً مِنهم اعْتَدَوْا مِنهم فِي سَبْتهم، فَجُعِلوا قِردةً وخنازيرَ، فَلا نُطيع أبا سفيانَ، وَلا نَتَعَدّى في سَبْتنا، فإنْ شاءَ أبو سفيانَ أخّرَ ذلكَ إلى انقضاءِ السّبت.

فقامَ أبو سفيانَ، فَنادَى في جميعِ أصحابِه: يا معشرَ قُريش وَمَن حَضَر، ألا أُرانِي إنّما نَنْتَظِر نَصْرَ إخوةِ القردة والخنازيرِ، اللهمّ إنّي أبْرَأُ إليكَ مِن حِلف

بَنِي قُريظة، انْهَدُوا بالغداةِ إلى محمدٍ، فَلا تَبْرَحُوا الخندقَ حتى تكونَ الفُرْصةُ لَكُم أوَّلَه.

فبلغَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ مِن خَبَرِ أبي سفيانَ والذي قالَ، فَوَجَد المسلمونَ فِي أنفسهم، فَحَقَّ المنافقونَ، فَلَمّا رَأى اللهُ تَعالى ضَعْفَ المؤمنينَ وَجُهْدَهم الذي هُم فيه أنزلَ السكينةَ عَليهم، وأنزلَ عليهم جُنوداً مِن الملائكةِ، وأنزلَ علَى المشركينَ رِيحاً مِن السماءِ، فَلَم تَذَرْ لَهُم بيتاً إلا وَضَعَتْه الأرضَ، ولا ناراً إلا أطْفَأتْها، فَسَمِعوا تكبيرَ الملائكةِ في عَسكرهم، وَجالَت الدّوابُّ في العَكسر، وَقَذَفَ اللهُ في قُلوبهم الرُّعبَ.

فقامَ طُلَيْحةُ بنُ خُويلد أخُو بَنِي فَقْعَس، فَنادَى: إن مُحمداً قَد بَدَأكم بِشَرٍّ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ، فَنادَى سَيّدُ كلِّ قومٍ في قومِه بالرَّحيلِ: فارْحَلُوا، واسْتَخَفَّ لَهُم مِن مَتاعِهم، وَرَفَضُوا بَقِيَّتَه، وَهُم يسمعونَ التكبيرَ، والرِّيحُ عليهم لا يُبْصرونَ مَعَها شيئاً، فانطلقُوا هاربينَ، وَكَفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ، وكانَ اللهُ قوياً عزيزاً، فَلَم تَزَل الريحُ عَليهم، والملائكةُ يُكَبِّرونَ في أدبارهم حتى بَلَغُوا المنْعَرَجَ مِن الرّوحاء، وَرَجَعَ النبيُّ والمؤمنونَ إلى رِحالهم مِن بَعد ما أصابَهم الجَهْدُ الشديدُ.

* * *

غزوة بني قريظة

فَبَينما رسولُ الله ﷺ يَغْسِلُ رأسَه إذا جبريلُ عليه السلام قائماً عندَ المنبرِ، سالٌّ سَيْفَه، فأَبْصَرته عائشةُ زوجُ النبيّ ﷺ، فَقالت: يا رسولَ الله، هذا دِحيةُ الكَلْبِيّ سالٌّ سيفَه عندَ المنبرِ. فعَرَفَ رسولُ الله ﷺ] النعتَ، فوَثَب وَقَد غَسَل نِصف رَأسه، فقامَ إليه فقالَ: «ما وراءَكَ يا جبريلُ؟» قالَ جبريلُ عليه السّلام: عَفا اللهُ عَنْكَ يا محمد، إن اللهَ عَزَ وجلّ يأمرُك أن تسيرَ إلى بَنِي قُريظة مِن يومكَ هذا؛ فإنّ الله عزّ وجلّ داقُّهم دَقَّ البَيْضِ علَى الصَّفا[١].

فَنادَى رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فأَخَذوا السلاحَ علَى جَهد شَديد وَبلاء، فأَخذوا سلاحَهم، وَأمَّرَ [عَليهم][٢] رَجُلاً، فسارَ بالناسِ حتى قَدِمُوا حِصْنَ بَنِي قُريظة، وَقد أتاهم حُيَيٌّ، فَهو مَعَهم فِي حِصنهم للميثاقِ الذي كانَ واثَقَهم عليه، فاقْتَتلوا، فَقُتِلَ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ رَجلٌ مِن الأنصار. فَدَخلَ رسولُ الله ﷺ بَيْته، فغَسَلَ رأسَه، وَقَضى حاجتَه، ثُم خَرَجَ إليهم، واليهودُ يُعَيِّرُون المؤمنينَ الكذبَ بِالشِّعر[٣]، وَيَهْجُون النبيّ ﷺ وأزواجَ النبيّ ﷺ.

[٤٣/ب] فَلما انتَهى نبيُّ الله ﷺ إلى أصحابه قامَ إليه رجلٌ مِن المهاجرين، فقالَ: يا نبيَّ الله، اعْتَزِل، جَعَلنِي اللهُ فداكَ. قالَ: «لِمَ؟» لَعلك سَمعتَ فِيَّ أذىً مِن اليهودِ وأنتَ تَكْرَه أن أَسْمَعه، فقالَ: لَقد كانَ بعضُ ذلك، قالَ رسولُ الله ﷺ:

---

(١) في (ط): «الصف»، وهو تصحيف.

(٢) سقط من الأصل، وله وجه، إذا قرأنا: وأَمَرَ رجلاً...

(٣) يعني ينظمون القصائد في تعييرهم بالكذب، وفي (ط): «بالكذب وبالسحر».

«فإنّ أعداءَ الله لَو قَد رَأوني لَم يَقُولوا مِمّا سَمعتَ شيئاً». فَنادَى رسولُ الله ﷺ [رِجالاً مِن](١) أهلِ الحصنِ بأسمائهم، فقالَ: «يا أبا لُبابة، يا حُيي، يا شُعبة»، وَهم أشرافُ أهلِ الحصنِ، فَأشرَفوا عليه، فَقالوا: ما تَشاء يا أبا القاسم؟ قالَ: «اخْسَؤوا يا إخوةَ القردةِ، خَسَأكُم اللهُ»، قالوا: يا أبا القاسم، واللهِ ما كنتَ فَحّاشاً.

[وإنّما](٢) قالَ لَهم نبيُّ الله ﷺ الذي قالَ لِيَخْسَؤُوا عَنه، فَلا يُسْمِعُوه أذىً، فكانَ ذلكَ كذلكَ، فاقْتَتلوا بعدَ ذلكَ إحدَى وعشرينَ ليلةً، والمنافقونَ في ذلكَ يُراسلونهم أن لا يَنْزِلوا إليهم، وَلا / يَخْرُجوا مِن المدينة إن أرادَ أن يُخرجَكم، [٤٤ أ]
فوالَّذي يُحْلَفُ به لَئن أبَى إلا القتالَ لَنُعِينَنَّكم بالأنفسِ والسلاح، وَلَنَبْذُلَنَّ مُهَجَنا لَكم، وَلا نُطيع فِيكم أحداً أبداً، ولَئن أُخرِجتم لا نَلْبَثُ بَعدكم بالمدينةِ إلا يسيراً حتى نَلْحَقَكم.

فذلكَ قولُ الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢].

فلمّا يَئست اليهودُ مِن نَصْر المنافقينَ قَذَفَ اللهُ عز وجلّ في قلوبِهم الرُّعب، فَسَألوا رسولَ الله ﷺ أن يُسَيِّرُوا مَعَ إخوانِهم إلى أذْرِعات وأريحا، علَى مِثل الذي صالَحوا عليه يومَ خَرجوا، فَأبَى عَليهم ذلكَ رسولُ الله ﷺ، إلا أن يَنْزِلوا / علَى الحكْم، فإنْ شئتُ قَبلتُ، وإن شئتُ سَيَّرتُ، فَقالوا: أرْسِل إلينا فُلاناً [٤٤ ب]
رَجُلاً مِن الأوسِ، كانَ لَهم نصيحاً، فَأتاهم، فقالوا: يا أبا فلان، أَنَنْزِلُ عَليكم

(١) سقط من الأصل.
(٢) سقط من الأصل.

علَى حُكم محمدٍ؟ قالَ: «نَعم»، وأشارَ بيدِه إلى حَلْقِه، إنّما هُو الذبحُ، فأبَوا النزولَ. [قالَ أبو لبابة][١]: فأنزلَ الله عز وجل علَى نبيّه في شأن الرَّجل[٢]: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

فَأرسلت يهودُ إلى بنِي الأوس يَقولون لَهم أن تَأْخذُوا[٣] لإخوانِكم مِثْلَ ما أخَذَت الخزرجُ لإخوانِهم، فَمَشَت بَنُو الأوسِ إلى رسولِ الله ﷺ، فَقالوا: يا نبيَّ الله، ألا تَقْبَلُ مِن حُلفائنا مثْلَ الذي قَبِلت مِن حلفاء الخزرج؟ فقالَ: «يا معشرَ الأوسِ، ألا تَرضونَ لِحُلفائكم أن أجعلَ بَيني وَبينهم رَجلاً مِنكم؟» قالوا: بلَى، قالَ: «قُولوا لَهم: فَلْيَخْتاروا مَن شاؤوا مِن الأوس»، فاختاروا سعدَ ابنَ مُعاذ لقضاءِ الله الذي قَضاه، وكانَ أشدَّ الناس عَليهم غَضباً؛ لقولِهم الذي [٤٥ أ] قالوا ليلةَ أتاهم برسالةِ رسولِ الله ﷺ.

فقال رسولُ الله ﷺ لسعدِ بنِ مُعاذ: «إنّ القومَ قَد اخْتاروك حَكَماً، فاحْكُم بَيْنِي وَبَينهم». فَأخذَ سعدٌ المواثيقَ علَى الفَريقين كِلاهُما[٤]: لَتُسَلِّمُنَّ لِقَضائي، ولتَرْضَوُنَّ[٥] بما قَضَيت، فَأعْطَوه المواثيقَ، فأمرَ بَنِي قريظةَ أن يَنْزِلُوا وَيَضعُوا السّلاحَ، فَفعَلوا، فَحَكَم سعدٌ فِيهم أن يُقْتَلَ المقاتِلةُ، وَتُسْبَى الذُّرِيّة، فقالَ

---

(١) سقط من (ط)، وليس هو أبا لبابة سيد بني قريظة، وتكنية سيد بني قريظة بأبي لبابة لم أجده في غير هذا الكتاب، واسمه كعب بن أسد، وأما أبو لبابة المذكور هنا فهو ابن المنذر، وهو الذي طلبوا منه المشاورة، فأخطأ، ثم تاب إلى الله من خطئه، فكأنه يعني نفسه عندما ذكر سبب نزول هذه الآية، والله أعلم.

(٢) في (ط): «فآذنه بشأن الرجل».

(٣) في (ط): «ألا تأخذون».

(٤) كذا في الأصل.

(٥) في الأصل: «ولترضين».

رسولُ الله ﷺ: «والذي نَفسي بيدِه، لَقد رضيَ بِحُكمك هذا اللهُ عز وَجل، والملائكةُ، والمؤمنون، وَبه أُمِرْتُ».

فَأُوثِقُوا أرْسالاً، فَقُتِلوا، فلمّا جِيءَ بِحُيَيٍّ، قالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «أَلَم يُخْزِكَ الله؟» قالَ: لا، كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ، وَلِي أَجَلٌ لا أعْدُوه، وَلا ألومُ
نَفسي فِي جِهادكَ[1] وَعَداوتك، أشهدُ اليومَ عندَ فراقِ الدّنيا / أنكَ كاذبٌ، وأنّي [٤٥ ب]
لكَ عَدوٌّ. فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ، فَضُربَ رأسُه عندَ أحجارِ الزَّيت، وَهو مَوضعُ السُّوق بالمدينةِ، فأنزلَ اللهُ عز وجل علَى نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧]، والتِي لَم تَطَؤُوها: خَيبر، وَعَدَه إيّاها مرّتَين في القرآنِ.

فكانَ سبيُ بَنِي قُريظة يومئذٍ سَبْعَ مئةٍ وَخَمسين رأساً، فقالَ عُمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: ألا تُخَمِّسُ يا رسولَ الله كَما خَمَّسْتَ يومَ بَدر؟ قالَ: «لا، هذا شيءٌ جَعَله اللهُ لي دونَ المؤمنين». قالَ اللهُ عز وجل: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧]: قُريظة، والنَّضير، وَفَدَك،
وَخَيبر، / وهيَ [قُرىً][2] عربيةٌ، وُعِدَها قبلَ أن تُفْتَح. [٤٦ أ]

فَأخذَ رسولُ الله ﷺ مِن سَبْيِ بَنِي قُريظة تسعةَ عَشر عَيِّلاً[3] فَقَسَمَهُنَّ في أهله، وَقَسَم ما بقيَ نِصْفَين، فَبعثَ سعدَ بنَ عبادة في أحدِ النِّصفين إلى الشّام، وبعثَ أنسَ[4] بنَ قَيْظِي في النصفِ الباقي إلى أرضِ غَطَفان، وَأمَرَهما

---

(١) في (ط): «على تضادي».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) في (ط): «خيلا».

(٤) كذا في الأصل و(ط)، ولم أجد صحابياً بهذا الاسم، فلعله أوس بن قيظي.

أن يَبيعاهُم بالخيلِ، فَفَعَلوا، فَجَلَبا خَيلاً عظيمةً، فَجَعَلها رسولُ الله ﷺ في المؤمنينَ قُوةً في سبيلِ الله. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «رَدَدْتُ ما كانَ لِي مِن الخمُس أو خُمسِه علَى المؤمنينَ»، وكانَ الخمسُ مئةً وَخمسينَ.

فهذا [ما كانَ][1] مِن حديثِ الأحزاب وقُريظةَ.

* * *

(١) سقط من الأصل.

قصة غزاة بني لحيان

قالَ: فَمَكث رسولُ الله ﷺ بالمدينـةِ ما شاء الله، ثُم خَرَج رسولُ الله ﷺ / يريدُ بني لَحْيانَ، فَلقيَهم، فَهزَمهـم اللهُ عز وجـلّ، وَبَدَّدهم وَقَتلهم، وَبعث [٤٧ ب] رسولُ الله ﷺ فوارسَ، فأوْغلوا حتى بَلَغُوا التنعيمَ، وَكَبَتَ اللهُ بِهم أهلَ مَكة، وأقامَ رسولُ الله ﷺ لَيالِيَ، ثُم رَجَعَ، فقالَ كعبُ بنُ مالك الأنْصاري:

أَقَمْنـا علَى رأسِ النَّزِيـعِ[١] لَيالِيا بِأَرْعَنَ جَرّارٍ[٢] عَريضِ المَبارَكِ[٣]
فَلَم نَلْـقَ فِي تَطْوافنا والتماسِـنا فُراتَ بنَ حَيّـان يَكُنْ رَهْنَ هالكِ

وَفُراتُ بنُ حَيّان رَجلٌ مِن بَنِي عِجْلٍ[٤]، كانَت تَحتَـه امـرأةٌ مِن قُريش، وكانَ شديدَ العداوةِ لنبيّ الله ﷺ وأصحابِه، ثُم تابَ بعدَ ذلكَ وَأصلحَ.

وَرَجَع نبيُّ الله ﷺ إلى المدينةِ غانماً سالِماً، حتى إذا كانَ فِي بعضِ الطريقِ أرسلَ اللهُ عزّ وجلّ عليهِم ريحاً شديدةً خافُوا منها الهلاكَ، حتى دَفَنَت الرِّحالَ، وَضَلَّت ناقةُ نبيّ الله ﷺ / لَيْلَتَئِذٍ، فَلم تُوجد حتى أصبحُوا، فَلمّا انْكَشفت الرِّيح، [٤٨ أ] قالوا: يا نبيّ الله، ما بالُ هذه الرّيح؟ قال: «هيَ لِمَوت رَجُلٍ مِن المنافقينَ مِن

---

(١) في (ط): «البديع»، وهو تصحيف، والنَّزِيع: هي البئر قريبة القعْر. «لسان العرب»، مادة: نزع.
(٢) في (ط): «جزار»، وهو تصحيف، يقال: جيش أرعَنُ، أي عظيم جرّار، مضطرب لكثرته. «لسان العرب»، مادة: رعن.
(٣) مبارِك الإبل: الموضع التي تَبرك فيه.
(٤) في (ط): «عكل»، وهو تصحيف.

رُؤوس أهلِ النّفاق، ماتَ بالمدينةِ»، قالوا: وَمَن هو يا رسولَ الله؟ قالَ: «هو رِفاعةُ بنُ تابُوت[١] مِن بَنِي قَيْنُقاع»، فكانَ ذلكَ كَذلك.

وقالَ رَجلٌ مِن المنافقين وَهو في حَلْقةٍ مِن أصحابِه: كيفَ يَزعمُ محمدٌ ﷺ أنّه يعلمُ الغيبَ، وَيُخبرنا بِما في غَد، وَلا يَدْري أينَ ناقتُه؟! أفلا يُخبرُه بِها الذي يَأتيه بالغَيب! فقالَ لَه رجلٌ مِن أصحابه: اسْكُت؛ فَوالله لَو يَعلمُ بِهذا محمدٌ لَزَعَم أنّه قَد نَزلَ عَليه فيه كتابٌ، فقامَ الرجلُ الذي قالَ مِن عند أصحابه،
[٤٨/ب] فَوجد نبيَّ الله ﷺ يُحدِّثُ القومَ بِما قالَ لأصحابِه، / وإذا رسولُ الله ﷺ يقولُ لأصحابه: «إنّ رَجلاً مِن المنافقين يَشْمَتُ بِي أن ضَلَّت ناقَتِي، ويقولُ: أيَزْعُم محمدٌ ﷺ أنّه يعلمُ الغيبَ؟! أفَلا يُخبرُه بِمكانِ ناقتِه الذي يَأتيه بالغَيب! وَلَعَمْري لَقد كَذَب، ما أزْعُم أنّي أعلمُ الغيبَ وَما أعْلَمُه، وَلَقد أخْبَرني اللهُ عز وجلَّ بِمكان ناقتي، وهيَ فِي هذا الشِّعبِ، قَد تَعلَّقَ زِمامُها بشجرةٍ».

فَخَرَجُوا يَسْعَونَ قِبَلَ الشِّعْبِ، فإذا هُم بالناقةِ قَد تَعلَّق زمامُها بشجرةٍ كَما قالَ رسولُ الله ﷺ، فَأقبلوا بِها والمنافقُ يَنظرُ، فَآمَنَ مَكانَه، فَصَدَّقَ، وَرَجَع إلى أصحابِه فَوَجَدَهم جُلوساً حيثُ تَرَكَهم، فقالَ: أُذَكِّرُكُم اللهَ، هَل قامَ رَجلٌ[٢] مِنكم مِن مَجلسه، أو ذَكَرَ حَديثي إلى أحَدٍ بَعْدي؟ قالُوا: اللهمّ لا، قالَ: فَهو يَشْهَدُ أن محمداً رسولُ الله، واللهِ لَكَأنّي لَم أُسْلِمْ قَطّ إلا فِي يَومي هذا، قالوا:
[٤٩/أ] وما ذلكَ؟ قالَ: وَجَدْتُ نبيَّ الله ﷺ يُحَدِّثُ الناسَ حَديثي الذي ذَكَرْتُ عِندكم، فَأنا أشهدُ أن الله هُو أطْلَعَه عليه، وأنّه صادقٌ.

* * *

(١) في (ط): «باتور»، وهو تحريف.
(٢) في (ط): «أحد».

قصة زيد بن أرقم وعبد الله بن أبي[١]

قالَ: ثُم ارتحلَ رسولُ الله ﷺ مِن ذلكَ المنْزلِ، حتى إذا دَنا مِن المدينة تَحاورَ رَجلانِ، أحَدُهما مِن بَنِي عامرٍ، والآخرُ مِن جُهَيْنةَ، فَنظَرَ[٢] عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ المنافقُ حليفَه الذي مِن جُهينة، وَنظَرَ[٣] رَجُلٌ مِن المهاجرينَ ـ يُقال لَه: جِعال، كانَ مِن فقراء المؤمنين ـ العامِرِيَّ، فَعَجِبَ عبدُ الله مِن ذلك، فقالَ: يا جِعال، وإنّك لَهُناكَ؟ قالَ: وَما يَمْنَعُني ذلكَ، واشْتَدَّ لِسانُ جِعالٍ على عَبد الله، فقالَ لَه عبدُ الله: إن مَثَلي وَمَثَلك كَما قالَ الأوّلُ: / سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، أما [٥٠ ب]
والذي يَحْلفُ به عبدُ الله، لأذَرَنَّكَ يَهُمُّك غيرُ هذا. قالَ لَه جِعالٌ، وَعَلِمَ جِعالٌ الذي عَرَّضَ به عبدُ الله من ذلكَ، فقالَ: إنّما الرزقُ بيدِ الله عزّ وجل.

فَرجعَ عبدُ الله إلى أصحابِه وَهو غضبان، فقالَ: أما والله لَو كُنتم تَمنعونَ طَعامَكم مِن هؤلاء الذينَ إذا أَطْعَمْتُوهم طعاماً رَكِبوا رِقابَكم، لَقد أوْشَكُوا أن يَذَرُوا محمداً ﷺ، وَيَلْحَقُوا بِعَشائرهم وَمواليهم، فَلا تُنفقوا عليهم حتى يَنْفَضُّوا مِن حَول محمد ﷺ. وَتَغَيَّظَ عبدُ الله على أصحابِه، وَقال[٤]: إن جِعالاً أتَى محمداً ﷺ الآنَ، فَشَكاني إليه شَكْوَه، وَزَعَم أنّي أنا الظالمُ، وَلَعَمْري إنّي أنا الظالمُ؛ إذْ جِئنا بمحمدٍ ﷺ مِن مكةَ وَقَد طَرَده قومُه، فآسَيْناه بأنفسنا،

---

(١) سقط هذا العنوان من (ط).

(٢) في (ط): «فبصير»، وهو تصحيف، ومعنى نظره: تأنّى عليه وانتظره. «لسان العرب»، مادة: نظر.

(٣) في (ط): «وبصر»، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «وقالوا»، والصواب ما أثبت.

وَجَعلناهُ على رقابنا، أما والله لَئن رَجَعنا إلى المدينةِ لَنُخْرِجَنّ محمداً منها، وَلَنَجْعَلَنّ علَى أنفسنا رَجُلاً منا. وإنَّما يَعني عدوُّ الله نَفْسَه، وَيَزْعُم أنَّما هُو الأعزُّ نفساً وقوماً / مِن محمدٍ ﷺ ومَن مَعه. [٥١ أ]

فَسَمعه زيدُ بنُ أرقمَ الأنصاري وهو يومئذٍ غلامٌ شابٌّ، فقالَ: أنتَ والله الذليلُ القَليلُ المُبْغَضُ في قومكَ، ومحمدٌ ﷺ وعلَى آلِه فِي عِزَّةٍ مِن الرّحمن وَمَودَّةٍ مِن المؤمنين، وقالَ لَه: والله لا أُحبُّك أبداً. قالَ لَه عبدُ الله: يا ابنَ أخِي، إنَّما كنتُ ألْعبُ، فقامَ زيدٌ مِن مَجلسِه، فَأتى رسولَ الله ﷺ فَأخبرَه خبرَ عبدِ الله، فَوَجدَ نبيُّ الله ﷺ في نفسِه مِن ذلك وَجْداً شَديداً، وَفَشا ذلكَ الخبَرُ: أن رسولَ الله ﷺ قَد غَضبَ علَى عبدِ الله مِن خَبَرٍ أخبرَه إيّاه زيدٌ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عبدِ الله، فَأقبلَ عبدُ الله وَمعه جُلُّ الأنصارِ، يَرْفِدُونه ويُعينونه، وَيُكَذِّبُون زيداً وَيَظْلِمونه(١).

فلمّا انتهَى عبدُ الله إلى رسولِ الله ﷺ قالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «أنتَ صاحبُ الحديثِ / الذي بَلَغَني؟» قالَ: لا والذي أنزلَ عليكَ الكتابَ ما قلتُ مِن ذلك شيئاً قَطُّ، وإنّ زيداً لكاذبٌ، وَما عَمِلتُ عَمَلاً قطُّ أقْرَبَ فِي نَفسي أن يُدْخِلَنِي به عز وجلّ الجنةَ مِن غَزاتي هذه مَعك. وَصَدَّقته الأنصارُ، فَقالوا: يا رسولَ الله، شيخُنا وسيّدُنا، لا تُصَدِّقْ عَليه غلاماً مِن غِلمان الأنصارِ مَشَى إليكَ بِكذبٍ وَنَمِيمة. [٤٩ ب]

فانصرفَ عَنه رسولُ الله ﷺ، وَعَذَرَه، وَفَشَت الملامةُ لزيدٍ في الأنصار، وَقالوا: كَذَبَ زَيدٌ رسولَ الله ﷺ، فَكَذَبَه رسولُ الله ﷺ، ثُم ارتحلَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، وكانَ زيدٌ يُسايرُ رسولَ الله ﷺ إذا ارتحلَ، يُحَدِّثُه فِي مَسيرِه، فاسْتَحْيَا زيدٌ بعدَ ذلكَ أن يَدْنوَ مِن رسولِ الله ﷺ فِي مَسيرٍ أو غيرِه،

(١) في (ط): «ويلطمونه».

/ فأنزلَ اللهُ عز وجل علَى نَبيّه ﷺ عُذْرَ زَيد وتكذيبَ عبدِ الله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ [٥٠/أ]
إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. فانطلقَ رسولُ الله ﷺ يَتخَلَّلُ الناسَ علَى ناقتِه حتى أدركَ زيداً وَهو يَسيرُ، فأَخَذَ بأُذُنِه فَعَرَكَها حتى احْمَرَّ وَجْهه، ثُم قالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «أَبْشِرْ يا زَيد؛ إن الله قَد عَذَرَكَ وَصَدَّقَكَ»، فَأَقْرَأه هذهِ الآيةَ[1]. وَقَدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فأقامَ بِها ما شاءَ الله أن يُقيمَ.

فهذا ما كانَ مِن غزاةِ بَني لَحْيان.

* * *

(١) في الأصل: «السورة».

[٥١/ب] ## قصة(١) بئر معونة/

ثُم قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فَبعثَ سَرِيّةً مِن أصحابِه نَحوَ بئرِ مَعونةَ، وأرسلَ مَعهم رَجلاً مِن بَنِي سُليم، يُقال لَه: عروةُ بنُ أسماءَ بنِ الصَّلْتِ، فَسارَ القومُ حتى إذا كانوا مِن الماء علَى مَسيرةِ ضَحْوةٍ، نَزَلَ القومُ فَعَرَّسُوا، وَأَضَلَّ أربعةٌ مِنهم بعيراً لَهم، فَطَلَبوه.

وارتحلَ أصحابُه فَصَبَّحُوا الماءَ، فإذا عَليه حيٌّ مِن بَنِي عامرٍ كثيرٌ(٢)، فَأحاطوا بِهم فَقاتلوهم قِتالاً شَديداً، وَقالوا لعروةَ: إنَّك آمنٌ، فاخرجْ إن شئتَ إلينا أو إلى غَيْرِنا، قالَ: إنّي عاهدتُ رسولَ الله ﷺ أنّي لا أضَعُ يَدي في يَد مشركٍ أبداً، وَلا أَخْذُلُ لَه وَليّاً، وَأُحِيطَ بالقوم، فَلَمّا عَرَفوا أنّهم مَقْتُولون، قالوا: [اللهمّ إنّا لا نَجِدُ مَن يُخْبِرُ عَنا رسولَك غيرَك](٣)، فاقرأ عَليه منّا السلامَ؛ فإنّا قَد رَضِينا.

[٥٢] فأخبرَ اللهُ عَزّ وجلّ بذلكَ نَبيَّه ﷺ، فَنَعاهم النبيُّ ﷺ، وقالَ: «إنَّ / أصحابي يُقْتَلُونَ علَى بئرِ مَعونة، فاسْتَغْفِرُوا لَهم؛ فإنّهم قَد أَرْسَلوا يُقْرِئُونَ السّلامَ».

وَوَجدَ النفرُ الأربعةُ بعيرَهم بعدَما أَصْبَحوا، فَأقبلوا في أثَرِ أصحابِهم، حتى إذا دَنَوْا مِن الماءِ لَقِيَتْهُم وَلِيدةٌ لبَنِي عامرٍ، فَقالت: أَمِن أصحابِ مُحمدٍ ﷺ أنتم؟ فَلم يُجيبوها، فَسَألتهم الثانيةَ: أَمِن أصحابِ محمدٍ ﷺ أنتم؟ فَلَم يُجيبوها، فَسَألتهم الثالثةَ: أَمِن أصحابِ محمدٍ أنتم؟ قالوا رَجاءَ أن تُسْلِمَ:

---

(١) في (ط): «غزاة».　　(٢) في الأصل: «كثيراً»، وله وجه.

(٣) سقط من الأصل.

نَعَم، قالَت: فإنّ إخوانكم قَد قَتَلَتْهُم بَنُو عامرٍ على الماءِ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ. فقالَ رَجلٌ مِن الأربعةِ: أَنْظِرُونِي حتى آتِيَكُم بالخبرِ، فأشرفَ فإذا أصحابُه مَقتولونَ علَى الماءِ، فرَجَعَ إلى أصحابِه، فَأخبرهم الخبرَ، واسْتَشارَهم، فقالَ: كيفَ تَأْمُرُون؟ قالوا: نَرْجعُ إلى نبيِّ الله ﷺ فنُخْبِرُه الخبَرَ، قالَ: [٤٦ ب] لكنّي لا أرْجعُ واللهِ اليومَ حتى أتَغَدَّى مِن غَـداءِ أصحابِي، فاقْـرَؤوا علَى نبيِّ الله منّي السلامَ.

فانطلقَ حتى أتى الماءَ، فَشَدَّ عَليهم، فقَتل مِنهم ثُم قُتِلَ، وأسرعَ الثلاثةُ أصحابُ البَعير، حتى إذا دَفَعوا إلى المدينةِ عندَ جُنوحِ الليلِ، فإذا هُم برَجُلَين مِن بَنِي سُلَيم، بَينهما وبينَ نبيِّ اللهِ ﷺ حِلْفٌ، فقالَ الثلاثةُ للاثْنَينِ: مَن أنتما؟ قالا: نحنُ رَجُلانِ مِن بَنِي عامر، وَلا يَشْعُرانِ بالذي صَنَعَت بَنو عامرٍ. فقالَ الثلاثةُ: هَذانِ مِمّن قَتلَ إخوانكم، فاثأروا بإخوانِكم، فَقَتَلوهما وَسَلَبوهُما، وَدَخَلوا علَى نبيِّ الله ﷺ، فَأخبروه بالذي لقيَ إخوانُهم، فَوَجَدوا الخبَرَ قَد سَبقَ إلى نبيِّ الله ﷺ.

ثُم قالوا: غَشِينا المدينةَ بعدَما أمسينا، فَلَقِينا رَجُلَين مِن بَنِي عامرٍ، فَقَتَلْناهُما، وهذا سَلَبُهما، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «بَل هُما رَجُلانِ مِن بَنِي سُلَيم مِن حُلفائي، وبئسَ / ما صَنَعْتُم»، وَكَرِهَ ذلكَ نبيُّ الله عليه السلامُ، فأنزلَ اللهُ عزّ وجلّ على [٤٧ أ] نبيِّه في ذلكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، يقولُ: لا تَعْجَلُوا بقتلٍ دُونه، ولا بأمرٍ حتى تُشاوِروه، فَوَعَظهم في ذلكَ.

وأقبلَ قومُ الرَّجلَين إلى نبيِّ الله ﷺ، فَقالوا: إن صاحبَينا أتَياكَ فَقُتلا عندكَ، قالَ: «إنَّ صاحبَيكم اعْتَزَيا إلى عَدوّنا، ولكنّا سَنَعْقِلُ صاحبَيْكُم». فَفعلَ ذلكَ، فكانَ ذلكَ مِن أمْرِهم.

قصة(١) بني المصطلق

ثُم أمرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ فتَجهَّزوا، فأخبرهم أنّه يُريد المُصْطَلِقَ حَيّاً مِن خُزاعة، وقالَ: «إنَّ أهلَ تِهامةَ لا يُرَوْنَ أنّي آتِيهم مِن عامي هذا، ولكنّي مُسَمِّعٌ بالشام لتَخرُجَ العيونُ إلى أهلِ تِهامةَ بذلكَ»، فَفَرَغ الناسُ مِن جَهازِهم، [٥٢/ب] ثُم خَرَجَ رسولُ الله ﷺ، فَأخَذَ علَى بُيوت بَني سَلِمة / مِن الأنصار، كأنّه يَتوجهُ إلى الشام، فسارَ يومَه ذلكَ، حتى إذا أمْسَى نَزَلَ، ثم انْصرفَ قِبَلَ تِهامةَ حتى عارَضَ الطريقَ مِن عندِ صُخَيْرات، فأسرعَ السيرَ، فأغارَ علَى بَني المصْطَلِقِ، فقَتَلَ وَسَبَى سَبْياً كثيراً، وأصابَ يومئذٍ جُوَيْرِيةَ بنتَ الحارثِ بنِ أبي ضِرارٍ.

ثُم رَجَع إلى المدينةِ سريعاً مَخافةَ أن يُغارَ على المدينةِ، فأسرعَ السيرَ يَومه وَلَيلته حتى أسْحَرَ، والحارثُ بنُ أبي ضِرار في الأثَرِ قَد أقسمَ لا يَرْجِعُ حتى يَقتلَ بعضَ أصحاب النبيّ ﷺ، فنَزَلَ نبيُّ الله ﷺ، وَأمَرَ الناسَ أن يَضَعوا رُؤُوسَهم، وقالَ: «لا تَحُلُّوا عُقْدةً»، فَفَعَلوا، وَجَعلَ حَرَساً مِن وَراء الناسِ، وَأمَّرَ عَليهم حارثةَ بنَ النُّعمانِ، فَأمرَ حارثةُ أصحابَه أن يَناموا، وقالَ حارثةُ: إنّي سَأكْفِيكُم الحَرْسَ، فإنْ رأيتُ شيئاً آذَنْتُكم، فَبينَما هُو يَقْتَرِئُ وأصحابُه نِيامٌ إذْ [٥٣/أ] دَنا منهُ الحارثُ بنُ أبي ضِرار، فَرَماه / بسهمٍ، فَوَقَع قريباً، واستيقظَ الحَرَسُ، فَطَلَبَوا الحارثَ فلم يُدْركوه، قالوا: يا حارثَةَ، غَفَلْتَ [عَن](٢) الرَّجل حتى رَمَى؟ قالَ: لا، ولكنّي أرَدْتُ أن يُشْعِرَني سَهماً، ثُم أُوذِنَكُم(٣).

---

(١) في (ط): «غزوة».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) في الأصل: «أوذيكم».

وَذَكَر كعبُ بنُ مالكٍ قُرْبَ الحارثِ، وَغِرّةَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فامتنعَ منه النومُ، وَأتى نبيَّ الله ﷺ، فَقام على رأسِه بالسيفِ حتى أصبحَ، فَلَمّا استيقظَ رسولُ الله ﷺ إذا هُو بكَعْبٍ قائماً علَى رَأسه بالسيفِ، قالَ: «ما لَكَ يا كعب؟» [قال][(١)]: ذَكَرْتُ الحارثَ بنَ أبي ضِرار وَقُرْبَه منكَ، وَغِرَّتَك يا نبيَّ الله، وغرّةَ أصحابِك، فامتنع منّي النومُ، فَقُمت أحْرُسُك، فقالَ لَه نبيُّ الله ﷺ مَعروفاً.

فَصَلَّوْا صلاةَ الغَداة، ثُم رَكِبُوا، فَأتَى المدينـةَ، فاسْتَنْكَحَ جُويريةَ بنتَ الحارثِ، وَجَعَلَ صَداقَها بعضَ ما سُبِيَ[(٢)] مِن قَومها بَعدما جاء الحارثُ بِفِدائها، وكانَ الحارثُ كارهاً أن يَتزوجَها [النبيُّ ﷺ، فإنَّما زَوَّجَها][(٣)] إيّاه / [٥٣/ب] ذُو قَرابةٍ منه، فَلامَه الحارثُ مَلامةً شديدةً.

فَلمّا كانَ عندَ خُروج نبيِّ الله ﷺ مِن المدينةِ يُريد بَني المصْطَلِقِ أنزلَ اللهُ تَعالى عَليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢].

فأمسكَ رسولُ الله ﷺ، وَكفَّ الناسُ، فَرَفَعَ صَوتَه بهاتَين الآيَتين، فَأعادَهما ما شاء الله، ثُم قالَ: «يا أيها الناسُ، أتَدْرُون أيَّ يوم ذلكَ؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، فَأعادها عَليهم مِراراً، فَرَدُّوا عليه أن قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قالَ: «فإنّه يومَ يَقولُ الله عز وجلَّ لآدَمَ: يا آدَمُ، ابْعَثْ بَعْثَ النارِ، فيقولُ: رَبِّ، مِن كُلّ كَم؟

(١) سقط من الأصل.
(٢) كذا في الأصل بالبناء للمجهول.
(٣) سقط من الأصل.

فيقولُ الله عز وجل: مِن كُلِّ ألفٍ تِسعُ مئةٍ وَتسعةً وتسعينَ إلى النارِ، وَرَجُلٌ
[٥٤/أ] إلى الجنةِ، / فَيَسْكَرُ الكبيرُ مِن الحزنِ، وَيَشيبُ الصغيرُ مِن الفَزَعِ، وهو يومُ
يَقول اللهُ عز وجل: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]».

فَبَكَى الناسُ بكاءً شديداً، حتى إذا نَزَلوا أولَ مَنْزِلٍ اجتمعَ الناسُ إلى رسولِ الله ﷺ، فَقالوا: يا نبيّ الله، ما سَمِعنا بشيءٍ قَطُّ أَفْظَعَ وَلا أَشَقَّ علينا مِن شيءٍ سَمعناه اليومَ. فَضحكَ رسولُ الله ﷺ، وَبَشَّرَهم، وقالَ: «أبشروا؛ فوالذي نفسُ مُحمدٍ بيدِه إنّي لأَرْجُو أن تكُونوا ثُلثَ أهلِ الجنّة»، ثُم قالَ: «بَل أرجو أن تكُونوا شَطْرَ أهلِ الجنةِ».

ثُم قال: «بَل أرجو أن تكونوا أكثرَ أهل الجنةِ؛ لَقَدَ عَرَضَ اللهُ عزّ وجل عليَّ الأُمَمَ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ يَجيءُ في الثلاثةِ وفي الأربعةِ، وفي الاثْنَين وَفي الواحدِ، ورأيتُ النبيَّ يَجيءُ وَحْدَه، حتى رأيتُ أُمّة فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهم،
[٥٤ ب] وَرَجوتُ أن تكونَ أُمتِي، فَقلتُ: أيْ رَبِّ، أُمتي هذهِ؟ / قال: لا، بَل هُو مُوسى وَمَن مَعَه، ثُم رأيتُ أُخرى أَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُها، فَقلتُ: أي رَبِّ، أُمتي هذه؟ قالَ: لا، بَل هذا يونسُ وأُمتُه، ثُم رأيتُ أمةً أُخرى، فقلتُ: أي رَبِّ، أُمتي هَذه؟ قالَ: بَل هذا عيسى بنُ مريم وأمتُه، فإذا مَعه بَشَرٌ كثيرٌ. فَقُلتُ: يا رَبِّ أينَ أُمتي؟ قالَ اللهُ عز وجل: انْظُر يا محمد، فَنظرتُ قِبَلَ مَكةَ، فإذا أنا بِبَشَرٍ كثير، ثم قالَ: انْظُر، فَنَظَرتُ قِبَلَ الشام فإذا أنا بِمِثْل ذلكَ، ثُم قالَ: انْظُر، فَنظرتُ قِبَل العراقِ، فإذا أنا بِمِثل ذلكَ، ثُم قالَ: انْظُر، فَنظرتُ تَحْتِي فإذا كلُّ شَيء يَنْتَغِشُ[١]، فقالَ: أَرَضيتَ يا محمد؟ قلتُ: نَعم يا رَبِّ قَد رَضِيتُ، قالَ الله: فإنَّ معَ هذا سبعينَ ألفا[٢] يدخلونَ الجنةَ بغير حسابٍ». فقامَ عُكّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ الأَسَديّ أحدُ بَنِي

---

(١) أي: يتحرك في مكانه ويموج، يقال: دار تنتغِش صبياناً. «لسان العرب»، مادة: نغش.
(٢) في (ط): «تسعين».

غَنْمِ بنِ دُودانَ، فقالَ: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يَجعلني مِنهم، فقالَ: «جَعَلَكَ اللهُ منهم»، ثُم قامَ رجلٌ مِن الأنصار، فقالَ: يا رسولَ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِداكَ، ادْعُ اللهَ أن يَجعلنِي مِنهم، فقالَ لَه: «سَبَقَكَ بِها عُكّاشةُ»./ [٥٥ أ]

فهذا [ما كانَ][1] مِن حَديثِ بَنِي المصطلِقِ.

* * *

---

(١) سقط من الأصل.

قصة[1] الحديبية

ثم أذَّن رسولُ الله ﷺ بالحجِّ، فقالَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].
فقامَ عبدُ الله بنُ جَحْشٍ أخو بَني غَنْمِ بنِ دُودان ـ وَهو ابنُ عَمّةِ نبيِّ الله ﷺ أُختِ أبيه ـ فقالَ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله، فَغَضِبَ رسولُ الله ﷺ مِن ذلكَ غَضباً شديداً، فقالَ: «والذي نَفسُ محمدٍ بيدِه، لَو قلتُ: نَعم، لَوَجَبَت، وَلو وَجَبَت ما استَطعتُم، فَذَرُوني ما تَرَكْتُم». فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢]. / [٥٥/ب]

فَأمرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بالجهازِ إلى الحجِّ، وَلا يَرَوْنَ أن يَحولَ أهلُ مكةَ بَينهم وَبينه، فَأهْدَوا الهدْيَ، وَعَقَصُوا الرؤوسَ، وَلَبَّوا بالحجِّ مِن ذِي الحلَيْفةِ، ثُم ساروا.

وَبَلَغَ أهلَ مكةَ أن محمداً ﷺ وأصحابَه قَد تَجَهَّزوا قِبَلَكُم حاجِّين، فَصَدُّوهم عَن الكعبةِ، فَبَعَثوا خالدَ بنَ الوليدِ بنِ المغيرةِ في ثلاثِ مئةِ فارسٍ لِيَصُدَّ[2] نبيَّ الله ﷺ عَن البَيت، فَبَلَغَ نبيَّ الله ﷺ مَسيرُ خالدٍ، وَكَره نبيُّ الله ﷺ القِتالَ وَهو محرِمٌ، فقالَ: «ألا رَجلٌ عالِمٌ بالطريقِ يَطْوِي بنا مَسْلَحةَ[3] القوم»،

(١) في (ط): «غزوة».
(٢) في (ط): «ليصدوا».
(٣) قوم في عُدّة بموضع رَصَدٍ قد وُكّلوا به بإزاء ثَغْر. «لسان العرب»، مادة: سلح.

فقالَ رجلٌ مِن الناس: أنا يا رسولَ الله / عالِمٌ بالطريقِ، فأَمَرَه أن يَمْضِيَ بينَ [٥٦/أ]
يَدَي الناسِ، فنَزَلَ عَن راحلتِه، فَلَم يَثِق رسولُ الله ﷺ بهدايتِه حينَ رَآه نَزَلَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا رَجلٌ هُو أعلمُ بالطريقِ مِن هذا»، فقامَ رجلٌ مِن جُهَينةَ، فقالَ: أنا يا رسولَ الله عالِمٌ بهذا الطريقِ، فأَمَرَه أن يَمضيَ، فَمَضى فأَخذَ طريقَ الساحلِ، فطَوَى مَسْلَحةَ القومِ، فنَزَلَ الحدَيْبيةَ.

فَبَلَغَ أهلَ مَكةَ نزولُ رسولِ الله ﷺ الحدَيبيةَ، فَشَقَّ عليهم، ثُم إن رسولَ الله ﷺ أمَرَ عمر بنَ الخطاب رضيَ الله عنه أن يأتيَ أهلَ مكةَ فَيَسْتَأْذِنَهم[1] أن يُخْلُوا له مكةَ ثلاثةَ أيامٍ لِيَقْضِيَ رسولُ الله ﷺ نُسُكه ثُم يرجِع. فقالَ له عُمر: يا رسولَ الله، أنا بها قليلُ العَشِيرة، فأَخافُ القومَ أن يَقْتُلوني، ولَكن / أرْسِل [٥٦/ب]
عثمانَ بنَ عفّان؛ فَهو بها كثيرُ العَشيرة، ولَن يَعْرِضَ له أحَدٌ.

فَأَرسلَ رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفّان ليستأذنَ له أهلَ مَكةَ، فانطلقَ عثمانُ ابنُ عفان، فَلَقِيَ خَيْلَ قُريشٍ بِبَلْدَحَ، وَلَقِيَ فِيهم أبانَ بنَ سَعيد بنِ العاص، فاسْتَجارَه عثمانُ فَأجارَه، وَحَمَله أبانُ بينَ يَدَيْه علَى الفَرَس حتى أتَى به مكةَ، فَنَزلَ علَى أبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ، فَبَلَّغَه رسالةَ نَبيِّ الله ﷺ.

فَخَرَج أبو سفيانَ إلى أهلِ مكةَ، فَقالوا: يا أبا سفيانَ، ما أتاكَ به ابنُ عَمِّك؟ قالَ: أتانِي بِشَرٍّ؛ سَألَني أن أُخْلِيَ مكةَ لِجَعاسِيسِ[2] أهلِ يَثْرِبَ لِيَخْرَؤُوا فيها ثلاثةَ أيّامٍ، فَماذا تَرَوْنَ[3]؟ قالوا: واللهِ لا يَدْخُلُها محمدٌ أبداً بعدَ إذْ أَخْرَجَه اللهُ منها.

---

(١) في الأصل: «فيستأذنوهم».

(٢) في (ط): «خلقاً من»، والجعاسيس جمع جُعسوس، وهو اللئيم الخلْقة والخُلق. «لسان العرب»، مادة: جعس.

(٣) في (ط): «تأمرون».

وَأمرَ اللهُ تعالى نبيَّه بالبيعةِ، فَجَلَس تحتَ الشجرةِ التِي بالحدَيْبية، ثُم نادَى مُنادِي رسولِ الله ﷺ فِي المسلمين: إن رسولَ الله ﷺ قَد أَمَرَ بالبَيعة، فاجْتَمِعُوا إليه، فَأتاه الناسُ، فَبايَعوه / عَلَى أن لا يَفِرُّوا وإنْ كانَ قتالٌ، حتى إذا ما فَرَغوا [٥٧/أ] وعثمانُ بنُ عفّان غائبٌ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنّما بَعَثْتُ عثمانَ فِي حاجَتِي، فَهذه يَدِي تُبايعُ لَه»، فَضَرَب بإحْدَى يَدَيه عَلَى الأُخرى. وَكَرِهَ ناسٌ مِن الناسِ أن يُبايعوا، مِنهم الجَدُّ بنُ قَيس الأنصاريّ مِن بَنِي عَمْرِو بنِ عوف، فاختبأ وراءَ بَعيره حتى فُرِغَ مِن البَيعة، وَأبَى عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ أن يُبايعَ، اعْتَلَّ بِالوَجَع.

وَسَمِعَ أهلُ مكةَ أن محمداً يُبايعُ أصحابَه عَلَى أن لا يَفِرُّوا، كَأنّهم يريدونَ القتالَ، فَبَعثوا رَجُلَيْنِ لِيَنْظُرا ما هَيْئةُ أصحابِ محمدٍ، وَلأيِّ شَيء جاؤُوا، فَبَعَثوا عروةَ بنَ مَسعود الثَّقفي وَمِكْرَزَ بنَ حَفص[1]، فَأقْبَلا حتى دَنَوا مِن أصحابِ نبيِّ الله ﷺ، فَأمرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن يَبْعَثُوا الهدْيَ فِي وُجوهِهم، وَيُلَبُّوا بالحجِّ، فَفَعَلوا، فَرَجَع الرَّجلانِ إلى مكةَ، [فَقالا: لَم نَر مِثْلَ هَؤلاء قَوْماً صَدَراً[2] عَن الكَعبة][3]، وإنَّما هُم قومٌ حُجّاجٌ لَم يَأْتُوا للقتالِ، قَد عَقَصُوا / الرؤوسَ وَلَبّوا [٥٧/ب] بالحجِّ، وَلا نَرَى أن تَصُدُّوهُم عَن الكعبةِ، فَقَبّحُوهما وَشَتَمُوهما واتَّهموهُما.

ثُم بَعَثُوهُما يَعْرِضان الصُّلحَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: الصلحُ أحبُّ إليّ مِمّا سِواه، فاذْكُرُوا الصلحَ مِن كُلّ واحدٍ مِن الفَريقَين، فانطلقَ ناسٌ مِن المهاجرينَ إلى عشائرِهم بمكةَ يَزُورُونَهم، فاحْتَبَسُوا القومَ عندَهم في الرِّحال، فَبلَغَ ذلكَ أصحابَ النبيِّ ﷺ، فَخَرجوا سِراعاً فَدَخلوا مكةَ، فَوَجدوا رِجالاً كثيراً مِن قُريش حولَ الكعبةِ، فَقَرَنُوهُم في الحبالِ حتى قَدِمُوا بِهم عسكرَ نبيِّ الله ﷺ.

(١) في (ط): «جعفر».
(٢) الصَّدَر: اسم لجمع صادر. «لسان العرب»، مادة: صدر.
(٣) سقط من الأصل.

فلمّا أمسَى أهلُ مكةَ أقبلَ مِنهم شَبَبَةٌ[١] سُفهاءُ، فرَمَوْا في عَسكرِ رسولِ الله ﷺ بأسْهُمٍ تحتَ الليلِ، فَفَزِعَ الناسُ، وَسارُوا إلى أهل مكةَ حينَ أصْبَحوا، فوَجَدُوهم مِن دُون الجبلِ، فارْتَمَوا بالنَّبْلِ والحجارةِ، فَهَزَمَ الله [٥٨ أ] المشركينَ، واتَّبَعَهم المؤمنون فرَمَوْهم حتى أدْخَلوهم البيوتَ، ثُم كفَّ الله أيديَ المؤمنينَ عنهم، وأنزلَ الله عزَّ وجلَّ على نَبيِّه ﷺ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

يقولُ الله عزّ وجلّ لمحمدٍ ﷺ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

فَلمّا رأى أهلُ مكةَ أن الله قد أخْزاهم، وَقَذَفَ في قلوبِهم الرُّعبَ، بَعَثُوا سُهَيْلَ بنَ عَمْرو القُرشِيَ أخا بَنِي عامرِ بنِ لُؤَيّ لِلصُّلح والموادَعة، فَلَمّا انتهَى إلى العَسْكرِ نادَى بالصلحِ[٢] والموادعةِ، وقالَ[٣]: أما والله لَقد كان الذي كانَ مِن الأمرِ[٤] / عَن غَيْرِ مُمالَئةٍ[٥] منّي وَلا رِضاً منّي، وَقد أتَيْتُكم للصُّلحِ. [٥٩ ب]

فَقَبلَ رسولُ الله ﷺ ذلكَ، وقالَ: «عَلَى ماذا يا سُهيل؟» قال سهيلٌ: تَرْجِعُ عَوْدَكَ على بَدْئِكَ، وَتَنْحَرُ الهدْيَ حيثُ تَحْبسُه، ليسَ لكَ أن تُجاوزَ بذلكَ الْمَنْحَرَ، ويكونُ الصلحُ بيننا وَبينك سَنَتَيْن، بَعْضُنا لبعضٍ آمنٌ، علَى أنَّك يا مُحمد

---

(١) في (ط): «ستة».

(٢) في الأصل: «الصلح».

(٣) في الأصل: «فقالوا».

(٤) في (ط): «الأعين».

(٥) في (ط): «موالاة»، يقال: مالأتُه على الأمر مُمالأةً: ساعَدْتُه عليه وشايَعْتُه. «لسان العرب»، مادة: ملأ.

لا تَقْبَلُ مَن صَبا[1] إليكَ مِنّا في تلكَ السَّنَتَيْن. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «فَما لي إن فَعَلْتُ ذلكَ؟» فقالَ لَه سُهيل: نُخْلِي لكَ مكةَ عاماً قابلاً ثلاثةَ أيام، فقالَ عمر ابنُ الخطاب: يا رسولَ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِداكَ، أَتَجْعَلُ لَهم أن لا تَقْبَلَ مُسلماً أتاكَ مِنهم؟ قالَ: «اسْكُت يا عمر».

واشترطَ عليه سهيلٌ أنّه مَن أتانا مِن أصحابك يُريدُنا فَهو لنا، وَمَن أتاكَ منّا
[٦٠/أ] رَدَدْتَه علينا، فَقالَ عمر: / يا رسولَ الله، لا تَفْعَل، فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ إلى عُمر، وقالَ: «يا عُمر، أمّا مَن أرادَ أن يلحَقَ بنا مِنهم فَسَيَجعلُ اللهُ لَه مَخْرَجاً، وَأمّا مَن أتاهم فَأبْعَده الله، وَهُم أوْلَى بِمَن كَفَرَ».

فَعَرَفَ عمرُ عندَ ذلكَ أن الذي رَأى رسولُ الله ﷺ أفْضَلُ، فقالَ سُهيلٌ: اكْتُب بَيننا وبينَك كتاباً، وادْفَع الكتابَ إليّ، فَدَعا رسولُ الله ﷺ كاتِبَه، فقالَ: «اكْتُب: بِسم الله الرّحمن الرحيم»، قالَ سُهيل وَأخَذَ بيد الكاتب، فقالَ: لا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ الرّحيم، وَلَكن اكْتُب فِي قَضِيَّتِنا ما نَعْرِفُ: بِاسْمِكَ اللّهم. فقالَ رسولُ الله ﷺ للكاتبِ: «اكْتُبْها كذلكَ». فَفَعَل.

ثُم أمْلَى عليه رسـولُ الله ﷺ: «هذا ما تَقاضَى عليه رسـولُ الله ﷺ وأهلُ
[٥٨/ب] مكة»، فَأمسكَ سهيلٌ بيدِ الكاتب فَقال: لا نُقِرُّ وَلا نَعْرِفُ أن تكونَ رسولَ الله / إذنْ ظَلَمْناكَ إن كنتَ رسولَ الله، وَمَنَعْناكَ أن تطوفَ بِبَيت الله، بَل اكْتُب أنتَ محمدُ بنُ عبد الله، فاكتبْ فِي قَضِيَّتنا باسْمكَ واسْم أبيك. فَضَحكَ رسولُ الله ﷺ، فقالَ: «أنا محمد بنُ عبد الله، [وأنا رسولُ الله][2]، فاكتُبْ: هذا ما تَقاضى عليه محمد بنُ عبد الله وأهلُ مكةَ حينَ حَبَسوه عَن البيتِ الحرام، فاصْطَلَحُوا وَتَوادَعوا سَنَتَيْن عَلَى أن يَنْحَرَ محمدٌ الهدْيَ حيثُ حَبَسَه أهلُ مكةَ، وَلا يَدْخلَ

---

(١) صبا إلى الشيء: مال إليه. «لسان العرب»، مادة: صبا.

(٢) ساقط من (ط).

مَكة وَلا يطوفَ بالبَيت، وَمن أتاه مِن أهل مكةَ مُسلماً رَدّه إليهم، وَمَن جاءَ أهلَ مكةَ مِن أصحابِهم فَهُو لَهم. وعلَى أهل مكةَ لِمحمد بنِ عبد الله أن يُخْلُوا لَه مكةَ عاماً قابلاً ثلاثةَ أيام، وعلَى محمد لأهلِ مكة أن لا يَدْخُل [أحدٌ][1] مِنهم بِسلاح، إلا سلاحٌ يُجعلُ فِي قِرابٍ». وَهو السيفُ والقوسُ، ثُم ختمَ الصحيفةَ سهيلٌ، فَبَعَثوا الهديَ لِيُنْحَرَ.

فأقبلَ أبو جَنْدل بنُ سُهيل بنِ عَمرو / يَحْجُلُ[2] في القُيود، وكانَ قَد أسلمَ، [٥٩ أ]
فَأشفقَ أبوه أن يَلحقَ بمحمد فَقَيَّده، وأقبلَ حتى أَلْقَى بنفسِه بينَ يَدَي رِحالِ المسلمين، فقالَ: أَنْشُدُكم اللهَ والإسلامَ أن تَرُدُّوني إلى الكفارِ، فَمَنَعه ناسٌ مِن أصحابِ رسول الله ﷺ.

فقالَ سُهيل: أُذَكِّرُكَ اللهَ يا محمد وَما فِي صَحِيفَتك هذه، مِمّا أعْطَيْتَنا مِن نَفسك طائعاً غَيرَ مُكْرَهٍ لَما دَفَعْتَ إليّ ابْني، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بابنِه أن يُدْفَع إليه، فَوَجَأ فِي عُنُقِه حتى أدْخلَه مكةَ.

وَنُحِرَ الهديُ دُون المنْحَر، وَأمرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن يَحْلِقوا، فَكَرِهَ أناسٌ مِن الناسِ أن يَحلقوا رُؤوسَهم، فَقالوا: أراكَ اللهُ يا رسولَ الله حينَ أَمرَكَ بالحج أنه مُدْخِلُكَ مكةَ أنتَ وأصحابُك آمِنين مُحلِّقين رؤوسَكم وَمُقَصرين، فَنَرْجِعُ وَلَم يَكُن ذلكَ! وَإنَّما كانت رُؤيا رسولِ الله ﷺ / العامَ المقبلَ، وفيه [٦٠ ب]
أنزلَ الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]. يَعني خَيبرَ، وَعَدَه الله إيّاها إذا رَجَع، وَأخبرَه أن تَمامَ رُؤياكَ يا محمد إذا أَخلَوْا لكَ مكةَ عاماً قابلاً.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) حَجَل يَحْجُلُ حَجْلاً؛ إذا مشى في القيد. «لسان العرب»، مادة: حجل.

فَحلَقَ رسولُ الله ﷺ رأسَه، ثم أخرَجَ رأسَه مِن القُبّة وهو مَحلوقٌ، فقالَ: «اللهمّ اغْفِر للمُحلِّقين»، قالَ الذينَ قَصّروا: وَللمُقَصّرين يا رسولَ الله؟ قالَ: فأعادَها رسولُ الله ﷺ ثلاثَ مرّات، كُلَّ ذلكَ يقولُ المقصّرون: وللمُقصّرين يا رسولَ الله، فقالَ فِي آخرِ الثلاثِ: «وللمُقَصِّرين».

ثُم ارتحلَ رسولُ الله ﷺ راجعاً إلى المدينةِ، وأنزلَ اللهُ عليه وهُو في الطريقِ: إنَّكَ سَتُفْتَحُ لَكَ خَيْبَرُ، فَلا تَجْعَل الغنيمةَ إلا لِمَن شَهِدَ الحدَيْبية،
[٦١/أ] وَأخبره أن أناساً / مِن الأعراب والمتخَلِّفين بالمدينةِ سَيُريدُونَك أن يَغْزُوا معكَ لِيُصيبُوا الغنيمةَ، فأمَره اللهُ تعالى أن لا يَدعَهم يَغْزُونَ مَعه، فقالَ اللهُ عزّ وجل: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

وَأخبره اللهُ أن ذلكَ سَيَشْتَدُّ عَليهم، وَسَيَقولونَ: لَيسَ بنا الغنيمةُ، وَهُم كاذبون، فقالَ اللهُ تَعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦].

فَهذا [ما كانَ مِن][1] حديثِ الْحُدَيْبيةِ.

* * *

(١) سقط من الأصل.

قصة خيبر

[٦٢ ـ] قالَ: حَدّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدالله الزَّبِيبي، قالَ: حَدّثنا محمدُ ابنُ عبدالأعلى الصّنعاني، قالَ: حَدثنا المعتمر بنُ سُليمانَ، عَن أبيه سليمانَ التَّيمي، قالَ: ثُم قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فأقامَ بِها خَمْسَ عَشْرةَ لَيلةً، فأمَرَ الناسَ بِالتَّجَهُّزِ إلى خَيْبَر، وَلا يَغْزُو مَعَه إلا مَن شَهدَ الحديبيةَ، إلا أن يَغْزُوَ غازياً مُتطوعاً ليس لَه مِن الغَنيمةِ شيءٌ. فَتجهّز الناسُ واثِقينَ باللهِ أن يَفْتَحَ لَهم خَيبر، وَعَرَفوا أن موعدَ الله عزّ وجل لا خُلْفَ لَه.

وَبَلَغَ أهلَ خَيبر أن رسولَ الله ﷺ والمؤمنونَ قَد تَجَهَّزُوا قِبلَهم، فَبَعثوا إلى حُلفائهم أسَد وَغَطَفان، فَأَتَوْهم، فِيهم عُيَيْنَةُ بنُ حِصن بنِ حُذيفةَ بنِ بَدر الفَزارِي، وَهُو علَى غَطَفان، وَطُلَيْحةُ بنُ خُوَيْلد الأسَديّ، وَهو علَى بَنِي أسَد، فَدَخَلوا آخِرَ حِصْنهم.

فَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ خَيْبَر، فَأرسلَ إلى أسَد وَغَطَفانَ أن خَلُّوا بَيْنِي وبينَ القومِ؛ فإنّ اللهَ عَز وجلّ قَد وَعَدنِي أن يَفْتَحَها لِي، فإنْ فَعَلْتُم وَأسْلَمْتُم فهيَ لَكم، فَأبَوا عَليه، وَجاهَروا النبيَّ عليه السلام القتالَ معَ أهلِ خَيبر، فَقاتلَ نبيُّ الله [٦٣] ﷺ شهراً معَ أهل خَيبر، ثُم قَذَفَ اللهُ عز وجلّ فِي قلوبِهم الرُّعبَ، فَتَسَلَّلُوا عَنهم، وَخَلا القتالُ علَى أهلِ خيبرَ شَهراً آخرَ، فكانَ حصارُ نبيِّ الله ﷺ أهلَ خيبرَ شَهرَين.

ونَفِدَ الذي كانَ معَ أصحابِ النبيِّ ﷺ مِن الزّاد، فَأصابوا أحْمِرةً[١] لأهلِ خيبرَ خارجةً مِن الحصن، فانْتَحَرُوها، وَلَم يَكُن لَهم طَعامٌ إلا التمرُ، فاسْتَفْتَوا نَبيَّ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، أصَبْنا أحْمِرةً لأهلِ خيبرَ، فانْتَحَرْناها، وليسَ لَنا طعامٌ إلا التمرُ، فما تَرى فِي أكلِها يا رسولَ الله؟ فَنهاهم عَنها، فكَفَؤُوا قُدورَهم، واليهودُ يُقاتلونهم كُلَّ يوم.

فَخرجَ رجلٌ مِن اليَهود، يقالُ له: مَرْحَبُ بنُ أبي مَرْحَب، وكانَ رَجلاً شُجاعاً رامياً شديدَ البَطْشِ، صاحبَ عادِيةِ[٢] اليهود، وعلَى عاديةِ الأنصارِ سعدُ بنُ عُبادة، وعلَى عاديةِ المهاجرينَ عمرُ بنُ الخطاب رَحِمه الله، فَخَرَجَ عليهِم مَرْحَبٌ بِعادِيَتِه وَهو يقول:

قَد عَلِمَت خَيبرُ أنّي مَرْحَبُ   شاكِ السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطْعُنُ أحياناً وَحِيناً أضْرِبُ

[٦١ أ] وكانَ المسلمونَ قَلَّ / ما يَقُومونَ لَه إذا خَرَجَ، فَدَنا المسلمونَ مِن باب الحصْنِ، وَخَرَجَ عَليهم مَرْحَبٌ فِي عادِيَتِه، فَكَشَفَهم[٣] حتى أَلْحَقَهم بِعُظْمِ[٤] الصَّف، وَنَهضَ نبيّ الله ﷺ [وأصحابُه][٥] فِي وُجوه اليَهود، وَقُتِلَ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وَجُرِحَ أخٌ[٦] لسعدِ بنِ عبادة، فَحُمِلَ جَريحاً، وَقُتِلَ محمودُ بنُ مَسلمةَ الأنصاري مِن بَنِي حارثةَ بنِ الحارث، وكانَ مِن فُرسان الأنصار.

فأقبلَ إلى رسولِ الله ﷺ محمد بنُ مَسْلمةَ[٧] لَهْفانَ حَزيناً وَهو يقولُ:

---

(١) جمع حمار.
(٢) الخيل المغيرة. «لسان العرب»، مادة: عدا.
(٣) كُشِف القومُ: انهزموا. «لسان العرب»، مادة: كشف.
(٤) عُظْم الشيء: وسطُه. «لسان العرب»، مادة: عظم.
(٥) سقط من الأصل.   (٦) في (ط): «ابن أخ».
(٧) في (ط): «فأقبل أخوه إلى رسول الله ﷺ وهو محمد بن مسلمة».

يا نبيَّ الله، قُتِلَ محمودُ بنُ مَسلمة، لَم أرَ كاليوم قَطّ، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «أما إن اليهودَ لَن يُصيبوا مِنا مِثْلَها حتى يفتحَ اللهُ عَلينا، ولعلّ الله أن يُمَكِّنَك غَداً مِن مَرْحَبٍ فَتَقْتُلَه بأخيكَ».

وكانَ مَرحبٌ هُو الذي قَتَلَ محمودَ بنَ مَسلمة، وَرَبيعَ[١] بنَ أكْتَم الأسدي أخا بَني غَنْم بنِ دُودان، فقالَ رسولُ الله ﷺ بَعدما صَلّى المغربَ مِن يومِ لَقِيَ أصحابُه ما لَقُوا مِن اليهودِ: «إنّي مُعْطِي رايَتِي رَجُلاً لا يَرْجِعُ حتى يَفتحَ اللهُ عزّ وجلّ خَيبر». فرجعَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ / إلى رِحالِهم مُسْتَبْشِرين بِبشارةِ [٦٢/أ] رسولِ الله ﷺ، فَباتوا طَيِّبةً أنْفُسهم، مُسْتَيْقِنينَ أن اللهَ عزّ وجلّ فاتِحٌ عَليهم غداً.

فَغَدا الناسُ إلى رسولِ الله ﷺ، فَصَلّوا صلاةَ الفَجر، ثُم جَلَسُوا علَى مَصافِّهم، وَأَخَذوا راياتِهم، وليسَ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ رَجُلٌ ذُو شَرَفٍ أو مَنْزِلةٍ مِن النبيِّ ﷺ إلا وَهو يَرْجُو أن يَكونَ هو صاحبَ الفَتح الذي ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ، فَلَمّا أخذَ القومُ راياتِهم أخَذَ رسولُ الله ﷺ، فَأخَذَ رايَتَه فهَزَّها، وَدَعا رَبّه جلَّ وعزَّ، ثُم أعْطاها عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ الله عنه، فَمَضَى وَمَضَى الناسُ، فَخَرَجَ مَرْحَبٌ بِعادِيَتِه، فَوَفَّقَ اللهُ عز وجلّ لَه محمدَ بنَ مَسلمة فَقَتله.

وانهزمَ أعداءُ الله وَقَد أُوسِعُوا قَتْلاً وَجَرْحاً، فَدَخَلوا حِصْنَهم، وَقَذَفَ اللهُ فِي قلوبِهم الرُّعْبَ، فَسَألوا الصلحَ، فَصالَحهم نبيُّ الله ﷺ علَى أن يُؤَمِّنَهم علَى دِمائِهم وَذَرارِيهم، وَله عَقارُهم / وَأموالُهم، علَى أنّهم إن كَتَمُوا شيئاً مِن أموالِهم [٦٣/ب] بَرِئَتْ منهم الذِّمّة، فَفَتَحوا الحصنَ، وَخَرَجوا بالأموالِ، وفي الحصنِ يومئذٍ ابْنا أبِي الْحُقَيْقِ مِن بني النَّضِير، فَخَرَجا إلى نبيِّ الله ﷺ بمالٍ حسنٍ، فَوَضَعاه بَين يَدَيه، فقالَ لَهم رسولُ الله ﷺ: «يا بَنِي أبي الحقَيْق، أينَ الآنيةُ والمالُ؟»

---

(١) كذا، وفي المصادر: «ربيعة».

فَحَلَفا لَه بالله لَقَد أنْفَقْناه واسْتَهْلَكناه، وكانا حينَ أجْلاهُما رسولُ الله ﷺ مِن المدينةِ قَد خَرَجا مَعهما بآنيةٍ مِن فضةٍ مَنقوشةٍ مُعْجِبةٍ[١]، يُسَمِّيها[٢] أهلُ المدينةِ بأسْمائِها، فَسألَهما رسولُ الله ﷺ عَن تلكَ الآنيةِ، وكانا قَد دفَناها، فَحَلَفا بالله ما عِندهما منها شيءٌ، فأخذَ عَليهما رسولُ الله ﷺ المواثيقَ أن ذمةَ الله وذمةَ رسولِه والمؤمنين بريئةٌ مِن ابنَي أبي الحقَيْقِ إن كانا كَتَماني شيئاً مِمّا قاضَيْتُهُما عَليه، وَحَلَّت دِماؤُهُما وأموالُهما وَذَراريهِما، قالا: نَعَم.

قالَ رسولُ الله ﷺ: / «اشْهَدُوا يا معشرَ المسلمينَ واليهودِ»، قالوا: [٦٤/أ] شَهِدْنا، وَنَزَلَ جبريلُ عليه السلامُ على رسولِ الله ﷺ، فَأخْبَره بِمَكانِ المالِ، وَأمَرَه بِقَتْلِهما وَسَبْيِ أهْلِيهِما، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى مكانِ المالِ، فَأُتِيَ به، وَأمَرَ بهما فَقُتِلا، وَسُبِيَ أهْلُوهُما، وَتَحْتَ أحَدِهِما يومئذٍ صَفيّةُ بنتُ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، فَسَباها رسولُ الله ﷺ يومئذٍ، وَأمَرَ بِها بِلالاً المؤَذِّنَ أن يَنْطَلِقَ بِها إلى رَحْلِ رَسولِ الله ﷺ.

فانطلقَ بِها بلالٌ، فَمَرَّ بِها علَى القَتْلَى، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا تَنْظُرونَ إلى بلالٍ وَما صَنَعَ!»، فَلَمّا رَجَع بلالٌ إلَى رسولِ الله ﷺ، قالَ: «يا بلالُ، أنُزِعَت منكَ الرَّحْمةُ؟ ما حَمَلَكَ علَى أن تَمُرَّ بجاريةٍ حَدَثةٍ[٣] علَى القَتْلَى؟» قالَ: أردتُ واللهِ أن أُرِيَها ما تَكْرَه. يَعْنِي صَفيّة، فاعْفُ عَنّي يا رسولَ الله عَفا اللهُ عَنْك، فانصرفَ عَنه نَبيُّ الله ﷺ، / وكانَ بالمؤمنينَ رَؤُوفاً رَحيماً. [٦٤/ب]

وَجَمَعَ رسولُ الله ﷺ تلكَ الأموالَ والأمتعةَ، فَقَسَمَها بين المؤمنينَ، ثُم قامَ رسولُ الله ﷺ إلى قُبَّتِه، فَخَلا بِصَفِيّةَ، فقالَ: «يا صَفيّة، إن أباكِ كانَ أشَدَّ

---

(١) شيء مُعْجِبٌ؛ إذا كان حَسَناً. «لسان العرب»، مادة: عجب.

(٢) في (ط): «تسميها».

(٣) كلُّ فَتِيٍّ من الناس والدوابِّ والإبل: حَدَثٌ، والأُنثى حَدَثةٌ. «لسان العرب»، مادة: حدث.

اليهودِ لي عَدواةً حتى أخْزاه اللهُ»، وَذَكر لَها ابْناً لأبِي الحقَيْقِ يُدْعَى كِنانة، كانَ يَهْجُو نبيَّ الله ﷺ، وكانَ مِن أشْعَرِ الناسِ، فَأرسلَ إليه رَهْطاً فَقتلوه، وَذَكرَ لَها زَوجَها، وَأخاها الذي قُتِلَ، وقالَ: «إنّي أُخَيِّرُكِ بينَ الإسلامِ واليَهوديّة، فإن اخْتَرْتِ الإسلامَ، فَعَسَى أن أُمْسِكَكِ لنَفْسِي، وإن اخْتَرْتِ اليهوديّةَ، فَعَسَى أن أُعْتِقَكِ وَأُلْحِقَكِ بأهْلِكِ».

فَعَزَمَ اللهُ لَها على الرُّشْدِ، فَقالَت: والله يا رسولَ الله، لَقَد هَوَيْتُ الإسلامَ وَأعْجَبَنِي وأنا بالمدينةِ، ثُم ما ازْدَدْتُ فيه إلا رَغْبةً، وَما لِي في اليهودِ مِن والدٍ وَلا أخٍ، وَلَقد قَتَلْتَ الوالدَ وَبَنِي العَمِّ والأخَ، فاللهُ ورسولُه والإسلامُ أحَبُّ إليّ مِن أن / تُعْتِقَنِي وَتَرُدَّنِي إلى اليهودِ، فَأمْسَكَها رسولُ الله ﷺ لِنَفسه. [٦٥]

فباتَ رسولُ الله ﷺ حتى أصبحَ، وأقبلَ أبو أيوبَ بنُ زيد الأنصاريّ، وَذَكَرَ شَأنَ صَفِيّةَ وَما قَتَلَ رسولُ الله ﷺ مِن أهلِ بَيتها، فَخافَها على رسولِ الله ﷺ أن تَقْتُلَه إذا نامَ، فباتَ حارِساً لرسولِ الله ﷺ على بابِ القُبّةِ حتى أذَّنَ المؤَذِّنُ لصَلاةِ الغَداةِ، فَخَرجَ رسولُ الله ﷺ، فإذا هُو بأبِي أيوبَ علَى البابِ، فقالَ: «ما لَكَ يا أبا أيوب؟» قالَ: يا رَسول الله، خِفْتُ عليكَ صَفيةَ أن تَقْتُلَكَ بأبيها، فَبِتُّ حارساً، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ مَعْرُوفاً.

فَصَلَّى رسولُ الله ﷺ للناسِ صلاةَ الغَداة، ثُم جَلَسَ فِي مُصَلاه يُحَدِّثُ القومَ، وَيُذَكِّرُهم نِعَمَ اللهِ عَزَّ وَجل عَليهم، وَيَأمُرُهم بالشكرِ والثناءِ علَى رَبِّهم، / فَبينَما هُو كذلكَ يُحَدِّثُهم إذْ أتَتْهُم امرأةٌ مِن اليهودِ بشاةٍ قَد شَوَتْها مع خُبزها [٦٥ ب] وَأصباغِها، فَوَضَعتْها بينَ يَدَي رسولِ الله ﷺ وأصحابه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما هذه الشاةُ؟» قالَت: أهْدَيْناها لَك بِما صَنَعْتَ إلينا [مِن الخيرِ][1]،

(١) سقط من الأصل.

قالَ رسولُ الله ﷺ لأصحابِه: «كُلُوا باسْمِ الله»، فَلَمّا بَسَطَ القومُ أيْدِيَهم، قالَ: «ألْقُوا ما فِي أيْدِيكم؛ فإنَّها مَسمومةٌ»، فَأرسلَ إلى اليَهوديّة، فقالَ: «وَيْلَكِ! ما حَمَلَكِ علَى أن أفْسَدْتِها بَعدما أصْلَحْتِها؟» قالت: أوَقَد عَلِمْتَ ذلكَ؟ قالَ: «نَعم»، قالت: أرَدْتُ أن أعلمَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ أنَبيٌّ أنتَ أم كَذّاب؛ فإنْ كنتَ نَبيّاً أطْلَعَكَ اللهُ علَى ذلكَ، وإن كُنت كاذباً أرَحْتُ الناسَ مِنك، فَقَد اسْتَبانَ لِي اليومَ أنَّك صادقٌ، وَأنا أُشْهِدُكَ وَمَن حَضَرَ أنّي علَى دِينِك، وَأنَّ اللهَ لا إلهَ غَيْرُه، وأن مُحمداً عبدُه ورسولُه، فانصرفَ عَنها نبيُّ الله ﷺ حينَ أسْلَمَت./ [٦٦ أ]

وأقبلَ يَهودٌ لأهلِ خيبرَ، فَقالوا: يا محمد، ما تَرى فِي تَسْيارِنا، أتُسَيِّرُنا إلى أذْرعات وَأرِيحا كَما صَنعتَ بإخواننا، أو تَسْتَعْمِرُنا هذهِ النخلَ، فَنُصْلِحُه، وَنَقومُ عليه علَى أمرٍ بَيْنَنا وَبَيْنكَ؟ فَصالَحَهم رسولُ الله ﷺ على النِّصفِ، وَأقَرَّهُم فِي دِيارِهم، ثُم نُودِيَ في الناسِ بالرَّحيل إلى المدينةِ.

فَأمَرَ رسولُ الله ﷺ صَفِيّةَ أن تَرْكَبَ خَلْفَه، [فَوَضَعَ لَها رِجْله لِتَضَعَ رِجْلَها على رِجْلِه إذا رَكِبَت، فَأجَلَّت رسولَ الله ﷺ مِن أن تَضعَ قَدَمَها على رِجْلِه][١]، فَوَضَعَت رُكْبَتَها على رُكْبَته، وَأخذَ رسولُ الله ﷺ يُصْلِحُ مِلْحَفَتَها عَليها، وأصحابُه يَنْظُرونَ إليه، يَقولُ بعضُهم لبعضٍ: انظُرُوا إلى نبيِّ الله ﷺ، فإنْ أمَرَها فَغطَّتْ وَجْهَها فَهيَ مِن أُمهاتِ المؤمنينَ، فَلا تُسايِرُوه ـ وكانَ نَبيُّ الله ﷺ شَديدَ الغَيْرة ـ وإنْ أمَرَها فَأخْرَجَت وَجْهَها فهيَ أمةٌ. فَسايَروا رسولَ الله ﷺ، وَكانوا يُحِبُّون مُسايَرَته وَحَديثَه، فَأمَرَها / رسولُ الله ﷺ بَعْدَما رَكِبَت، فَغطَّت وَجْهَها، ثُم سارَ وسارَ الناسُ. [٦٧/ب]

فأقبلَ رَجلٌ مِن بَنِي سُلَيْمٍ، [ثُم أحَدُ بَهْزٍ][٢]، يُقال لَه: الحجّاجُ بنُ عِلاطٍ،

---

(١) سقط من الأصل. (٢) سقط من (ط).

وكانَ قَد شَهِدَ معَ رسولِ الله ﷺ فَتْحَ خَيبرَ، فاسْتَأذنَه إلى مكةَ، فقالَ: يا رسولَ الله، إن لِي مالاً حَسَناً بمكةَ عندَ امْرأتِي، وإنَّها إن تعلمْ بإسلامِي تَذْهَبْ بمالِي. وَتَحْتَه يومئذٍ أُمُّ حجر[١] بنتُ شَيْبةَ حاجبِ الكَعبة، وكانَ رَجُلاً غَنِيّاً، وكانَ لَه المعدِنُ الذي بِنَجْرانَ بأرضِ بَنِي سُلَيم، فَأذنَ لَه رسولُ الله ﷺ، قالَ: يا رسولَ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِداكَ، ائْذَنْ لِي أن أنالَ مِنك، وَلِأنْعاكَ لأهلِ مكةَ؛ لَعَلِّي أغُرُّهم بذلكَ قبلَ أن يَعْلَمُوا بإسلامِي. فَأذِنَ لَه.

فانْطَلَقَ الحجّاجُ علَى نَجِيبةٍ[٢] لَه، فَأسرعَ السَّيْرَ، لا يَلْوِي علَى شَيء حتى قَدِمَ مكةَ، وكانَ أهلُ مكةَ قبلَ أن يَقْدَمَ عَليهِم الحجّاجُ / قَد تَبايَعوا بأموالٍ [٦٨/أ] عِظامٍ أجَلُها إلَى أن يقضيَ اللهُ عز وجل بيْنَ مُحمد ﷺ وأهلِ خيبرَ، وَقالوا: قَد اسْتَوْرَدَ[٣] محمدٌ وأصحابُه حراماً فظيعاً، أهلَ خيبرَ، والحلِيفَين: أسَد وَغَطَفان، ثُم القَمُوصَ[٤]: حِصْناً مَنيعاً، ليسَ كَنحوِ ما كانَ يَعْتَرِي[٥] محمدٌ مِن قبائلِ العَرَبِ. وَلَم يَكُونوا يَرَوْنَ أن يَنقضيَ شأنُ نبيِّ الله ﷺ وأهلُ خيبرَ حِيناً، فَلَمّا قَدِمَ عَليهِم الحجّاجُ خَرَجُوا يَشْتَدُّونَ إليه حتى امْتَلأتْ دارُه مِنهم، وقالُوا: أخْبِرْنا ما وَراءَكَ يا حَجّاج؟ قالَ: عِندي مِن الخبَرِ ما يَسُرُّكُم، شَهِدْتُ قِتالَ مُحمدٍ ﷺ وأهلِ خيبر، فاقْتَتَلُوا قِتالاً شَديداً، فَحالَ أصحابُ محمدٍ ﷺ عنه، فَأخَذَتْه اليَهودُ أخْذاً، فقالوا: لَن نَقْتُلَه حتى نُبلِّغَه أهلَ مكةَ فَيَنْظُرُوا إليه، ثُم نَقْتُله بسيِّدنا حُيَيِّ بنِ أخطبَ.

---

(١) اسمها صفية، ولم أجد من كَناها هكذا.

(٢) النَّجِيبِ من الإِبل: هو القويُّ منها، الخفيف السريع، وناقةٌ نَجِيبٌ ونجيبةٌ. «لسان العرب»، مادة: نجب.

(٣) ورَدَ فلان وُرُوداً: حَضَر، وأورده غيره واسْتَوْرَده، أي: أحْضَره. «لسان العرب»، مادة: ورد.

(٤) لا زالت بقية من هذا الحصن بالمدينة شاهداً على ذلك التاريخ.

(٥) في (ط): «يغوي»، ومعنى يعتري: يَغْشى، «لسان العرب»، مادة: عرا.

[٦٨/ب] فَفَرِحَ أهلُ مكةَ فَرَحاً شديداً لَم يَفْرَحْهُ الناسُ قطُّ، / فَخَرَجَت رجالُهم ونساؤُهم وَعَذاراهُم إلى المسجدِ يُقَلِّسُون[١] لآلِهَتِهم الخبيثةِ، شامِتينَ بالذي سَمِعُوه أن لَقِيَ محمدٌ ﷺ وَأصحابُه مِن اليَهود، لا يَشُكُّون أن ذلكَ حَقٌّ، وانْقَمَعَ كلُّ مُؤْمِنٍ وَمؤمنةٍ بِمكةَ، فَدَخَلُوا دُورَهم، كَأنَّما علَى رُؤُوسِهم الطيرُ، فَبَلَغَ ذلكَ الخبرُ عبّاسَ بنَ عَبد المطَّلبِ، فأرادَ القيامَ، فَلَم تَحْمِلْه رِجْلاه، وَأُلْقِيَ بالأرضِ، فَعَرَفَ العباسُ أنّه سَيُؤْتَى فِي دارِه مِن بَيْنِ شامِتٍ، وَمُسْلمٍ مَكْرُوبٍ يَرْجُو أن يكونَ عندَ العباسِ خَبَرٌ هُو خَيْرٌ مِن الذي بَلَغَهُم، فَأمرَ العباسُ بِبابِ دارِه فَفُتِحَ، ثُم أمَرَ بِابْنٍ له [صَغيرٍ][٢] يُقالُ لَه: قُثَم، فجعله على صدْرِه، ثم جعَل يَرتجِزُ ويقول:

يا ابنَ أبِي قُثَم شَيْبَةَ ذِي الكَرَم
ذِي الأنْفِ الأشَمّ نَبِيّ ذِي النِّعَم
بِرغْم مَن رَغِم

فَجَعلَ لا يَدخلُ دارَ العباسِ أَحَدٌ إلا سَمِعَ قولَ العباسِ لابنِه، فَخَرَجوا
[٦٩/أ] وَقالوا: لَو كانَ مِن هذا الخَبَرِ شَيءٌ لكانَ للعباسِ / حالٌ سوَى الحالِ الذي نَراه عَليه. فَلَمّا خَلَتْ دارُ العباسِ مِن الناسِ، وانْتَصفَ النهارُ دَعا العباسُ غُلاماً لَه يُقال له: أبو زَبيبةَ، فقالَ: يا أَبا زَبيبة، ائْتِ الحجّاجَ بنَ عِلاط، فَقُل لَه: إن العباسَ يَقرأُ عليكَ السلامَ، وَيقولُ: اللهُ أجَلُّ وَأكْرَمُ مِن أن يَكونَ هذا الذي حَدَّثْتَ عَن نَبيِّه ﷺ حَقّاً.

فانطلقَ أبو زَبيبةَ، فَأتَى الحجاجَ فِي دارِه وعندَه ناسٌ كثيرٌ مِن أهل مكةَ،

---

(١) التقْليس بالقاف: وضْعُ اليدَين على الصدر والانحناء خضوعاً واستكانةً، وقيل: التقليس هو رفع الصوت بالدعاء والقراءة والغناء. «لسان العرب» مادة: قلس.
(٢) سقط من الأصل.

فَبَلَّغَه رسالةَ العباسِ، فقالَ لَه الحجّاجُ وَخَلا بِه: يا أبا زَبِيبةَ، اقْرأْ على أبي الفَضل السلامَ، وَمُرْهُ فَلْيُخْلِي لِي في بَعض بيوتِه ظُهراً حتى آتِيَه حينَ لا يَرانِي أحَدٌ؛ فإنّ عِندي مِن الخبَرِ الذي يَسُرُّه. فانطلقَ أبو زَبِيبةَ فَرِحاً يَسْعَى حتى انْتَهى إلى بابِ العباسِ، فَعَجِلَ[1] قبلَ أن يَدْخُلَ الدارَ، فَنادَى وَهو على البابِ أن أبْشِرْ يا أبا الفَضلِ؛ فإنّ الحجاجَ يأتيكَ الآنَ وعندَه مِن الخبَرِ الذي يَسُرُّكَ.

فقامَ العباسُ / كَأنّه لَم يَرَ شَرّاً قَطّ وَلَم يَسْمَعه، فاعْتَنَقَ أبا زَبِيبةَ فَقَبَّلَ رأسَه، [٦٩ ب] ثُم أعْتَقَه قَبلَ أن يَقْعُدَ، وَخَلا فِي بعضِ بُيوته حتى أتاه الحجاجُ ظُهراً، فقالَ لَه العباسُ: ويلكَ يا حَجّاج! ما هذا الخبرُ الذي أخْبَرتَ؟ فقالَ لَه: عِنْدي مِن الخبَرِ الذي يَسُرُّكَ إن كَتَمْتَ عَليَّ، قالَ العباسُ رضيَ اللهُ عنه: فَلَكَ عَلَيَّ الكِتْمان، فَأخَذَ الحجاجُ المواثيقَ عَليه لَيَكْتُمَنَّ خَبَرَه الذي يُخْبِرُه به يَومَه ذلكَ وَليلَته حتى يُصبحَ، فَأعطاه العباسُ المواثيقَ.

فقالَ الحجاجُ: يا عباسُ، مِن أوَّلِ ما أُخْبِرُكَ به أنّي أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وَحده لا شريكَ له، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، ثم إنّي أُخْبِرُكَ أنّي شَهِدْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ فَتْحَ خَيبر، وَتَرَكْتُ رسولَ الله ﷺ عَرُوساً بِصفيةَ بنتِ حُيَيّ بن أخْطَبَ، وَقَتَلَ رسولُ الله ﷺ في هذا ابْنَيْ أبي الحقَيْقِ صَبْراً، وَقَسَمَ رسولُ الله [٧٠ أ] ﷺ أموالَ خيبر وأرضَهم بينَ المهاجرين والأنصار، وإنّي استأذنتُ رسولَ الله ﷺ في هذا الخبَرِ، فَأذِنَ لِي إرادةَ أن أُحْرِزَ مالِي الذي عندَ امرأتِي؛ مَخافةَ أن تَعلمَ بإسلامِي فَتَذْهَبَ بِمالي، وإنّي أُريد أن أُدْلِجَ الليلةَ إن شاءَ الله إذا أخَذْتُ مالي.

فَخَرَجَ الحجّاجُ، فَلَحِقَ بِداره، فَمَكَثَ العباسُ في دارِه حتى أمْسَى،

---

(١) في (ط): «فجعل».

وَقُريش حـولَ الكعبـةِ يُصَلُّونَ لآلِهَتِهم الخبيثـةِ، وَيَدْعُونَها شامِتِينَ بمحمدٍ ﷺ وأصحابِه، فجعلَ العباسُ يَجولُ في دارِه لا يَرْقُدُ مِمّا يَرَى فِي قُريش مِن الشَّماتة وَقُرَّةِ العَيْنِ فِي أَنْفُسهم حتى أصبحَ، وَطَلَعَت الشمسُ.

وانطلقَ الحَجاجُ حينَ أمسى إلى امرأتِه، فقالَ: لا تُطْلِعِي أحداً مِن الناسِ

[٧٢/ب] عَلَى ما أُحَدِّثُكِ، فَإنّي تَرَكْتُ بُيُوعاً هَنِيَّةً(١) / مِمّا غَنِمَ أهلُ خَيْبَر مِن محمدٍ ﷺ وأصحابِه، فَأنا أريدُ أن أُدْلِجَ الليلةَ مَخافةَ أن يَسْبِقَنِي التجارُ، فَأعْطَتْه المالَ، فَلما أعْتَمَ أدْلَجَ، فأصبحَ وَقَد خَلَّفَ مكةَ أرضاً نائيةً.

وأصبحَ العباسُ، فَلَبِسَ بُرْدَيْهِ(٢)، ثُم عَمَدَ إلى امرأةِ الحَجّاج، فَدَعاها فَخَرَجَت إليه، فَسَألَها عَن الحَجّاج، [فَحَدَّثَته](٣) وهيَ كَهَيئةِ الحزينة لِحُزْن العَبّاس، قالَت: أدْلَجَ الليلةَ لِيَشْتَرِيَ مِمّا غَنِمَ أهلُ خَيبر مِن محمد وأصحابِه. قالَ لَها العباسُ: أيَّتُها المرأةُ المغرورةُ الحمقاءُ، إن كانَ لَكِ في زَوْجِك حاجةٌ فَأدْرِكِيه؛ فإنّه والله لَقَد أسلمَ، وَهاجَرَ وَلَحِقَ بمحمدٍ ﷺ، وَلكنّه قالَ الذي قالَ لِيُحْرِزَ مالَه مَخافةً منكِ وَمِن أهلِكِ. قالَت: يا ابنَ عَمّ، والله ما أراكَ إلا صادقاً، فَمَن أخبركَ هذا؟ قالَ: الحَجاجُ أخْبَرَنيه، فانطلقتْ إلى أهلِها تَلْطِمُ وَجهَها، وَتَدعـو بالوَيل، تَعْثُر مرةً وتقـومُ أُخرى.

وانطلقَ العبـاسُ حتى دخـلَ المسجـدَ، والمشركـونَ حـولَ الكعبةِ، فلمّا

[٧٣/أ] أبصرُوا العباسَ تَغامَزُوا به، وَوَقَعوا حينئذٍ في رسولِ الله ﷺ / وأصحابِه، يُعَيِّرونَهُم السحرَ(٤) والكذبَ، فلمّا انتهى إليهِم العباسُ قالَ: هَل أتاكم الخبرُ؟

---

(١) في (ط): «ينوعاً هيناً».

(٢) في (ط): «بردته».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في (ط): «بالسحر».

قالوا: إن الخبرَ الذي أتاكَ(١) لا يَشُكُّ فيه أحدٌ مِن الناس، قالَ: لَعَمْرِي، واللهِ(٢) ما في الخبَرِ شَكٌّ، فاقْتَصِدُوا في القَول، فإنّي أَشْهَدُ أن قَد جَرَت سهامُ اللهِ ورسولِه والمؤمنين في أموالِ أهل خيبر وأرضِهم، وَضَرَبَ رسولُ اللهِ ﷺ أعناقَ ابْنَيْ أبي الحقَيْقِ صَبْراً، وتُرِكَ رسولُ اللهِ ﷺ عَرُوساً بِصَفِيّةَ بنتِ حُيَي ابنِ أخطبَ. قالُوا: فَنحنُ نَشهدُ أنَّك كاذبٌ، فَمَن الذي أتاكَ بالخَبرِ أحْدَثَ مِن خَبَرِ الحجّاج؟ قالَ: الحَجاجُ أخبرني الخبَرَ، وَقد أسلمَ وَهاجرَ وَلَحِقَ بمحمد ﷺ، وَقد أخبرَ امرأَته خَبَرَه.

فَخَرجَ رَهطٌ مِن المشركينَ إلى امرأةِ الحجّاج لِيَعْلَمُوا خبرَ العباسِ، فَوَجَدوا امرأةَ الحجاجِ حزينةً تَبْكِي، فَسألوها عَن زَوجها، فَأَخْبَرَتْهُم أنّه قَد أسلمَ وهاجرَ وَلَحِقَ بمحمدٍ ﷺ، فَرَجَعوا إلى أصحابِهم، فَأخبرُوهم بالذي أخبرتْهُم به امرأةُ الحجاجِ، وبالذي رَأوا فِي وَجْهِها مِن الحزنِ، فَرَدَّ اللهُ عز وجلَّ الكَرْبَ [٧٠ ب] والحزنَ الذي كانَ بالمؤمنينَ علَى المشركينَ وَأَخْزاهُم.

فهذا [ما كانَ](٣) مِن حديثِ خَيبر.

* * *

(١) في (ط): «نعم قد أتانا الخبر الذي أتاك لا يشك...».

(٢) في (ط): «لعمر الله».

(٣) سقط من الأصل.

قصة عمرة رسول الله ﷺ

فلمّا رَجعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ مِن خَيْبر بَعَثَ سَرايا، وأقامَ بالمدينةِ حتى استهلَّ ذُو القَعْدة، ثُم نادَى في الناسِ أن تَجَهَّزُوا إلى العمرةِ، فتجهَّزَ الناسُ معَ رسولِ الله ﷺ، فَخرَجوا إلى مكةَ، فَقَدِمَها رسولُ الله ﷺ، فَتَزَوَّجَ ميمونةَ بنتَ الحارثِ بنِ حَزْن العامري مِن بَني هلالِ بنِ عامر، فَلمّا قَضى رسولُ الله ﷺ نُسُكه وَفرَغَ، وأهلُ مكةَ خُلُوفٌ[1] قَد خَرَجوا مِن مكةَ كَهيْئةِ النَّدامَى، لِيُقالَ: إن محمداً وأصحابَه قَدِمُوا مكةَ ونَحنُ خُلُوفٌ.

فلمّا انصرفَ رسولُ الله ﷺ راجعاً إلى المدينةِ، فإذا هُو بابنةِ حمزةَ بنِ عبد المطَّلب فِي رِحالِهم، قالَ: «مَن أخْرَجَكِ مَعَنا؟» قالَت: رَجلٌ مِن أهْلِكَ، وَلَم يَكُن رسولُ الله ﷺ أمَرَ بإخراجها، قالَ: «أما إذْ خَرَجْتِ عَن غيرِ مُؤامرةٍ، فإنّي لا أبالِي، فَلَسْتِ مِمّن اشترطَ أهلُ مكةَ فِي قَضِيَّتِهم؛ لأنك مِن أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ». / [١٧١ أ]

فَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وَقَد أتَمَّ اللهُ عزَّ وجلَّ مَوعدَه، وَأدخلَه المسجدَ الحرامَ وأصحابَه آمنينَ كَما قالَ: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾، واقْتَصَّ اللهُ عز وجلّ له مِنهم ما كانوا صَدُّوه العامَ الماضِي، وفي ذلكَ يقولُ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤]، يقولُ: رَدُّوكَ عَن البَيْتِ وأصحابَك فِي ذِي القَعْدة في الشهرِ الحرامِ، فاقْتَصَصْتُ لكَ مِنهم فِي ذي القَعدة مِن الشهر الحرامِ.

فَلَمّا بلغَ أهلَ مكةَ أن نَبيَّ الله ﷺ قَد انصرفَ راجعاً إلى المدينةِ دَخَلوا مكةَ.

---

(١) الخُلُوفُ: الحُضَّرُ والغُيَّبُ، ضِدٌّ، ويقال: الحيُّ خُلوفٌ، أي: غُيَّبٌ. «لسان العرب»، مادة: خلف.

إسلام خالد بن الوليد(١)

فَأَلْقَى اللهُ عزّ وجلّ في نفْسِ خالدِ بنِ الوليد بنِ المغيرة الإسلامَ، وَتَفَكَّرَ فِي أمرِ محمد ﷺ، فقالَ فِي جَمْعٍ مِن قُريش: لَقد استبانَ لكلِّ ذِي عَقْلٍ أن محمداً ليسَ بساحرٍ، ولا شاعرٍ، وأن كلامَه مِن كلامِ رَبِّ العالمين، فَحَقٌّ علَى كلِّ ذِي لُبٍّ أن يَتَّبِعَه، فَفَزِعَ / عكرمةُ بنُ أبي جَهل لقولِ خالدٍ، فقالَ: أَقَدْ [٦٦ ب] صَبَأْتَ يا خالد؟! فقالَ: لَم أَصبُ وَلكنّي أَسْلَمْتُ، قال عكرمةُ: والله إن كانَ أَحَقَّ قريشٍ أن لا يَتَكَلَّم بِهذا الكلامِ أَنْتَ، قالَ: وَلِمَ؟ قالَ عكرمةُ: لأن محمداً ﷺ وَضَعَ شَرَفَ أبيكَ حينَ خَرَجَ، وَقَتَلَ عَمَّك وابنَ عَمِّك بِبَدْرٍ، فَوالله ما كُنْتُ لأُسْلِمَ وَلا لأَتكلَّمَ بِكَلامِكَ يا خالد، أما رأيتَ قريشاً يُريدونَ قتالَه؟! قالَ خالدٌ: هذا أمرُ الجاهليةِ وَحَمِيَّتُها، لكنّي والله لَقد أسلمتُ حينَ تَبَيَّنَ لي الحقُّ.

وَبَعَثَ خالدٌ إلى رسولِ الله ﷺ بثلاثةِ أفْراسٍ، وَبَعَثَ إليه بإقرارِه بالإسلامِ وَعِرْفانِه، فَبَلَغَ أبا سفيانَ إسلامُ خالدٍ والذي قالَ، فأرسلَ إليه وَإلى عكرمةَ، فقالَ: يا خالد، أَحَقٌّ ما بَلَغَنِي عَنك؟ قالَ: وَما بلغكَ يا أبا سفيان؟ قالَ: بَلَغَنِي أنّك بَعَثْتَ إلى محمدٍ بالقُوة علينا، قالَ خالد: والله لَئِن فَعَلْتُ إنّه لَذُو رَحِمٍ وقرابةٍ، فقالَ أبو سفيان وَغَضِبَ: واللاتِ والعُزَّى لَو أعلمُ أن الذي تقولُ حقٌّ لَبَدَأْتُ بكَ قبلَ مُحمد، قالَ خالدُ بنُ الوليد: فَوالله إنّه لَحَقٌّ على رَغْمِ مَن رَغِمَ، / فَثارَ أبو سفيانَ إليه، فَحَجَزَه عَنه عكرمةُ، قالَ: مَهْلاً يا أبا سُفيان، [٦٧ أ] فَوالله لَقد خِفْتُ أن يَحْمِلَنِي الغضبُ لِلّذِي صَنَعْتَ أن أقولَ مثلَ ما قالَ خالد،

---

(١) سقط هذا العنوان من (ط).

وأكونَ علَى دِينه، وَأنتم تَعِيبُون خالداً علَى رَأيٍ رَآه، وَهذه قُريشٌ قَد تَتابَعت عَليه كُلُّها، والله لَقَد خِفْتُ أن لا يَحُولَ الحوْلُ حتى يَتَّبِعَه أهلُ مكةَ كلُّهم، فَرَفَضَه أبو سفيانَ، فَخَرَجَ خالدٌ مِن مكةَ حتى قَدِمَ علَى رسولِ الله ﷺ المدينةَ مُصَدِّقاً مؤمناً.

فهذا [ما كان][1] مِن حديث عُمرة نبيِّ الله ﷺ، وإسلامِ خالد بنِ الوليد.

* * *

---

(١) سقط من الأصل.

قصة مؤتة

قالَ: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ مِن عُمرتِه، بَعَثَ سَرِيّةً إلى مُؤْتَةَ، وأهلُ مؤتةَ يومئذٍ غَسّان والرُّوم، وَأَمَّرَ علَى تلكِ السريةِ زيدَ بنَ حارثةَ الكَلْبي، وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنْ قُتِلَ زَيدٌ فأَمِيرُكم جعفرُ بنُ أبي طالب، وإنْ قُتِلَ جعفر فعبدُ الله بنُ رَواحةَ».

فلمّا انْتَهوا إلى مؤتةَ لَقُوا غسّان، وَمَعَهم الرومُ، / فاقْتَتلُوا قِتالاً شَدِيداً، فَقُتِلَ [٧١/ب] زيدُ بنُ حارثةَ رَحِمَه الله، ثُم رَجَعَ أصحابُ نبيِّ الله ﷺ إلى عَسْكَرِهم، فَشَرِبُوا مِن الماء، ثُم دَفَعُوا الرايةَ إلى جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضيَ الله عنه، فَضَرَبَ جَعْفَرٌ وجهَ فَرَسِه، وقالَ: اقْرَؤُوا علَى رسولِ الله ﷺ منّي السَّلام؛ فإنّي مُعَرِّضٌ نَفْسِي للشهادةِ، فَقاتلَ القومَ هو وأصحابُه، فَضَرَبَه رجلٌ مِن الرومِ، فَحَطَّ وَسْطَ جعفرٍ بالسيفِ.

ثُم أخذَ عبدُ الله بنُ رَواحةَ الرايةَ، وَرَكِبَ فرساً لَه، فَطاعَنَ القومَ ساعةً، ثُم وَلَّى، فَلامَ نفسَه، فَنزَلَ عَن فَرَسِه، وقالَ لِنَفْسِه: أَقْسَمْتُ باللهِ لَتَنزِلَنَّهْ، إنّي أراكِ تَكْرَهِينَ الجنةَ، فَنَزَلَ فَطاعَنَ القومَ حتى قُتِلَ. فقامَ خالدٌ، فأخذَ الرايةَ، فَطاعَنَ بِها، فَفَتَحَ اللهُ لَه.

فَحُدِّثْنا ـ والله أعلمُ ـ أن رسولَ الله ﷺ جَعَلَ يَنْعاهُم وهوَ في المدينةِ رَجُلاً رَجُلاً، / ثُم أَخْبَرَهم أَنّه قَد فُتِحَ علَى أصحابِكم علَى يَدَيْ خالدِ بنِ الوليد، [٧٢/أ] وَسَمّاه يومئذٍ سيفَ الله، كَما يقالُ.

فهذا [ما كانَ](١) مِن حديثِ مُؤْتَةَ.

---

(١) سقط من الأصل.

قصة الحليفين من خزاعة وبني أمية[(١)]

ثُم إن حلفاءَ رسولِ الله ﷺ مِن خُزاعةَ قاتَلهم حلفاءُ بَنِي أُمَيَّةَ مِن كِنانة، فَأعانَت بَنُو أُمَيَّةَ حُلفاءَهم علَى حُلفاءِ رسولِ الله ﷺ، فَأَوْجَعُوهم قَتْلاً، فَرَكِبَ حلفاءُ رسولِ الله ﷺ يَسْألونه النصرَ عَليهِم، فِيهم بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ، فقالُوا:

اللَّهم إنّا[(٢)] ناشِدٌ محمداً حِلْفَ أبينـا وأبيـه الأتْلَدا
ثُم أسْلَمْنا ولا نَنْزِعُ يَدا

فوَعَدَهم رسولُ الله ﷺ النصرَ إذا انْقَضَى الأجلُ بينَه وبينَ أهلِ مكةَ مِن شَرْطِهِم الذي كانوا اشْتَرَطُوا عليه.

[٧٣/ب] فَبَلغَ أبا سفيانَ الخبَرُ وهو عندَ هِرَقْل فِي تِجارةٍ له، فقالَ له هِرقل: يا أبا سفيانَ، لَقَد كانَ يَسُرُّني أن أَلْقَى رَجُلاً مِن أهلِ بَلَدِكَ، يُخْبِرُني عَن هذا الرجلِ الذي خَرَجَ فِيكم، فقالَ أبو سفيانَ: فَعَلَى الخبيرِ سَقَطتَ، سَلْنِي عَمّا شئتَ مِن أمرِه، فقالَ لَه هِرقل: حَدِّثْني عَنه أَنَبِيٌّ هو أم كَذّاب؟ قالَ أبو سفيانَ: بَل هُو كَذّاب، قالَ هِرقل: يا أبا سُفيان، كيفَ يَظْهَرُ عَليكم إذا قاتَلَكم؟ قالَ: والله ما ظَهرَ عَلينا قطُّ إلا مرةً واحدةً وَقْعةَ بَدرٍ، وَأنا يومئذٍ غائبٌ، ثُم غَزَوْتُه بَعْدُ مَرَّتَين، فأمّا مَرّةً فَأفْلَتَنا محمدٌ[(٣)] وَقَد كَسَرْنا فاهُ وَوَجْهَه، وَأمّا الثانيةُ فامتنعَ مِنّا بِخَنْدَقٍ خَنْدَقَه عَليه وعلَى أصحابِه.

---

(١) سقط من (ط).

(٢) كذا في الأصل، وله وجه، يعني: كل واحد منا ناشد.

(٣) في (ط): «فاقتتلنا محمداً».

قالَ هِرَقل: يا أبا سُفيان، فإنَّ هذا ليسَ بِكَذّاب؛ إن الكذّابَ إذا خَرَجَ فإنَّما هُو كَهَيْئَةِ الحذِيقِ(١) لا يَظْهَرُ عليه أحَدٌ حتى يُهْلِكَه اللهُ مرةً واحدةً، وَأسْمَعُ هذا يَظْهَرُ عَلَيكم مرّةً، وَتَظْهَرُونَ عَليه أُخرى، فَأخْبِرْني يا أبا سُفيان، ما الذي يَأْمُرُكم به، وَما الذي يَنْهاكُم عنه؟ قال: يأمرُنا أن نُجَبِّيَ(٢) طَرَفَي النهارِ / كَما تُجَبِّي(٣) النساءُ، قالَ هِرقل: هذه الصَّلاة، وَما خَيْرُ قوم لا يُصلُّون، قالَ: وَيأمرُنا أن نُعْطِيَه خراجاً مِن أموالنا كُلَّ عام. قالَ هرقل: يا أبا سُفيان، هَذه الزكاةُ قَد أُمِرْنا بِها أن نَأْخُذَها وَنُعْطِيَها، قالَ: وَيَنهانا عَن المَيْتة والدم، قالَ هرقل: وَما خيْرُ الميْتة والدّم؟! أوَليسَ بَيِّنٌ لَكُم(٤) أن تَقْذَرُوهُما وَلو لَم يَنْهاكم عَنه؟! [٧٤/أ]

قالَ هِرقل: هذا رَجلٌ صالِحٌ يا أبا سُفيان، اتَّبِعُوه وَلا تُقاتِلُوه، وَلا تَسْتَنُّوا بِسُنةِ اليهود؛ فإنّهم أفعلُ الناسِ لذلكَ أن يُقاتِلُوا أَنبياءَهم، وَلَكن أخبرني هَل يَغْدِرُ إذا واثَقَ؟ قالَ: لا، واللهِ ما غَدَرَ قَطُّ فيما مَضَى، وإنّي لَخائفٌ أن يَغْدِرَ هَذه المرةَ. قالَ هِرقل: كيفَ يا أبا سُفيان؟ قالَ: وادَعَنا سِنينَ، بَعضُنا لبعضٍ آمنٌ، فَبَلَغَني وَأنا عندكَ أن حُلَفائي قاتَلوا حُلفاءه، فَأعانَتْ عَشِيرَتِي حُلفاءَنا على حلفائِه، فبلغَنِي أن حلفاءَه سَألوه النصرَ، فَهو يريدُ أن يُعِينَ حُلفاءَه على قَومي.

قالَ هِرقل: / يا أبا سُفيان، إن يَكُن الحديثُ كَما حَدَّثْتَني، فَأنْتُم أوْلَى بالغَدْرِ منه، أنْتم اسْتَحْلَلْتُم قتالَ حُلفائه، وَلَكِن أخْبِرْني يا أبا سُفيان، كيفَ مَوضعُه فِيكم؟ قالَ: هُو والله فِي الذِّروة مِنّا، فَضَحِكَ هِرَقل، فقالَ: ما أراكَ تُخْبِرُني إلا بِحَقيقةِ أمره، وَلَقَد وَجَدْنا فيما يُتَحَدَّثُ أن اللهَ عزّ وجلّ لَم يَبْعَث قَطّ نَبيّاً [٧٤/ب]

---

(١) في (ط): «الحريق»، وهو تصحيف، والحَذِيقُ: المقطوع. «لسان العرب»، مادة: حذق.

(٢) في الأصل: «نحني»، يقال: جَبَّى الرجلُ، أي: وضع يَدَيه على رُكبتَيه في الصلاة أو على الأرض، وهو أيضاً انْكبابه على وجهه. «لسان العرب»، مادة: جبى.

(٣) في (ط): «تحني».

(٤) في (ط): «أو ليس قولكم».

بعدَ لُوط صلواتُ الله عليه وعلَى جَميعِ الأنبياءِ والمرسلينَ إلا فِي ثَرْوةِ قَومه وَذِرْوَتهم.

قالَ أبو سفيانَ عندَ ذلكَ لِهرَقل: ما أُرانِي إلا راجعاً فَمُصالِحاً بينَ قَومي، فَرَجَع أبو سفيانَ إلى مكةَ، فَأَمَروه أن يَأْتِيَ نبيَّ الله ﷺ، فَيُجَدِّدَ حِلْفاً آخرَ، فَقَدِمَ أبو سفيانَ المدينةَ، فَنَزَلَ علَى فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ، ثُم غَدا علَى رسولِ الله ﷺ، فَلَمّا انتهَى إليه دُفِعَ فِي نَحْرِه، وَحِيلَ بَينه وَبَين نَبيِّ الله ﷺ، قالَ: تَحُولُون بينِي وبينَ محمدٍ وإنَّما هُو ابنُ أخي؟! قالَ رسولُ الله ﷺ: «ذَرُوه»، فَنَزَلَ فَجَلَسَ إلَى رَسولِ الله ﷺ، فقالَ: يا محمد، جِئْتُكَ / أُجَدِّدُ الحِلْفَ بيننا وَبينكَ. [١/٧٥]

قالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «وَهل أَحْدَثْتُم مِن حَدَثٍ؟» قالَ: لا واللاتِ والعُزى، قالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «فإنّا علَى حِلْفِنا الأولِ»، قالَ لَه أبو سفيانَ: إنّي لا أدْرِي لَعَلَّكَ تَعُدُّ حَدَثاً[1] الذي صَنَعَ قَومُنا وحلفاؤُك، فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ.

وَعَرَفَ أبو سفيانَ أن رسولَ الله ﷺ ناصِرٌ حُلَفاءَه، قالَ أبو سفيانَ: يا ابنَ أبِي قُحافة، ألا تَأْخُذُ علَى قَومك، وَتَأْخذُ لَهم؟ قالَ: اللهُ ورسوله أعلم. قالَ: يا ابنَ عفّان، ألا تَأخذُ علَى قَومك وتأخذُ لَهم؟ قالَ: لا، قالَ لَه أبو سفيان: لِمَ؟ قالَ: لأن اللهَ عز وجلّ ورسولَه أعلمُ، فأقبلَ أبو سفيان علَى عمرَ بنِ الخطاب رضيَ الله عنه، فقالَ: يا ابنَ الخطاب، ألا تَأخذُ علَى قومكَ وَتأخذُ لَهُم، وَتَصِلُ قَرابتَهم؟ قالَ عُمر: لا، ما كانَ مِن قرابةٍ فَلا وَصَلَها اللهُ، وَما كانَ مِن رَحِمٍ فَقَطَعَها اللهُ، فوالذي نَفْسُ عمرَ بيدِه، لَوْلا مَجْلِسُكَ مِن رسولِ الله ﷺ لَضَرَبْتُ عُنقَك، قالَ أبو سفيانَ: لَعَمْرِي لَقد رَأيتُك حديثاً ولَسْتَ عَلَيَّ بفاحشٍ ولا

---

(١) في (ط): «بعد حدثنا»، وهو تصحيف.

جَرِيءٍ، / فَما أَدْري ما يَحْمِلُك عليَّ[١] يا ابنَ الخطاب؟ فقالَ لَه عُمر: لِكُفْرِكَ [٧٥/ب]
باللهِ وبرسولِه، وَعَدَواتِك إيّاهما.

ثُمّ أَذّن المؤذِّن بالصلاةِ، وَأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بماءٍ في قَدَح، فَتوضأ مِنه، فَجَعلَ الناسُ بعدما فَرَغَ النبيُّ ﷺ يَتَوَضَّؤُون بفَضله، وَيَسْتَنْشِقُونَه. قالَ أبو سفيان: لَم أرَ كاليَوم مَلِكاً قَطُّ أعْظَمَ، لَقَد سِرْتُ فِي الأرضِ، فَأَتَيْتُ فارسَ، وَرَأيتُ مُلْكَهُم، ورأَيتُ الرُّومَ ذاتَ القُرون، ورأيتُ مُلْكَهم، فَما رَأيتُ مُلْكاً قَطُّ أعظمَ مِن مُلْكِ مُحمد، إن أصحابَه لَيَشْرَبُون وَسَخَ يَدَيه، وَيَسْتَنْشِقُونَه فِي مَناخِرِهم، وَيَغْسِلون به وُجوههم. فَبُهِتَ أبو سفيانَ مِن ذلكَ.

وَأُقِيمَت الصلاةُ، فَتَقَدَّم نبيُّ الله ﷺ فَصَلَّى، فَجَعَلَ الناسُ يَرْكَعُون بركوعِ رسولِ الله ﷺ، وَيَسْجُدون بِسجوده، فَعَجِبَ أبو سفيانَ مِن ذلكَ، فقالَ: هَذه وَأَبِيكُم الطاعةُ. فَلمّا انصرفَ نَبيُّ الله ﷺ مِن الصلاةِ، قالَ لَه أبو سفيانَ: إنّي واللهِ ما أدري أَبِحَرْبٍ أَرْجِعُ أم بِصُلح؟ قالَ لَه نَبيُّ الله ﷺ: «تَرْجِعُ مَرَّتَك هَذه حتى تَرَى أمرَكَ إن شاءَ الله»./ [٧٦/أ]

فَدَخَلَ أبو سفيانَ عَلَى فاطمةَ رضيَ الله عَنها، فقالَ: يا فاطمة، هَل لَكِ أن تَكُوني خَيْرَ سَخْلَةٍ[٢] في العَرب لِقَومها؟ قالَت: وَما ذاكَ يا أبا سُفيان؟ قالَ: تُجِيرينَ بينَ الناس، قالت: لَعَمْرو أبيكَ إنّي إذنْ لَسَفيهةٌ إن أجَرْتُ على نبيِّ الله ﷺ وَهو شاهدٌ، قالَ لَها أبو سُفيان: بَل لا أعْدَمْتُكِ، فَإنَّ أُخْتَكِ زَيْنَب بنتَ محمدٍ قَد عَقَدَتْ لِزَوْجِها أبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ، وَقد كانَ أبوكِ أمَرَ بِقَتْلِه، فَأَمْضَى عَقْدَها، وَحَقَنَ دَمَ زَوْجِها، فَأَبَت عَليه.

فَلَمّا رَأى ذلكَ أبو سفيانَ أقبلَ عَلَى الحسَنِ والحسَيْنِ رضيَ اللهُ عَنهما

---

(١) في (ط): «على ذلك».

(٢) السَّخْل: المولود المُحَبَّب إلى أبويه. «لسان العرب»، مادة: سخل.

وَهُما صَبِيّانِ، فقالَ لَهما: قُولا: نَحْنُ نُجِيرُ بينَ الناسِ، لِنَتَّخِذَ علَى مُحمدٍ ﷺ حُجّةً، فَقالا كَما قالت أُمُّهما.

قالَ أبو سفيانَ: قَدْ لَعَمْرو اللهِ، كَلَّمْتُ رُؤَساكم وَأشْرافكم وَنِساءَكم، قالَ: حتى كَلمْتُ صِبْيانَكم، فَما أرَى قُلُوبَكم إلا علَى قَلْبِ إنسانٍ واحِدٍ، فَأمّا إذْ أبَيْتُم علَيَّ، فإنّي أتَحَمَّلُ هَذه الدماءَ، وَأُجِيرُ علَى الناسِ، فَمَن شاءَ أن يَتَعَرَّضَ لِي فَلْيَفْعَلْ، ثُم رَكِبَ راحِلَتَه راجعاً إلى مكةَ.

[٧٦/ب] فسَألَ رسولُ الله ﷺ عَن أبِي سفيانَ: «ما فَعَلَ؟» / قيلَ: انْطَلَقَ غَيْرَ مُفْلِحٍ وَلا مُنْجِحٍ، قَد أجارَ بينَ الناسِ، كَما يَزْعُمُ.

* * *

قصة فتح مكة

قالَ: فأمرَ رسولُ الله ﷺ مُنادِيَه، فَنادَى في الناسِ بِالْخُروجِ، فَخَرَجَ الناسُ مِن المدينةِ، فَعَسْكَرُوا وَأَخذُوا فِي جَهازِهم، ومعَ رسولِ الله ﷺ رَجلٌ مِن المهاجرين، حَليفٌ لآلِ العَوّامِ بنِ خُوَيلد، يقالُ لَه: حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ، فَكَتَبَ بِصَحيفةٍ إلى أهل مكةَ: مِن حاطبٍ، فإنَّ محمداً ﷺ قَد خَرَجَ فَعَسْكَر، وَلا أُراه إلا يُرِيدُكم، فَعَلَيكم بالحذَرِ، فأرسلَ بِها مَعَ مَولاةٍ لِبَنِي هاشمٍ يُقالُ لَها: سارة، جاءَت سائلةً فَرَضَخَ لَها، وَحَمَلَتْه.

فَنَزَلَ جبريلُ عليه السلامُ علَى نَبيِّ الله ﷺ، فَأخبرَه الخَبَرَ، فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ رَجُلَين مِن أصحابه، وَهُما عليّ بنُ أبي طالب وابنُ الزُّبَير، فقالَ: أَدْرِكا عَدوةَ الله؛ فإنّ رَجلاً مِن أصحابي قَد كَتَبَ مَعها بكتابٍ إلى أهلِ مكة يُحَذِّرُهم. فَرَكِبا فِي أثَرِها، فَلَحِقاها فَسَألاها عَن الصحيفةِ، فَحَلَفَت باللهِ: ما مَعي صحيفةٌ، وَلا كنتُ آخذةً مَعي كتاباً، وَلأنا إلى خَيْرِكم أفْقَرُ، فَبَحَثاها، فَلَم [١/٧٧] يَجِدا مَعَها شيئاً، فَهَمّا بِتَرْكِها، ثُم قالا: نَشْهَدُ ما كَذَبَ رسولُ الله ﷺ وَما كُذِب، فأَوْعَداها بِالقَتْلِ، واسْتَلّا سَيْفَيْهِما عليها.

فَلَمّا عَرَفَت أنّه القتلُ أخَذَت مِنهما الميثاقَ، وَلَئِن أعْطَيْتُكُما لا تَقْتُلاني وَلا تَرْجِعا بِي إلى المدينةِ، وَلْتُخْلِيا سَبِيلي، فَأَعْطَياها الميثاقَ، فأَخْرَجَتْها مِن شَعَرِها، فإذا هيَ مِن حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ عليها خاتَمُه، فَخَلَّيا سَبيلَها، وَأَقْبَلا بِالصَّحيفة، فَوَضَعاها فِي يَدِ نبيِّ الله ﷺ.

فَأرسلَ إلى حاطبٍ، فَقال: «يا حاطبُ، ما حَمَلَك علَى أن تُنْذِرَ بنا عَدُوَّنا؟»

قالَ: اعْفُ عَنّي عَفا اللهُ عَنك يا رسولَ الله، فوالذي أنزلَ عليكَ الكتابَ ما أبْغَضْتُك منذُ أحببتُك، وَلا كَذَّبْتُك منذُ صَدَّقْتُك، وَلا كَفَرْتُ بالله منذُ آمَنْتُ به، وَلا وادَدْتُ المشركينَ مِن قَلْبِي منذُ فارَقْتُهم، وَلكنّي مُخْبِرُكَ يا رسولَ الله حديثاً، فاعْذُرْني جعَلَنِي الله فداكَ، لَم يَكُن مِن أصحابِك رَجلٌ لَه مالٌ بِمكةَ إلا لَه فِي مكةَ مَن يَمْنَعُ مالَه مِن عَشيرتِه غَيْرِي، كنتُ حليفاً للقومِ، ولسْتُ مِن أنْفُسِ القومِ، / وكانَ حُلفائي قَد هاجَروا مَعي، وكنتُ كثيرَ المالِ والسَّعة بمكةَ، [٧٧/ب] فَخِفْتُ المشركينَ على مالِي، فَكَتَبْتُ إليهِم بالذي كَتَبْتُ لأتَّخِذَها عِندهم مودةً، وَقد عرَفتُ أن الله عز وجلّ مُنْزِلٌ بِهم خِزْيَه وَنِقْمتَه، وأن كتابِي إليهِم ليسَ بِمُغْنٍ عَنهم شيئاً.

فَعَرفَ رسولُ الله ﷺ أنّه صادقٌ، فأنزلَ الله عز وجلّ على نبيّه ﷺ يَعِظُ المؤمنينَ أن يَعُودوا لِمِثْلِ صنيعِ حاطب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

فلمّا فَرغَ رسولُ الله ﷺ والمؤمنونَ مِن جَهازهم عامدينَ إلى مكةَ لَقِيَهُم العباسُ بنُ عبدالمطلب بِالْجُحْفَةِ في ناسٍ مِن أهلِه، وَبَلغَ الخبرُ قريشاً أن رسولَ الله ﷺ قَد أظَلَّ[١]، فَقالوا لأبِي سفيانَ: وَيْلَكَ! عَلامَ أقْبَلْتَ؟ قالَ: والله ما أدري أحَرْبٌ هو أم سِلم؟ فَقالت لَه امرأتُه: قَبحَكَ / اللهُ مِن وافدِ قَومٍ يُرْجَى [٧٨/أ]

---

(١) في (ط) زيادة جعلها المحقق بين معقوفين كأنه نقلها من الحاشية، وهي: «قال: وكان أبو سفيان قد دخل ليأخذ خبر الجيش إلى أين سائر، فما قدر على ذلك، فرجع إلى مكة».

منه الخيْرُ، ارْجع؛ فإنّه لَن يُخَيِّبَك(١) إن لَقِيتَه، وَلَعَلَّك أن تَفْتِلَه(٢) عَن قَومك.

فَخرجَ أبو سفيانَ وَقَد بَعثَ رسولَ الله ﷺ بَين يَدَيه رِجالاً وَرُماةً مِن مُزَيْنَةَ، وقالَ لَهم رسولُ الله ﷺ: «لَعَلّكم تَلْقَوْنَ أحداً مِن المشركينَ خارجاً مِن مكةَ»، فوافَقُوا أبا سفيانَ فِي بعضِ تلكَ الأَودِيةِ بغيرِ سلاحٍ وَلا عُدّة، فَلَمَزُوه وَضَرَبوه، وَأَدْرَكه العباسُ بنُ عَبد المطلبِ، فقالَ لَهم: ارْفَعُوا أَيْدِيَكم؛ فإنّي وَلِيتُ لَه عهداً، فَرَفَعوا أيديَهم عَنه، فقالَ لَه العباسُ: إن القومَ قاتِلُوك، فَقُلْ: لا إلهَ إلا الله، فَقالَها أبو سفيانَ يَتَلَجْلَجُ بِها لسانُه وَلا يُقِيمُها؛ مِن الوُدِّ الذي فِي نَفْسه لآلِهَته. فلمّا قالَها انْتَزَعَه العباسُ مِن القوم، فَبَلَغنا ـ واللهُ أعلمُ ـ أن نَبيَّ الله ﷺ قالَ حينَ نَظَرَ إلى أبي سفيانَ معَ العباسِ: هذا مُستسلمٌ غيرُ مُسلِم.

قالَ: فَلمّا انْتَهى به العباسُ إلى رسولِ الله ﷺ، قالَ العباسُ: يا رسولَ الله، [٧٨/ب] هذا أبو سفيانَ قَد أتاكَ مُسلماً فَأَجِرْهُ، واعْرِفْ لَه حَقَّه. فَرَدَّ رسولُ الله ﷺ على العباسِ أنِ ارْجِعْ به إلى رَحْلِكَ، فانطلقَ به العباسُ، وَحَمَلَه علَى بَغْلةِ رسولِ الله ﷺ البَيْضاء، فَطافَ به فِي عَسكرِ رسولِ الله ﷺ، وَهو يومئذٍ تسعةُ آلاف وَخَمْسُ مئةِ رَجُلٍ، فَرأى أبو سفيانَ ما يَكرهُ، فانطلقَ به العباسُ إلى رَحْلِه، فَباتَ عِنده، فلمّا أصبحَ نادَى مُنادي رسولِ الله ﷺ بالصلاةِ، فَتَحَرَّكَ الناسُ للوضوءِ وللصّلاة.

فلمّا سَمِعَ أبو سفيانَ المناديَ وَتَحَرُّكَ الناسِ فَزِعَ، وَخافَ أن يكونَ تَحَرُّكُهم ذلكَ مِن أجلِه لِما قَذَفَ اللهُ في قَلْبه مِن الرُّعب، فقالَ: يا عباس،

(١) في (ط): «يحيبك».
(٢) في الأصل: «تقتله»، والصواب ما أثبت، وجزى الله خيراً من صحّح لي هذا الموضع، قال ابن منظور: وفَتَل وجهه عن القوم: صرَفه. «لسان العرب»، مادة: فتل.

لِمَ تَحرَّكَ الناسُ، وَما هذا الصوتُ الذي سَمعتُ؟ قالَ العباسُ: هذا مُنادي رسولِ الله ﷺ للصلاةِ، فَتحرَّكَ الناسُ للوضوء، قالَ أبو سفيانَ: إنّما تَحرَّكَ مَن أرَى لِمُنادِي رسولِ الله ﷺ؟ قالَ لَه العباسُ: هو كذلكَ , يا أبا سفيان، قالَ لَه: ٧٩ أ
انْطَلِقْ بِي إلى رسولِ الله ﷺ لَعَلِّي أن أُسْلمَ إسلاماً حسناً، فانطلقَ به العباسُ قُبَيْلَ الصلاةِ، فَأدخلَه علَى رسولِ الله ﷺ، وأشرفَ أصحابُ رسول الله ﷺ حولَ القُبّة يَنظرونَ خروجَ النبيِّ ﷺ.

فقال العباسُ لِرَسولِ الله ﷺ: يا رسولَ الله، اسْمَعْ مِن أبي سفيانَ، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «ما تَشاء؟» قالَ: يا محمد، اخْتَرْتَ هَذه الوجوهَ التِي أرَى مِن أخلاطِ الناسِ علَى قومكَ، تُريدُ أن تُبيحَهم نِساءَك غداً؟ فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «نَعم، رَضيتُ بِهذه الوجوهِ التِي صَدَّقَتْني وَآوَتْني وَنَصَرَتْنِي بَدَلاً بوجوهِ قَومي الذينَ كَذَّبُوني وَطَرَدُوني، وَأخرجوني مِن بَلَدي، وَظاهَرُوا علَى إخراجِي، فَأمّا النساءُ التِي ذَكَرْتَ فإنَّما أباحَهنّ أنتَ وقومُك بِكُفرِكم وَتكذيبِكم اللهَ ورسولَه».

قال العبـاسُ: يا أبا سفيـانَ، أسْلِم، قالَ: فكيـفَ بالعُـزَّى؟ فقالَ له عمرُ
رضيَ الله عنه وَهو مِن وراءِ القُبَّةِ: نَحنُ أعْلاها يا عَدوَّ الله، والذي يَحْلِفُ به ١٩ ب
عُمر لَولا مَكانُك مِن نَبيِّ الله ﷺ لَضَرَبْتُ عُنُقَك. قالَ أبو سفيانَ: لَعَمْرُ أبيكَ يا ابنَ الخطابِ، إنّك علينا لَجَرِيء، وإنّي والله ما إليكَ جِئْتُ، وَلا إليكَ أرْغَبُ، ولكنّي جئتُ إلى ابنِ عمّي رسولِ الله ﷺ، أشهدُ يا محمد أن الله لا إلهَ غَيرُه وَأنّك عبدُه ورسولُه، وإنّي قَد كَفَرْتُ باللاتِ والعُزّى. فَكَبَّرَ العباسُ، وكانَ منه ذا قَرابةٍ وَصِهْرٍ ونِدامٍ[1] في الجاهليةِ.

فَأُقيمت الصلاةُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ للعباسِ: «أقِم أبا سفيانَ إلى جَنْبك

---

(١) نادَمَ الرجل مُنادَمةً ونِداماً: جالَسه على الشراب. «لسان العرب»، مادة: ندم.

إذا صَلَّينا، فَعَلِّمه الحمدَ والتكبيرَ والتسبيحَ». فَفَعَلَ، فلمّا رَأى أبو سفيانَ أن الناسَ يَرْكَعون بِركوعِ رسولِ الله ﷺ، وَيَسْجُدون بسجودِه، وَيَنْصَرِفون حينَ يَنصرفُ، قالَ: يا عَبّاس، أما يَصْنَعُ محمدٌ ﷺ شيئاً إلا صَنَعَ هؤلاء مِثْلَه؟ قالَ: والله لَو نَهاهُم عَن الطعامِ والشرابِ لَتَرَكَه بَعضُهم حتّى يَموتُ، قالَ: [١/٨٠] يا عَبّاس، والله إنّي لأرَى وُجوهاً أخافُ أن يُهْلِكوا قَومي، قالَ العباسُ: ما أنا لذلكَ بآمِر، فَهل تَرى عندَ رسولِ الله ﷺ مِن تَجاوز؟ قالَ العباسُ: عَسَى.

وَقَد نادى رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فَأخذوا راياتِهم، وَجَلسوا علَى مَصافِّهم، فقامَ أبو سفيانَ والعباسُ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالَ العباسُ: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيانَ، وَهو ذُو شَيْبَةٍ، وَكبيرُ قَومك، وَسَيِّدهم، فاعْرِفْ لَه شَرَفَه وَنَسَبه وَإسلامَه. قالَ رسولُ الله ﷺ: «ارْكَب أنتَ وأبو سفيانَ إلى أهل مكةَ، فَنادِيا فيها: أن مَن دَخلَ دارَ أبي سفيانَ فَهو آمنٌ»، قالَ أبو سفيانَ: داري يا رسولَ الله؟! ـ وَأعجبَه ـ قالَ: «نَعم، وَمَن أغلقَ بابَه فَهو آمنٌ، وَمَن جَنَحَ إلى الكعبةِ، وَأَلْقَى السلاحَ، فَهو آمِنٌ، غَيْرَ عَبد[1] اللهِ بن سَعد بن أبي سَرْحٍ مِن بَنِي عامرِ بنِ لُؤَي، وَمِقْيَسِ الكِناني أخِي بَنِي لَيْث، وعكرمةَ بنِ أبِي جَهل، وابنِ خَطَل، وَسارةَ مَولاةِ بَنِي هاشم، / لا عَهْدَ لَهُم وَلا ذمّة وإنْ كانُوا مُتَعلقينَ بأستارِ الكَعبة، [٨١/ب] فامْضِيا علَى هذا علَى اسمِ الله وَبَركتِه».

فَرَكِبَ العباسُ بغلةَ رسولِ الله ﷺ البَيْضاء، وَأرْدَفَ أبا سفيان، فلمّا أسرعا خافَ رسولُ الله ﷺ على العباسِ، فأرسلَ فِي أثَرِهما أن رُدُّوهما، فسَبَقا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ لِمَن حَولَه ـ كَما بَلَغَنا، واللهُ أعلمُ ـ: «لعلَّ أهلَ مكةَ يفعلونَ بعبّاسٍ كَما فَعَلَت ثَقِيف بِعُرْوةَ بن مَسعودِ الثَّقَفِي؛ فإنَّ قومَه قَتَلُوه حينَ

---

(١) في (ط): «عدو».

دَعاهم إلى الإسلام، أما والذي نفسُ محمدٍ بيَده، لَئن فَعَلوا لا أَسْتَبْقِي منهم أحداً».

وَكَتَبَ رسولُ الله ﷺ إلى الناسِ، وَبَيَّنَ أُمراءَهم، وَأخرجَ الْمُجَنِّبَتَيْن[١] والمقَدّمة، فَأَمَّرَ علَى الْمُجَنِّبة اليُمنى خالدَ بنَ الوَليد بنِ المغيرةِ، وعلَى الْمُجَنِّبة اليُسرى الزُّبير بنَ العوّام، وَأَمَرَ أحدَهما أن يأخذَ مِن أعلَى مكةَ، ويأخذَ الآخَرُ مِن أسفلِها، وَأَمَّرَ أبا عبيدةَ بنَ الجرّاح علَى المقَدّمة، وسارَ رسولُ الله ﷺ / فِي كَتيبةٍ مِثْل الْحَرّةِ السوداءِ مِن المهاجرينَ والأنصارِ. [١/٨٢]

فَوَقَفَ العباسُ بأبي سفيانَ علَى الثَّنِيّة لِيُرِيَه كَثْرةَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فلمّا نَظَرَ أبو سفيانَ إلى الْمُجَنِّبَتَيْن والمقَدّمة، سَألَ عَنهم، فَسَمَّى لَهم أَسْماءَهم، ثُم نظرَ إلى الكَتيبةِ التِي فيها رسولُ الله ﷺ، فقالَ: يا عبّاس، ما هَذه الكَتيبةُ التِي كَأَنَّها حَرّةٌ سَوداء؟ قالَ العباسُ: هَذه والله مَعها الموتُ الأحمرُ، هَذه كَتيبةُ رسولِ الله ﷺ مِن المهاجرينَ والأنصارِ، قالَ أبو سفيانَ للعباسِ: أُذَكِّرُكَ اللهَ والرَّحِمَ إلا حَدَّثْتَنِي ما حَمَلَكَ علَى هذا الموْقفِ؟ فقالَ: أما والله لأَصْدُقَنّكَ، قَدِمْتَ علَى نَبيِّ الله والناسُ مُتفرقونَ بينَ الأراكِ، فَخِفتُ أن تَرْغَبَ في قلةِ الإسلامِ فَتَكْفُرَ بعدَ إسلامِك، فَلا يُقْبَلُ منكَ شيءٌ غيرَ القَتل، فَأُذَكِّرُك اللهَ يا أبا سفيانَ والرحمَ لَما صَدَقْتَنِي، أينَ وقعَ حَديثي مِمّا كانَ في نَفسك؟ قالَ أبو سفيانَ: اللهمّ كانَ فِي نَفسي أن أفعلَ بعضَ الذي قُلْتَ، فَأمّا إذْ رَأيْتُ الذي رأيتُ فَقد عَلِمْتُ الآنَ أن هذا الأمرَ مِن الله لا مَرَدَّ له، واللهِ ما زالَت الكَتائبُ تَمُرُّ حتى خِفْتُ أن يسيرَ مَعه جبالُ مكةَ، سِر يا عَباس، فَلَم أر كاليومِ قَطّ صَباحَ قومٍ في دارِهم.

---

(١) المُجَنِّبتانِ من الجَيْش: المَيْمَنةُ والمَيْسَرةُ. «لسان العرب»، مادة: جنب.

فَقَدِما مكةَ، فَنادى أبو سفيانَ بأعلَى صَوته: مَن دخلَ داري فهو آمنٌ، فَأتاه عكرمةُ وَمِقْيَسٌ الكِناني، فَقالا: وَيْلَكَ يا أبا سفيان! ولِهذا أرسلناكَ؟! قالَ: أقْبِلا علَى أمْرِكُما؛ فإنّه قَد أتاكُما ما لا تُطِيقانِ أنتما وَلا قَومُكما، أتاكم مِثْلُ الليلِ الدّامسِ، فانْتَهَراه وَأوْعَداه. قالَ: وَأُخرى أَخْبَرَ: كَما أنّه مَن أغلقَ بابه فهو آمن، وَمن جَنَحَ إلى الكعبةِ وَألْقَى السلاحَ فَهو آمنٌ غَيْرَ مِقْيَسٍ، وعكرمةَ بنِ أبي جهل، وعبدِ الله بنِ سَعد، وابنِ خَطَل، وَسارةَ مولاةِ بَنِي هاشم؛ لَم يَجْعَل لَهم أماناً وَلو كُنتم مُعَلَّقينَ بالأستارِ.

وَأقبلت امرأتُه هندُ بنتُ عُتْبَةَ، فَأخَذَت بلحيتِه فَعَلَّقَتْه لَطْماً، فَقالت: اقْتُلوا الشيخَ الأحمقَ؛ فَإنّه قَد صَبَأ، وَأبو سفيانَ في ذلكَ يُنادي: يا آلَ غالبٍ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا.

وَخُزاعةُ معَ رسولِ الله ﷺ يُفْلِتُونَ إلى القتالِ للثأرِ بما فُعِلَ بِهم، فَجَعلَ رسولُ الله ﷺ يَكُفُّهم مَخافةَ أن يُقْتَلَ أحَدٌ فِي ذِمته.

فَخَرجَ إليـه العبـاسُ مُرْدِفـاً جُبَيْرَ بنَ مُطْعِم، فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ: «ما وَراءَكَ يا عباس؟» فقالَ: قَد أسلمَ أهلُ مكةَ كُلُّهم إلا ما لا بالَ لَه، فاكْفُفْ يا رسولَ الله ساعةً. وَأتاه أبو سفيانَ بنُ الحارث بنِ عبد المطلب وَمعه ابنٌ يقالُ لَه: جَعْفَر، وعبدُ الله بنُ أبي أُميـة بنِ المغيـرةِ أخُو أمّ سلمةَ بنتِ أبي أميةَ بنِ المغيرة أُمّ المؤمنين، وهيَ يومئذٍ معَ النبيِّ ﷺ، فَأقْبَلا إلى رسولِ الله ﷺ، فَسَلَّمُوا عليه، فَصَرَفَ وَجْهَه، وَأبَى أن يَقْبَلَ مِنهم. فقالَ أبو سفيانَ: أرَدَدْتَ عَلَيَّ الإسلامَ؟ فَوالله لا أرْجِعُ إلى المشركينَ أبداً، ولكنّي مُسْتَعْرِضٌ هَذه الصحراءَ بابْنِي حتى نَموتَ، فانْطَلَقَ.

وانطلقَ / عبدُ الله بنُ أبي أُمَيّة إلى بَنِي أبيه في ناحية العَسْكر، ثُم أرسلَ إلى [٨٠ ب]

أُخته تَسْأل لَه الأمانَ، فَأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فَقالت: يا رسولَ الله، ما جَعَلَ اللهُ أخِي وابنَ عَمِّك أشْقَى مَن خرجَ إليكَ مِن أهل مكةَ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أمّا ابنُ عَمّي فكانَ يَهْجُونا، وَأمّا أخوكِ فَأقْسَمَ أن لا يُؤْمِنَ بِي حتى أرْقَى في السماءِ فَآتِيَه بكتابٍ مِن الله عز وجلّ إليه يَقْرَؤُه، فلذلكَ لَم أقْبَل مِنهما، »ثُم أرسلَ إليهِما بَعْدُ فَقَبِلَ مِنهما وَبايَعاه.

وَبلغَ رسولَ الله ﷺ أن أهلَ مكـةَ قَد أسْلَمـوا إلا شيئاً يسيراً مَعَ مِقْيَس، فَأمرَ رسولُ الله ﷺ خُزاعةَ أن يُغِيرُوا قَبلَ الناسِ، وَلا يَقْتُلوا إلا مَن قاتَلَهم غَيْرَ الرَّهطِ الذي سَمّاهم، فَأغارَت خزاعةُ واتَّبَعَهم الناسُ، فَقَتَلَ اللهُ عزَّ وجل مِقْيَساً الكِنانِيَّ في المعركةِ في أُناسٍ مِن قُرَيش، مِنهم الحوَيْرِثُ بنُ نُفَيْلٍ، وَأمّا ابنُ خَطَلٍ فَتَعَلَّقَ بأستارِ الكعبةِ، / فَأتاه أبو بُرْدةَ الأسْلَميّ وسعيدُ بنُ حُرَيْث المخْزُومي، فَضَرَباه حتى بَرَدَ. [٨١/أ]

وَفَرَّ عبدُ الله بنُ أبي سَرْح، فاختبأ عندَ رَجُلٍ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وكانَ أخاه مِن الرَّضاعة، وابنَ مَوْلاتِه مهانةَ[١]، فانطلقَ به إلى رسولِ الله ﷺ فَسَلَّم عَليه، فَأعرضَ عَنه رسولُ الله ﷺ، ثُم انصرفَ مِن قِبَلِ وَجْهِه فَسَلَّمَ عليه، فَصَرَف عَنه وَجهه ثلاثَ مِرارٍ رجاءَ أن يقومَ إليه رَجلٌ مِن القَوم فَيَقْتُلَه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «سَكَتُّ عَنه فَلَم أرْدُدْ عليه السلامَ، وَصَرَفتُ عَنه وَجْهِي رجاءَ أن يقومَ إليه رجلٌ مِن القوم فَيَقْتُلَه»، فقالَ رجلٌ مِن الأنصار: يا رسولَ الله، أرَدْتُ ذلكَ وَلَكن نَظَرْتُ بأنَ تُومِضَ[٢] إليَّ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنّ النبيّ لا يُومِضُ»، كَأنّه يَرَى ذلكَ غَدْراً.

وَأمّا عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ فَفرّ إلى البحرِ لِيَلْحَقَ بالحبشةِ، فلمّا أتَى أصحابَ

(١) مهانة بنت جابر، من الأشعريين.

(٢) أوْمَضَ له بعينه: أوْمأ. «لسان العرب»، مادة: ومض.

السُّفنِ أعْطاهم / خَرْجاً، فَحَمَلوه في سفينةٍ، فَلمّا جلسَ فيها دَعا باللاتِ [٨٢/ب] والعُزّى، قالَ أهلُ السفينةِ: إن سفينَتَنا لا تَجْرِي في البحرِ إلا باللهِ وَحده لا شريكَ لَه، فبذلكَ فادْعُ، وإلا فاخْرُج مِن سَفينتنا، فقالَ عكرمةُ: لَئن كانَ اللهُ وَحدَه لا شريكَ لَه في البحرِ، إنّه كذلكَ في البَرّ، وَما أَسْمَعُنِي إذنْ فَرَرْتُ إلا مِن الحقّ، فَرَجعَ فَوَضَع يَده في يدِ رسولِ الله ﷺ، فقالَ: هذا مكانُ العائذِ، إن قَبِلْتَ قَبِلْتَ مُذنباً مُخطئاً، وإنْ عَفَوْتَ عَفَوْتَ عَن ذِي رَحِمٍ، فَشَهدَ شهادةَ الحقِّ، وَبَسَطَ رسولُ الله ﷺ يَدَه، فَبايَعه ﷺ.

* * *

حي بني جذيمة، وهو حي من كنانة[١]

ثُمَّ مَضَى خالدُ بنُ الوَليد إلى حَيٍّ مِن كِنانةَ بِالأبْرَقِ، يقالُ له: بَنو جَذِيمة، فَوَجَدَهم يُصَلُّون صلاةَ الغَداة، فلمّا نَظَرُوا إلى خالدٍ، وَفَرَغوا مِن صَلاتِهم تَعَوَّذُوا بالجبلِ، وَمعَ خالدٍ سَبْعُ مئةِ فارسٍ مِن بَنِي سُلَيم، لَيس مَعه مِن الأنصارِ رجلٌ غيرُ أبي قتادةَ بنِ أنس.

وَنادَى في بَنِي جَذِيمةَ رَجلٌ مِنهم: إنّه خالدٌ، فَغَشِيَهم خالدٌ، فقالَ: ما [٨٣ أ]
أنتم؟ فَقالوا: نَحنُ مسلمونَ، نَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَه لا شريكَ لَه، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، قالَ: فَمَتَى أسلمتُم إن كُنتم صادقينَ؟ قالوا: الليلةَ حينَ بَلَغَنا أن رسولَ الله ﷺ كفَّ يَدَه عَمَّن ألقَى السلاحَ وقالَ: لا إلهَ إلا الله، فَقُلْناها وَصَلَّيْنا.

فقالَ: اهْبِطُوا إن كُنتم صادقين، فقالَ رَجلٌ مِن بَنِي جَذيمة: يا معشرَ بَني جَذيمة، إنّه خالدُ بنُ الوليد الذي قَد عَلِمْتُم، وإنّه ليسَ بعدَ وَضْعِ السِّلاح إلا الإسارُ، وليسَ بعدَ الإسارِ إلا القَتل. قالوا: واللهِ ما نُطيعكَ، وَما نَحن مِن أضغانِ الجاهليةِ في شَيء، وَلَقد أسْلَمنا وَصَدَّقْنا، فَوَضَعوا السلاحَ وَنَزَلوا، فَأَمَر بِهم خالدُ بنُ الوَليد فَقُتِلُوا، فقالَ أبو قتادةَ بنُ أنس الأنصاريّ: يا خالد، لا أَلِي مِن قَتْل هؤلاءِ القومِ شَيئاً.

ثم انصرفَ أبو قتادةَ إلى رسولِ الله ﷺ فَأخبرَه الخبَرَ، فَوجدَ رسولُ الله ﷺ

---

(١) سقط العنوان من (ط).

مِن ذلكَ / وَجْداً شديداً، وأقبلَ خالدٌ يَسوقُ ذَراريَ بَنِي جَذِيمةَ إلى رسولِ الله ﷺ، فَلامَه رسولُ الله في ذلكَ مَلامةً شديدةً، فقالَ: يا رسولَ الله، لا تَلُمْنِي جَعَلَنِي اللهُ فِداكَ؛ فإنِّي إنَّما قَتَلْتُهم بآيةٍ أنزلَها اللهُ عَليك، قالَ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، يَعلمُ اللهُ عزّ وجلّ أنّي مِن المؤمنينَ، وأن القومَ قد كانوا وَتَرُوني[١]، فَشَفى اللهُ صَدري مِنهم، فَرَدَّ رسولُ الله ﷺ[٢] ذَرارِيَ بَنِي جَذِيمةَ وأموالَهم. [٩٠/ب]

ثُم دَعا رسولُ الله ﷺ أهلَ مكةَ للبيعةِ، رجالَهم قبلَ نِسائهم، فكانَ فِيمَن أتاه مِن الرجالِ عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى بنِ قَيس السَّهْمِي الشاعرُ الذي كانَ يَهْجُو النبيَّ ﷺ، فقامَ بينَ يَدَيه، فقالَ:

يـا رسـولَ المليكِ إن لِسـانِي ... راتِـقٌ مـا فَتَقْـتُ إذْ أنـا بُـورُ
إذْ أُجاري الشيطانَ فِي سَنَنِ الرِّيـ ... ـحِ وَمَـن مـالَ مَيْلَـه مَثْبُـورُ
آمَـنَ اللحـمُ والعظامُ بِمـا قُلْـ ... ـتَ فَنفسي الفداءُ وأنت النذيرُ

فقالَ لَه رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَنا: «حَسْبُكَ»، وبَسَطَ يَدَه فَبايَعه.

وَفَرَغَ رسولُ الله ﷺ مِن بَيعةِ الرِّجال، / ثُم دَعا النساءَ، ورسولُ الله ﷺ علَى الصَّفا، وَعمرُ أسفلَ مِنه يُبايعُ النساءَ[٣] لرسولِ الله ﷺ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أُبايِعُكُنَّ علَى أن لا تُشْرِكْنَ باللهِ شيئاً»، وَهِنْدٌ مُقَنَّعةٌ رأسَها بينَ النساءِ، قالت وَرَفَعَت رأسَها: واللهِ إنّكَ لَتأخذُ علينا أمراً ما رأيتُكَ أَخَذْتَه على الرّجال، وَقَد أعْطَيْناكَهُ. قالَ: «وَلا تَسرِقْنَ»، قالت: واللهِ إنّي لأُصيبُ مِن أبي سفيانَ هَناتٍ، [٩١/أ]

(١) كلُّ من أدركته بمكروه، فقد وَتَرْتَه. «لسان العرب»، مادة: وتر.
(٢) في الأصل: «فرد الله عز وجل ذراري».
(٣) في الأصل: «الناس».

فَما أدْرِي أيُحِلُّهنَّ أم لا، قالَ أبو سفيانَ: نَعم ما أصَبْتِ مِن شيءٍ فيما مَضى وفيما غَبَرَ فَهو لكِ حلالٌ. قالَ رسولُ الله ﷺ: «وإنَّكِ لَهندُ بنتُ عتبةَ؟» قالت: نَعم، فاعفُ عمّا سَلَفَ عَفا الله عَنك.

قالَ: «وَلا تَقْتُلْنَ أولادكُنّ»، قالت: لَقَد رَبَّيْناهم صغاراً، وَقَتَلْتُمُوهم بِبَدْرٍ رِجالاً، فَأنتم وَهم أعلمُ، فَضحكَ عمرُ رضيَ الله عنه حتى اسْتَغْرَبَ[1].

قالَ: «وَلا تَأْتينَ بِبُهتانٍ تَفْتَرِينَه بينَ أيديكنّ وأرجلكنّ»، قالَت: واللهِ إن البهتانَ لَشيءٌ قبيحٌ، وَلَبَعْضُ التجاوزِ أمْثَلُ، وَما أمَرْتَنا إلا بالرُّشْد وَمكارمِ الأخلاقِ. قالَ: «وَلا تَعْصِينَنِي في مَعروفٍ»، قالت: ما جَلَسْنا هذا المجلسَ ونحنُ نُحِبُّ أن نَعْصِيَكَ في شَيء. قالَ: «وَلا تَزْنِينَ»، قالت: أَوَتَزْنِي الحرّةُ؟! [٩١ ـ]

فأقرَّ النساءُ بما أخَذَ عَليهنّ رسولُ الله ﷺ، فَأمرَ عمرَ رضيَ الله عنه، فَبايَعَهُن، واستغفرَ لَهنّ رسولُ الله ﷺ.

فهذا [ما كانَ][2] مِن حديثِ فتحِ مكةَ[3].

* * *

(١) اسْتَغْرَب في الضَّحِك: أكْثَرَ منه. «لسان العرب»، مادة: غرب.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) في آخر اللوحة في الأصل ما نصه: «آخر السادس وأول السابع».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قصة حنين

قالَ: ثُم أقامَ رسولُ الله ﷺ بعدَ فَتح مكةَ بمكةَ لَيالِيَ، ثُم خَرَجَ إلى حُنَين، وذلكَ فِي رَمَضانَ، فسارَ حتى نَـزَلَ بِحِـذاء قُدَيْـدٍ، فَدَعـا بشـرابٍ، فَأُتِيَ بإناءٍ فيه شرابٌ، فَرَفَعه حتى أبصـرَه النـاسُ، ثُم شَـرِبَ مِنه ما شـاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يَشْرَبَ. ثُم نادَى مُنادِيه: أن مَن صامَ فَلا إثمَ عَليه، وَمَن أفطرَ فَلا إثمَ عليه.

وَبَلَغَ هَـوازِنَ أن رسـولَ الله ﷺ قَد تَوَجَّـه قِبَلَهم، فَبَعَثـوا فِيمَن يَلِيهم، فاجْتَمَعُوا بِحُنَيْن، وَأَتَتْهُم ثَقِيفٌ عليهم كِنانـةُ بنُ عَبـد ياليلَ بن عَمْـرو، وَقَدِمَ عليهم رسولُ الله ﷺ وَمَعه ناسٌ كثيرٌ، فقالَ رَجلٌ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ: لا نُغْلَبُ اليومَ لِكَثْرَتِنا، فَغضبَ رسولُ الله ﷺ غَضَباً شديداً، وفيها نَزَلَت هَذه الآيةُ: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]. [١/٩٢]

فلمّا تَواقعَ الناسُ انْكَشَفَ المشرِكون، وَأَجْلَوْا(١) عَن الذَّراري، وَأصابَ ناسٌ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ مِن نِسائِهم، ثُم تَنادَى المشركونَ: يا حُماةَ السّوء، اذْكُروا الفَضائحَ. فَتَراجعوا، فانْكَشَفَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ، فَمنهم مَن لَم يَتَناهَ دونَ مَكة، وَأُجْلِيَ عَن رسولِ الله ﷺ حتى تُرِكَ في عصابةٍ يسيرةٍ، فَمنهم أيْمَنُ ابنُ أم أيْمَنَ مَولى رسولِ الله ﷺ، فَضَرَبَ بينَ يَدَيه بالسيفِ، فأقبلَ

---

(١) جَلا القَوْمُ عن المَوْضِعِ، جَلا منه جَلْواً وجَلاءً، وأَجْلَوْا: تَفَرَّقُوا. «لسان العرب»، مادة: جلا.

رَجلٌ مِن جَمْعِ ثَقيفٍ لِيَقْتُلَ رسولَ الله ﷺ ـ زَعَم ـ، فوَقاه أيْمَنُ بنفسِه، فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ، فقَتَلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه.

وَأبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عَبد المطلبِ آخِذٌ بِلِجامِ بَغلةِ رسولِ الله ﷺ، والعباسُ بنُ عَبد المطلب آخِذٌ بالثَّفرِ[1]، وَأُناسٌ مِن الناسِ غيرُ كثيرٍ يُقاتِلُون عَن يَمينٍ وَشِمالٍ.

فنادَى العباسُ ـ وكانَ رَجُلاً صَيِّتاً ـ: يا معشرَ الأنصارِ، الذينَ آوَوْا وَنَصروا، يا مَعشر المهاجرينَ الذين بايَعوا تحتَ الشجرةِ، إن محمداً ﷺ حَيٌّ، فَهَلُمُّوا، وَصَوَّتَ صوتاً أسمعَ الفَريقَيْن كِلَيْهِما، فَأقبلوا يَسْعَى المؤمنونَ مِنهم والمشركونَ إلى [٩٢/ب] الصّوت، فاجتمعُوا عندَه، فاجْتَلَدُوا اجْتِلاداً شديداً حتى كَثُرَت القَتْلى مِن هؤلاء وَهؤلاء، ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

وَقَذَفَ اللهُ عز وجلّ في قلوبِ المشركينَ الرُّعْبَ، فانْهَزَمَ أعداءُ الله وَحُماتُهم، وَرَأْسُهُم يومئذٍ مالكُ بنُ عَوْفٍ النَّصْري، وَهو الذي يَقولُ لِفَرَسِه يومئذ:

أَقْـدِمْ مِحاجُ[2] إنّـه يومٌ نُكُر ... مِثْلي علَى مِثلك يَحْمِي وَيَكُرّْ
وَيَطْعُـنُ النَّجْلاءَ[3] تَعْـوِي وَتَهُرّْ

ثُم انكشفَ فِي أثَرِ أصحابِه، واتّبعهم المسلمونَ، فِيهم بَنُو سُلَيم سَبْعُ

---

(١) في (ط): «بالفرو»، وهو تصحيف، والثفر بالتحريك: ثَفَرُ الدابة، أي: السَّير الذي في مؤخر السرْج. «لسان العرب»، مادة: ثفر.

(٢) في (ط): «نجاح»، وهو تصحيف، ومِحاجُ: اسم فرسه، انظر: «أسماء خيل العرب وفرسانها» لابن زياد الأعرابي (ص١٤١).

(٣) طَعْنة نَجْلاء، أي: واسعة بيّنة النَّجل، «لسان العرب»، مادة: نجل.

مئةِ رَجُلٍ، وَهم الذينَ قَتَلوا بَنِي جَذِيمة، فَنادَوا: يا بَنِي تُكْمةَ[١]، ارْفَعُوا عَن إخوانِكم، فَأَبْطَؤُوا فِي الطَّلبِ وَكَفُّوا الرِّماحَ. فَسَمِعَها رسولُ الله ﷺ، فقالَ: «اللهم عليكَ بِبَنِي تُكْمة، أمّا فِي قَومي فَوَقْعاً وَقْعاً، وأمّا فِي قَومهم فَإبْطاءً وَرَفْعاً[٢]».

[٩٣/أ] فلمّا / سَمِعَ ذلكَ بَنو سُليم حَثُّوا الطلبَ، فَلَحِقَ رجلٌ مِن بَنِي سُلَيم، ثُم أحَدُ بَنِي حَبيبٍ دُرَيْدَ بنَ الصِّمّة الْجُشَمِيَّ وَهو في هَوْدَجٍ، خَرَجوا يَتَيَمَّنُونَ به، فَأَخَذَ السُّلَمي بِزِمامِ الناقةِ، فَأناخَها، فإذا هُو بشيخٍ كبيرٍ لا يَعْرِفه، فقالَ: إنِّي قاتلُك أيها الشيخُ. قالَ دُرَيد: هذا يومٌ لَم أغِبْ عَنه وَلَم أَشْهَده، فإنْ كُنتَ قاتلِي فَخُذْ سَيفِي مِن القِرابِ، فاطْعُن به طَعناً تَحتَ الشُّرْسُوفِ[٣]، وارْفَع عَن العِظامِ؛ فإنِّي كذلكَ كنتُ أقتلُ الرِّجالَ، ثُم ائْتِ أهْلَكَ فَأخْبِرهم أنّك قَتَلْتَ دُرَيدَ بنَ الصِّمّة، فَفَعَلَ كالذي وَصَفَ لَه.

فلمّا رَجَعَ الشابُّ إلى أهلِه، فَأَخْبَرَهم أنّه قَتَلَ دُرَيْداً، قالَت لَه أُمُّه: حُدَّتْ يَداكَ[٤]؛ إنَّما قالَ ذلكَ لِيَذْكُرَنا نِعَمَه علينا، وَقالت: وَمَحْلُفُوها باللهِ، لَقد أعْتَقَ لكَ ثلاثَ أُمهاتٍ في غَداةٍ واحدةٍ، أنا وَأُمِّي وأُمُّ أبيكَ. قالَ الفَتَى: يا أُمَّهْ، إن الإسلامَ قَطَعَ ما هُناكَ مِن النِّعَم عَمَّن كَذَّبَ وَتَوَلَّى.

فَبَعثَ رسولُ الله ﷺ فِي أَثَرِ رافضةِ هَوازنَ أبا عامرٍ الأشْعَرِيَّ في أناسٍ مِن الناس، فَلَقُوا جَمْعَ / هوازنَ بِأوطاس، فاقْتَتَلوا، فَقَتَلُوا أبا عامرٍ، وَهَزَمَ اللهُ المشركينَ. [٩٣/ب]

---

(١) تُكْمةُ بِنْتُ مُرٍّ، وهي أُمُّ السُّلَمِيِّين، «لسان العرب»، مادة: تكم.

(٢) في (ط): «دفعاً»، والمقصود رفع السلاح، أي: كفُّه.

(٣) في (ط): «الشرسف».

(٤) في (ط): «حرق الله يداك».

وَسُبِيَت الذَّراري مِن آخِرِها، فَقَسَمَها نَبِيُّ الله ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ، وَرَفَعَ الخُمُسَ، وَحَوَى(١) نبيُّ الله ﷺ نَعَماً كثيرةً وَشاءً، وَتَأَلَّفَ أُناساً مِن رُؤساءِ العَرَبِ، مِنهم أبو سفيانَ بنُ حَرْب، وَسُهَيْلُ بنُ عَمْرو، والأقرعُ بنُ حابسٍ الحنْظَليّ، وَعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزارِي، فَأَعْطاهم مئةً مئةً مِن الإبل.

وَأَعْطَى حَكيمَ بنَ حِزامِ بنِ خُوَيْلد القُرَشي سبعينَ مِن الإبل، فكَرِهَها، فقالَ حَكِيمٌ: ما أرَى يا رسولَ الله أن أحداً أحَقُّ بِشَرَفِ عَطائك مِنِّي، فزادَه عشْراً، فَأَبَى أن يَقْبَلَها، فَزادَه عَشْراً أُخرى، فَأَبَى أن يَقْبَلَها، فَأَتَمَّها له مئةً، فقالَ حَكيمٌ: يا رسولَ الله، أَعَطِيَّتُكَ هَذه التِي قَنِعْتُ بِها خَيْرٌ، أم الأُخْرَى التِي رَغِبْتُ عَنها؟ قالَ: «لا، بَل الأُخْرَى التِي رَغِبْتَ عَنها»، قالَ: يا رسولَ الله، لا آخُذُ غَيْرَها، ثُم لا أَرْزَأُ أحداً مِن الناس بَعدك شيئاً، قالَ: «باركَ اللهُ لكَ فِيها»، قالَ: فماتَ حَكِيمٌ يومَ ماتَ وَهو أكثرُ قُرَشِيٍّ على الأرضِ مالاً. [٩٤/أ]

قالَ: وَأَقْبَلَت هَوازنُ إلى رسولِ الله ﷺ، فَأَسْلَمُوا علَى رَدِّ الذَّرارِي، فقالَ لَهم رسولُ الله ﷺ: إذا خَرَجتُ إلى الناسِ فَتَدَلَّوْا(٢) بي على الناسِ، وَتَدَلَّوْا بالناسِ(٣) عَلَيَّ، ففَعَلوا، فَكَلّموا رسولَ الله ﷺ، فَرَدّ عليهم الخمُسَ، وَكَلّم لَهم الناسَ، فَرَدُّوا عليهم الخمُسَ، غَيْرَ صفوانَ بنِ أُميّةَ بنِ خَلَفٍ الْجُمَحِي؛ كانَ رسولُ الله ﷺ أعْطاه امرأةً مِن الخمُسِ، فَغَشِيَها، فَزَعَم أنها حَمَلَت منه.

فلمّا رَأَت الأنصارُ أن رسولَ الله ﷺ قَد أَفْشَى العَطايا في قريشٍ والمهاجرينَ، خافوا أن يكونَ رسولُ الله ﷺ يريدُ الرَّجْعةَ إلى قومِه، فَوَجَدوا مِن ذلكَ وجداً

---

(١) في (ط): «وجد».

(٢) في (ط): «فتقلوا»، يقال: دَلَوْتُ بفلان إليك، أي: اسْتَشْفَعْتُ به إليك، «لسان العرب»، مادة: دلا.

(٣) في (ط): «وتقلوا الناس».

شديداً، وَبَلَغَ رسولَ الله ﷺ أن الأنصارَ قَد وَجَدُوا مِن عَطاياه، فانطلَقَ رسولُ الله ﷺ إلى سعدِ بنِ عُبادةَ، فقالَ: «اجْمَع لي قومَك»، وَلا يَدْرِي سعدٌ ما يريدُ رسولُ الله ﷺ، فأرسلَ منادياً في الأنصارِ أن اجْتَمِعوا إلى رسولِ الله ﷺ في [٩٤ ب]
رَحْلِ سعدِ بنِ عبادة.

فاجْتَمَعت إليه الأنصارُ، وقامَ رسولُ الله ﷺ فَخَطَبهم، وقالَ: «يا معشرَ الأنصارِ، إنّه قَد بَلَغَنِي أنّكم قَد وَجَدْتُم فِي أنفسكم مِن عَطايا أعْطَيْتُها أناساً مِن الناس، أشْتَرِي بذلكَ دينَهم، أفَلا تَذْكُرُون يا معشرَ الأنصارِ أنّي أتَيْتُكم وَلا تَرْكَبُونَ فَرساً، وَلا تَخْرُجونَ مِن المدينةِ إلا بِخَفِيرٍ، وَأنتم اليومَ أفضلُ مَن بِحَضْرَتِكم مِن الناس؟» فَسَكَتُوا فلم يُجِيبُوه. قالَ: «ما لَكم لا تُجِيبُونِي؟» قالوا: رَضينا عَن الله وَعن رسولِه.

قالَ: «ألا تَقُولوا: والله لَقَد جِئْتنا طريداً فَآوَيْناك، وَخائفاً فَنَصَرْناك، وَفقيراً فَآسَيْناك، فإنْ تَقُولُوا ذلكَ فَقَد صَدَقْتُم». قالوا: رَضِينا عَن اللهِ وَعن رَسولِه، قالَ: «يا معشرَ الأنصارِ، ألا تَرْضَوْنَ أن يذهبَ الناسُ بالإبلِ والشّاءِ، وَتَرْجعُون برسولِ الله ﷺ إلى رِحالِكم؟» قالوا: بلَى، رَضينا برسولِ الله ﷺ، إنّما ظَنَنّاكَ حينَ أفْشَيْتَ العَطايا في قَومِك أنّك تريدُ الرَّجْعةَ إليهم، فَوَجَدنا مِن ذلكَ وَشَقَّ علينا، فَأمّا إذْ عَرَفْنا أنّك راجعٌ مَعَنا إلى المدينةِ، فإنّا لا نُبالِي كيفَ صَنعتَ في الأموالِ. قالَ لَهم رسولُ الله ﷺ: «والذي نَفْسِي بيدِه، لَو سَلكَ الناسُ وادياً [٩٥]
أو شِعْباً، وَسَلَكْتُم وادياً أو شِعْباً؛ لَسَلَكْتُ وادِيَكم أو شِعْبَكم».

فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ مِن خُطبته، قامَ إليه رَهْطٌ مِن الأنصارِ، فَقَبّلُوا يَدَه، فَقالوا: يا نَبِيَّ الله، قَد ذَكّرْتَنا نِعَماً لكَ علينا مُتَظاهِرةً، وَما لَم تَذْكُرْ أفضلُ، فَأنْتَ أَحَبُّ إلينا مِن المالِ.

ثُم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى رَحْلِه وَقَد أسْلَمَت هَوازِن، فَأمرَ رسولُ الله ﷺ بالجهازِ إلى الطائفِ مِن وَجْهِهِم ذلكَ.

فهذا [ما كانَ][1] مِن حديثِ غَزوةِ حُنَيْن.

* * *

---

(١) سقط من الأصل.

غزوة الطائف

قالَ: ثُمّ غزا رسولُ الله ﷺ الطائفَ، فَدَخَلَت ثَقيفٌ حِصْنَها، وَقاتَلوا الناسَ قِتالاً شديداً، فَخَرَجَ إليهم رِجالٌ من جِزبَتِهِم[١]، فَخَرَج إليهم أبو بَكْرة، وَأُصيبَ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أُناسٌ، وامْتَنَعُوا فِي حِصْنِهم، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بِكُرُومِ الطائفِ أن تُقْطَعَ، وَجَعَلَ على كلِّ رَجُلٍ مِن / أصحابِه قَطْعَ خَمْسِ حَبَلاتٍ[٢]، ومعَ رَسول الله ﷺ رَجلٌ مِن ثَقِيفٍ، يقالُ لَه: أبو مُزادِم[٣]، فَمَرَّ علَى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ بِفَأسِه، فقالَ: أين يا أبا مزادم؟ قالَ: أَمَرَ رسولُ الله ﷺ كلَّ رَجلٍ مِن المسلمينَ أن يَقْطَعَ خَمْسَ حَبَلات، قالَ: فاقْطَع مَعكَ حَبَلاتي يا أبا مُزادم، قالَ: نَعَم ولكَ أجْرُه. [٩٥/ب]

فَبَلَغَ ذلكَ عُيَيْنَةَ، فأقبلَ لِيُرْضِيَ رسولَ الله ﷺ، فإذا خَلْفَ رسولِ الله ﷺ أُم سَلَمةَ بنتُ أبي أُمَيّة، قالَ: يا رسولَ الله، مَن هَذه خَلْفَك؟ قالَ: «هَذه أمّ سَلَمةَ»، قالَ: وذلكَ قبلَ أن يُؤمَرَ نساءُ النبيِّ ﷺ بالحجابِ. قالَ عُيينة: إنّي أراها قَد دَخَلَت في السِّن، فَهل لكَ يا رسولَ الله أن أنْزِلَ لكَ عَن أشَبِّ نِساءِ مُضَرَ، وَأحْسَنِه، وَأكْرَمه حَسَباً، فَتَحَوّلَ عليها مكانَ هَذه؟ فَضَحكَ رسولُ الله ﷺ مِن قَوله، ثُم قامَ فَخَرج. قالَت أُم سَلَمةَ: يا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليكَ، مَن هَذا؟ قالَ رسولُ الله ﷺ: «هذا الأحْمَقُ المطاعُ».

---

(١) في (ط): «جريتهم»، والجِزْبةُ، بالكسر: المَزْرَعةُ. «لسان العرب»، مادة: جرب.

(٢) حبلات جمع حبَلة، وهي الكرم، وقيل: الأصل من أصول الكرم. «لسان العرب»، مادة: حبل.

(٣) كذا في الأصل مجوّداً، وفي (ط): «مرادم»، ولم أجده على التقديرَين، وقد يكون أبا مزاحم، ولم أجده في الصحابة أيضاً، فالله أعلم.

[١/٩٦] فَحاصرَ رسولُ الله ﷺ الطائفَ شَهراً، فلمّا استهلّ ذُو القَعْدة رجعَ مُعتمراً إلى مكةَ، فأقامَ بمكةَ لَيالِيَ، واسْتَخْلفَ علَى أهلِ مكةَ معاذَ بنَ جَبل الأنصاريَّ أخا بَنِي سَلِمةَ، وَأمَره أن يُعَلِّم الناسَ القرآنَ، وَيُحَدِّثَهم بِما حَرَّم الله على مَن كانَ مُسلماً، وَيُفَقِّهَ الناسَ في الدِّين، وَيُخْبِرَهم(١) بالذي لَهم في الإسلامِ، والذي عَليهم فِي الإسلام.

ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، وَذَكَر أنّه مُتَجهِّزٌ إلى الطائفِ إذا انسلخَ الأشهرُ الحرُمُ، وقالَ كعبُ بنُ مالك الأنصاريّ يُخَوِّف ثَقيفاً:

قَضَيْنا مِن تِهامةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُم أجْمَمْنا السُّيوفا
نُخَيِّرُها وَلو نَطَقَت لَقالت ... قَواطِعُهن: دَوساً أو ثَقيفاً
فَلَسْتُ بِحاضرٍ إن لم تَحُلُّوا ... بساحةِ دارِكم مِنا(٢) أُلوفا
وَتُنْتَزَحُ(٣) العروشُ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُتْرَكُ دارُكم مِنا(٤) خُلُوفا
وَيَأتيكم لَنا سرعانُ خَيْلٍ ... تَبادَر(٥) خلفها جَمْعاً كَثيفا
إذا نَزَلوا بِساحتكم سَمِعتم ... لوجهِ الأرضِ تَحْتَكم رَجِيفا(٦)

[١ــ ٩٨] فِي قولِ كَثيرٍ يَقُوله، فَلمّا بَلَغَ أهلَ الطائفِ أن محمداً يُريد العَوْدَ إليهم(٧)، وأُنشِدَ(٨) ما قالَ كَعبٌ؛ خافوا، فَبَعَثوا وَفْدَهم إلَى رَسول الله ﷺ يُريدونَ الصُّلح، فَقَدِمُوا على نَبيّ الله ﷺ المدينةَ، فَذَكَروا الصلحَ، فَقَبِلَه رسولُ الله ﷺ،

---

(١) في الأصل: «وأخبرهم».
(٢) في (ط): «منه».
(٣) في (ط): «وتنتزع».
(٤) في (ط): «منكم».
(٥) في الأصل: «يتبادر»، والموافق للوزن ما أثبته.
(٦) سقط هذا البيت من (ط).
(٧) في الأصل: «إليه».
(٨) في (ط): «وأنشدوا».

وقالَ: «عَلَامَ تُصالِحُونَ؟» قالوا: عَلى أن لا نُحْشَرَ[١] ولا نُعْشَرَ[٢] ولا نُجَبِّي[٣]، قالوا: وَتُمَتِّعُنا باللاتِ سَنةً.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنّه لا يَصْلُحُ دِينٌ ليسَ فيه ركوعٌ وَلا سجودٌ»، فَعاوَدوه[٤] في ذلكَ، فَأبى عَليهم إلا الصلاةَ، فَقالوا: فَإننا سَنُعْطِيكَها وإنْ كانَ فيها دَناءةٌ. قالَ رسولُ الله ﷺ: «وَلكم ما سَألْتُم خَصْلَتان، أن لا تُحْشَرُوا وَلا تُعْشَرُوا»[٥]، وَقالوا: وَتُمَتِّعُنا باللاتِ سَنةً؛ فإنّا لَن نُسْلِمَ إلا عَليها، فإنّا خَيْرُ نَجْدِكَ[٦] إسْلاماً، وَأشَدُّهم عليكَ حَدَباً[٧]. فأعرضَ عَنهم رسولُ الله ﷺ، ثُم

(١) قال ابن منظور: «وفي الحديث: أن وَفْدَ ثَقِيفٍ اشترطوا أن لا يُعْشَرُوا ولا يُحْشرُوا، أي: لا يُنْدَبُونَ إلى المغازي ولا تضرب عليهم البُعُوث، وقيل: لا يحشرون إلى عامل الزكاة ليأْخذ صدقة أموالهم بل يأْخذها في أماكنهم». «لسان العرب»، مادة: حشر.

(٢) قال ابن منظور: «أي لا يُؤخَذ عُشْرُ أموالهم، وقيل: أرادوا به الصدقةَ الواجبة، وإنما فَسَّح لهم في تركها لأنها لم تكن واجبةً يومئذ عليهم، إنما تَجب بتمام الحَوْل. وسُئِل جابرٌ عن اشتراط ثَقِيف: أن لا صدقةَ عليهم ولا جهادَ فقال: عَلِم أنهم سيَصَّدقون ويجاهدون إذا أسلموا». «لسان العرب»، مادة: عشر.

(٣) في الأصل: «نحني»، وفي (ط): «ونجني»، والصواب ما ذكرت، قال ابن منظور: «وفي الحديث: أن وَفْدَ ثَقِيفٍ اشْتَرَطوا على رسول الله ﷺ ألّا يُعْشَروا ولا يُحْشَروا ولا يُجَبُّوا، فقال النبي ﷺ: «لكم ذلك، ولا خَيْرَ في دِينٍ لا رُكُوعَ فيه»، أصل التَّجْبِيَة أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وقيل: هو السجود، قال شَمِر: «لا يُجَبُّوا»، أي: لا يَرْكعوا في صلاتهم ولا يسجدوا كما يفعل المسلمون، والعرب تقول: جَبَّى فلان تَجْبِيةً؛ إذا أكَبَّ على وجهه باركاً أو وضع يَدَيه على ركبتيه منحنياً وهو قائم». «لسان العرب»، مادة: جبى.

(٤) في الأصل: «فعاتبوه».

(٥) في (ط) زيادة: «ولا تجنوا».

(٦) في (ط): «من تخدع».

(٧) في الأصل: «حربا»، والصواب المثبت من (ط)، قال ابن منظور: وحَدِبْتُ عليه حَدَباً، أي: أشْفَقْت عليه. «لسان العرب»، مادة: حدب.

عاوَدوه، فَقالوا: ما تَرَى في اللاتِ؟ فَأعرضَ عَنهم حتى رَأَوْا أن قَد هَمَّ أن يُرَخِّصَ لَهم فيها.

[١٩٩ أ] فقامَ رجلٌ مِن الأنصارِ ـ يَزعمونَ أنه / حارِثةُ بنُ النُّعمان ـ فقالَ: أشْعَرْتُم[١] رسولَ الله ﷺ بِذِكركم اللاتَ، أشْعَرَ[٢] اللهُ أكْبادَكم، إن نبيَّ الله ﷺ لا يُقِرُّ عبادةَ الأوثانِ في أرضِ الإسلامِ، وليسَ بِمُسلمٍ مَن رَضِيَ بإقرارِ اللاتِ بينَ أظْهُرِهم، فاتقوا اللهَ، واجْعَلُوا إسْلامَكم لله عَز وجلّ خالصاً. قالوا: فَلا نَكْسِرُها إذنْ بأيدينا، وَلْيَكْسِرْها مَن شاء، فَوَلَّى كَسْرَها ـ كَما يَزْعُمُون ـ المغيرةَ بنَ شُعبة.

فقالَ عمر بنُ الخطّـاب: يا رسولَ الله، أتَجْعَلُ لَهم أن لا يُحْشَرُوا وَلا يُعْشَرُوا؟ قالَ نَبيُّ الله ﷺ: «إنّي كَتَبْتُ عَليهم في آخرِ صَحِيفَتِهم أن لَهم ما لِلمُسلم، وَعَليهم ما علَى المسلمِ». واكْتَتَبُوا أن بَلَدَهم حرامٌ كَحرْمةِ البيتِ؛ صَيْدُه وَعِضاهُه وَطَلْحُه، وَأنّه مَن وُجِدَ يَفْعَلُ مِن ذلكَ شَيئاً نُزِعَت ثِيابُه وَجُلِدَ، فِي شَرْطٍ كثيرٍ اشْتَرَطُوا علَى رسولِ الله ﷺ، وَكَتَبَ الشَّرْطَ بَينهم خالدُ بنُ سَعيد بنِ العاصي بنِ أُمَيّة.

فكانَ هذا مِن حديثِ غَزوة الطائفِ.

* * *

---

(١) في (ط): «أسعرتم»، قال ابن منظور: «أشْعَرَه فلانٌ شَرّاً: غَشِيَهُ به. ويقال: أشْعَرَه الحُبُّ مرضاً». «لسان العرب»، مادة: شعر، وأسعرتم أيضاً صحيح، قال ابن منظور: «سَعَرَ القوم شَرّاً وأسْعَرَهم وسَعَّرَهم: عَمَّهُمْ به». «لسان العرب»، مادة: سعر.

(٢) في (ط): «أسعر».

غزوة تبوك

قالَ: فَمَكثَ رسولُ / الله ﷺ بالمدينةِ ما شاءَ اللهُ أن يَلْبَثَ، ثُم أمرَ الناسَ أن يَتجهزُوا إلى الشامِ في حَرٍّ وَعُسْرةٍ مِن الناسِ، فَشَقَّ ذلكَ عَليهم، فاستأذنَ نَبيَّ اللهِ ﷺ أُناسٌ مِن الناسِ، مِن بَيْنِ غَنيٍّ مُنافقٍ، وَمُؤمنٍ لا يَجدُ شيئاً، فَأمرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ عندَ جَهازِهم أن يَجْمَعوا صَدَقةَ أموالِهم لِيُجَهِّزَ بِها مَن لا يَجِدُ ثِباتاً(١). [٩٦ ب]

[وَكانَت تَبوكُ غَزوةُ الشَّام سنةَ تِسْعٍ](٢)، فَأَعْظَمَ الناسُ النفقةَ، فَجَهَّزُوا بها الفُقراء، وَجَعلَ الرجلُ مِن ذَوِي المَيْسَرةِ يَحْمِلُ الرهطَ مِن فُقراء قومِه، فأقبلَ عبدُ الله بنُ مُغَفَّلٍ المزنيُّ فِي رَهطٍ، فَسألوا رسولَ الله ﷺ الْحُمْلانَ، فقالَ: «لا أجِدُ ما أحْمِلُكم عليه»، فَتَوَلَّوْا وَلَهُم نَشِيجٌ، فَعَذَرَهم اللهُ فِيمَن عَذَرَ مِن أهلِ العُذرِ.

وقالَ رسولُ الله ﷺ ـ لِيُحَرِّضَ الناسَ، وَيُحَبِّبَ الجهادَ إليهم، وَيُنَشِّطَهم لَه ـ: «تَسارَعوا مَعي إلى الشامِ؛ لَعلَّكم أن تُصيبوا بَناتِ الأصْفَر»، وكانَ الأصفرُ ـ فيما يَزْعُمونَ ـ رَجُلاً مِن هذهِ السُّودان، مَلِكاً في الرُّوم، فَتَزَوَّج مِن نِسائهم، / فَوُلِدَ لَه رِجالٌ ونساءٌ لُعْسٌ(٣)، لَم يُرَ مِثْلُهن قَطُّ، إنَّما كُنّ مَثَلاً في الحُسْنِ. [٩٧/أ]

---

(١) الثِّباتُ: سَيْرٌ يُشَدُّ به الرَّحْل، وجَمْعُه أَثْبِتة. ورَحْلٌ مُثْبَت: مَشْدُود بالثِّباتِ. «لسان العرب»، مادة: ثبت.

(٢) سقط من (ط).

(٣) شَفة لَعْساء، وفِتْية ونسوة لُعْس، قيل: هو سواد في حمر. «لسان العرب»، مادة: لعس.

فَلَمّا ذَكَر لَهم رسولُ الله ﷺ بَناتِ الأصفرِ قامَ جَدُّ بنُ قَيْسٍ ـ رَجلٌ مِن الأنصار ـ فقالَ: يا رسولَ الله، قَد عَلِمَت الأنصارُ إعْجابي بالنساءِ، وأخافُ إن غَزَوْتُ مَعَك فَرأيتُ بناتِ الأصفرِ أن أُفْتَتَنَ بهنّ، فَأْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنّي، يَقولُ الله: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

فلمّا فَرَغَ الناسُ مِن جَهازِهم خَرَجوا مُتَوَجِّهين إلى الشّام، فلمّا هَبَطُوا تبوكَ بَلَغَ نَبيَّ الله ﷺ أن القومَ الذينَ أرادَهم قَد رَجَعوا إلى عُظْمِ الرُّوم بدمشق وَذَواتِها، وأقامَ رسولُ الله ﷺ بتبوكَ شَهْرَيْن يَنْزِلُ عَليه القرآنُ يَعِيبُ مَن تَخلَّفَ، وَيُسَمِّيهِم مُنافقين، وَجَعَلهم نَجَساً.

فلمّا تَكلَّم رسولُ الله ﷺ بِما أنزلَ اللهُ عليه في شأنِ المنافقينَ غَضِبَ لَهم إخوانُهم الذينَ مَعه، فَقالوا: والله، لَئِنْ كانَ ما يَقولُ محمدٌ ﷺ حَقّاً / لإخواننا الذينَ بَعدَنا وَهم أشرافُنا وَخِيارُنا، لَنَحْنُ إذنْ أشَرُّ مِن الحمُر! وقالَ عامرُ بنُ قَيس أخُو بَني عَمْرو بن عَوفٍ لِلْجُلاسِ بنِ سُويد بن صامتٍ مِن بَنِي عَمرو: أجَل، واللهِ إن مُحمداً ﷺ الصّادِقُ المصَدَّقُ[1]، وَلأنْتَ شَرٌّ مِن حِمارٍ. [٩٨/ب]

فانطلقَ عامرُ بنُ قيس، فَذَكَر قولَ الْجُلاسِ وأصحابه لِعاصِمِ بنِ عَدِي، فَذَكَرَ عاصمُ بنُ عَدِيٍّ لرسولِ الله ﷺ الذي ذَكَرَ لَه عامرٌ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى الجُلاسِ وأصحابِه، فَذَكَرَ لَه الذي قالُوا، فَحَلَفُوا بالله ما ذَكَرْنا مِن ذلكَ شَيئاً، وَقالوا: اجْمَع بيننا وبينَ مَن قاله، فَأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عامرِ بنِ قَيس، فَحَلَفَ باللهِ عامرٌ: لَقَد قالوا وَأعْظَمَ منه، قالوا: وَما قالوا؟ قالَ: زَعَموا أنّهم يُريدونَ قَتْلَكَ، فَنَفَرَ[2] الْجُلاسُ وأصحابُه، فَقالوا: نَحْلِفُ بالله إنّك لَمِن الكاذِبين، ما تَكلَّمْنا بشَيءٍ مِن هذا قَطُّ.

---

(١) في (ط): «الصادق مصدق».

(٢) في (ط): «فأنكر».

قالَ رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا فاحْلِفُوا»، فَحَلَفَ الْجُلاسُ وأصحابُه أن عامراً لَكاذبٌ، ثُم قامَ عامرٌ فَحلَف باللهِ إنّه لَصادِقٌ وَقد قالُوه، ثُم رَفَعَ يَدَيه إلى السماءِ، فقالَ: اللهمّ أَنْزِلْ عَلَى نَبِيِّكَ الصّادقِ المصدَّقِ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «آمِين»، [٩٦/ب]
فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤].

فَتابُوا واعترفوا بالذَّنب، وَأقبلوا إلى التوبةِ، فانصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، فَبينما هُو يَسِيرُ وَرَهْطٌ خَمْسةٌ أو سِتّةٌ يَسِيرُون بينَ يَدَيه إذا هُم يَخُوضونَ في آياتِ الله، وَيَسْتهزئونَ بها وَيَلْعبونَ، فَأَوحَى اللهُ تعالى إلى نَبِيِّه ﷺ بأمْرِهم، فَأخبرَ به نبيُّ الله ﷺ أصحابَه، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

فأرسلَ رسولُ الله ﷺ رَجُلاً مِن أصحابِه، فقالَ: «أَدْرِكْهُم فَسَلْهُم: ما يَقولونَ وَهم يَضْحَكون؟» فَأدرَكهم الرَّجلُ، وإذا رَجلٌ يُسايرُهم لا يَدْري ما يَقولونَ، قالَ لَهم رسولُ رسولِ الله: مِمَّ تَضْحَكون؟ وَما تَقولون؟ قالوا: بعضَ ما يَخوضُ فيه القومُ إذا سارُوا، قالَ الرجلُ: صَدَقَ اللهُ وَبَلَّغ الرسولُ، [٨٩ ب]
عَلَيكم غَضَبُ الله، هَلَكْتُم أهْلَكَكُم الله، ثُم انصرفَ الرَّجلُ إلى رسولِ الله ﷺ فقالَ: صَدقَ اللهُ وَبَلَّغَ الرّسولُ، فأقبلَ القومُ يَعْتذرون، فأنزلَ الله تَعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٦]. فأقبلَ الرجلُ الذي كانَ يُسايرهم، فقالَ: أَحْلِفُ باللهِ يا رسولَ الله ما سَمِعْتُ كَلامَهم، وَما أدري ما كانوا يَقولون.

فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ الثّنيةَ نادَى مُنادي رسولِ الله ﷺ أن خُذُوا بَطْنَ الوادي؛

فَهو أوسعُ عَلَيكم؛ فإنّ رسولَ الله ﷺ آخِذٌ الثَّنيَةَ، يَكْرَهُ أن يُزاحِمَه أحَدٌ فيها، فَسَمِعها ناسٌ مِن المنافقينَ، فَتَخلَّفوا حتى تَقَدَّمَ[١] الناسُ، فَأخذَ رسولُ الله ﷺ الثنيةَ وَمَعه رَجلانِ مِن أصحابِه، فاتَّبَعه الرهطُ المنافقونَ، فَسَمِعَ رسولُ الله ﷺ جَرْسَهم ـ يَعْنِي صَوْتَهم ـ فقالَ لِصاحِبَيْه[٢]: «ما هذا الجرْسُ خَلْفِي؟» فأقبلَ إليهم، فَضَرَب رَواحلَهم حتى انْحَدَرَت في الوادِي، ثُم لَحِقَ رسولَ الله ﷺ، فقالَ لَه: «هَل عَرَفْتَ القَومَ؟» قالَ: ما كَلَّمَنِي مِنهم أحَدٌ، رَأيْتُهم مُلَثَّمينَ، ولكنّي قَد عَرَفْتُ عامةَ الرَّواحلِ.

فَهَبَطَ رسولُ الله ﷺ مِن الثَّنيةِ، فقالَ لِصاحِبَيْه: «هَل تَدْرِيان ما كانَ أرادَ
بِي القومُ؟» قالا: / اللهُ ورسولُه أعلمُ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «فإنّهم أرادوا [٩٠/أ]
أن يَزْحَمُونِي في الثَّنيّة، ثُم يُوطِئُونِي رِكابَهم»، قالا: أفَلا تَضْرب أعناقَهم يا
رسولَ الله إن اجتمعَ إليكَ الناسُ؟ قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنّي أكْرَهُ أن يَتحدَّثَ
العربُ أن محمداً وَضَعَ يَدَه في أصحابِه يَقْتُلهم».

وَقَد كانَ تَخلَّفَ عَن رسولِ الله ﷺ سِتّةُ رَهطٍ بالمدينةِ لَم يَكونوا مُنافقين، وَلَم يُؤْذَن لَهم.

فَأمّا ثَلاثةٌ مِنهم فَلامُوا أنفسَهم ملامةً شديدةً، وَقالوا: ما صَنَعْنا؟! مَكَثْنا في الكِنّ والطُّعْمِ وعندَنا النساءُ، ورسولُ الله ﷺ في الضَّيْمِ والرِّيح! هَلَكْنا وَرَبّ الكَعبة، إلا أن يُنزِلَ اللهُ تَعالى لَنا عُذراً. فَأوْثَقُوا أنفسَهم بِسَواري المسجدِ، وَأقسموا باللهِ: لا يَحُلُّونَ أنفسَهم مِن وَثاقِهم حتى يكونَ رسولُ الله ﷺ هُو يَحُلُّهم، مِنهم أبو لُبابَةَ بنُ مروانَ مِن بَنِي عَمرو بنِ عوف مِن الأنصارِ، [وأوسُ ابنُ ثَعلبةَ، وَوَدِيعةُ بنُ خِذام][٣].

---

(١) في (ط): «تصرم».
(٢) في (ط): «لأحد أصحابه».
(٣) سقط من (ط).

فَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وكانَ طريقُه في المسجدِ، فأبصرَ النَّفرَ مُوثَّقينَ، فقالَ: «ما هَؤلاءِ؟» / فَأُخْبِرَ بهم، قالوا: يا نَبيَّ الله، إنَّهم أقْسَمُوا [٨٣ ب] باللهِ لا يَحُلُّونَ أنفسَهم حتى تكونَ أنتَ تَحُلُّهم، قالَ: «وَأنا أُقسِمُ باللهِ لا أَحُلُّهم حتى أُومَرَ بذلكَ»، فَأنزلَ اللهُ عزّ وجلّ عُذْرَهم على نَبيِّه ﷺ، فقالَ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وَ«عَسَى» مِن الله واجبةٌ.

فَأطلقهم رسولُ الله ﷺ عندَ ذلكَ، فانْطَلقوا إلى بُيوتِهم، فَجاؤوا بِأموالِهم، فَقالوا: يا نَبيَّ الله تَصَدَّق بِها عَنّا، واسْتَغْفِرْ لَنا، فقالَ: «ما أنا بآخِذٍ منها شيئاً إلا أن أُومَرَ به»، فَأنزلَ اللهُ عز وجلّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأمّا الثلاثةُ الآخَرون فَلم يَنْزِل فيهم شَيء، فقالَ الناسُ: هَلَكُوا؛ إذْ لَم يَنزِل لَهُم عُذْرٌ، فَلَقُوا أمراً كادُوا يَهْلِكُون منه، معَ أن أصحابَ نَبيِّ الله ﷺ لا يُكَلِّمُونَهم وَلا يُجالِسُونَهم وَلا يُخالِطونَهم في شَيءٍ، فَدَعَوا رَبَّهم أن يُنْزِلَ عُذْرَهم علَى نَبيِّه ﷺ فَفَعل، فَذَكر في التوبةِ علَى المؤمنينَ، حتى خَلَصَ إليهِم، فقالَ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]. / منهم كَعْبُ بن مالك، وَمُرارةُ [٨٤ أ] ابنُ رَبيعة(١)، وَهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ، وَكُلُّهم مِن الأنصار.

فأقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينةِ لَياليَ، واجتمعتْ إليه وُفودُ العَرب، وَكَلَّمه أبو بَكر وعمرُ فَقالا: يا رسولَ الله، قَد اجْتَمَعَت إليكَ وُفود العَرب، فالْبَس الْجُبّةَ الَّتي أهداها لكَ الرُّومي، فَلْيَرَى الناسُ زينةً حسنةً؛ لِيَكُونَ أحرصَ لَهُم

(١) كذا في الأصل، وقد قيل بذلك.

علَى الإسلام. قالَ: «أفْعَلُ وايمُ الله، لَو اجتمعَ علَى أمرٍ رَأْيُكُما ما عَصَيْتُكُما في أمرٍ أبداً، ولكنَّه اختلفَ عَلَيَّ أمْرُكما، وَلَقد ضَرَب اللهُ عزّ وجلّ لِي مَثَلَكُما في الملائكةِ والأنبياءِ؛ فأمّا أنتَ يا ابنَ الخطابِ، فإنّ الله عزّ وجلّ ضَرَبَ لي مَثَلَك في الملائكةِ كَجبريلَ عليه السلامُ إذا أرادَ الله عزّ وجلّ هَلاكَ قَوم بَعَث إليهم جبريلَ، وَضَرَب لِي مَثَلَك في الأنبياءِ كَنُوح؛ قالَ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وَأمّا أنتَ يا ابنَ أبي قُحافة، فإنّ اللهَ عزّ وجلّ ضَرَبَ لي مَثَلك في الملائكةِ كَمِيكائِيلَ عليهِ السلامُ، يَسْتَغْفِرُ لِمَن في الأرضِ، وَيسألُ لَهم الرِّزق، وَضَرَب لي مَثَلك في الأنبياءِ كإبراهيمَ؛ إذْ قالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

[٨٤ ب] فَلَبِسَ رسولُ الله ﷺ تلكَ الجبّةَ ـ وهي جُبّةٌ مِن سُندس ـ ثُم لَم يَعُدْ لَها بعدَ ذلكَ اليوم، ثُمَّ أمرَ رسولُ الله ﷺ بالحجِّ، وَلَم يَحُجَّ رسولُ الله ﷺ عامَئِذٍ، كَرِهَ أن يَحُجَّ معَ المشركينَ، وَقَد كانَ لَهم ذلكَ، فَأمَّرَ أبا بَكر رضيَ الله عنه علَى الحاجِّ، وَأمَرَ أن يُنبَذَ يومَ النحرِ إلى كُلِّ ذِي عَهدٍ عَهْدَهُم، إلا مَن أقامَ الصلاةَ وَأدّى الزكاةَ.

وَأوْصَى بوَصيةٍ فِيهم كيفَ [يقول وكيف يفعل](١)، فانطلقَ أبو بَكر رضيَ الله عَنه علَى المَوسمِ، فلمّا كانَ يومُ النحرِ اقْتَرَأ أبو بَكر علَى المشركينَ بِمِنىً تسعَ آياتٍ مِن أولِ «بَراءة»، فَجَعَل لِمَن كانَ لَه عهدٌ مِن المشركينَ أن يَسِيحُوا أربعةَ أشهر: عشرينَ يوماً مِن ذي الحجّة، والمحرَّمَ، وصَفر، وشهرَ رَبيع الأوّل، وَعَشراً مِن رَبيع الثّاني، ثُم يُقتَلُوا حيثُ ثُقِفُوا، وَمَن لَم يَكُن لَه عَهدٌ، ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]. فَغَضِبَ مَن كانَ لَه عَهدٌ،

---

(١) كلمتان في الأصل غير واضحتين، وهما بياض في (ط)، ولعل الصواب ما أثبت.

وَقالوا: لَم يُسَيِّحْنا محمدٌ أربعةَ أشهر، وقالُوا: بَرِئَ مِنّا محمدٌ وأصحابُه، إلا مِن الضَّرْب والطَّعن./ [٨٥ أ]

وَأمَرَ اللهُ عزّ وجلّ رَسولَه ﷺ، وَأوصَى رسولُ الله ﷺ أبا بَكر أن لا يَقْرَبُوا المسجدَ الحرامَ بعدَ عامِهم هذا، فَأمَرَ بِهم أن تُؤْخَذَ عِيرُهم، وَيُقْتَلُوا حيثُ وُجِدُوا، وَيَقْعُدُوا لَهم كُلَّ مَرْصَد. فأرسلَ المشركونَ إلى أهلِ مكة أن محمداً قَد نَفانا عَن الكعبةِ، وَأمَرَ بالعيرِ أن تُؤْخَذَ، وَيُقْتَلَ مَن كانَ فيها، وقالوا: سَتَعلمونَ ما تَلْقَوْنَ مِن الجوعِ والجهْدِ إذا فَقَدْتُم العِيرَ التِي كانَت تَحْمِلُ إلَيكم. فخافَ أهلُ مكةَ العَيْلَةَ، فأنزلَ الله عزّ وجلّ في المشركينَ: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨].

وكانَ قَد أسلمَ أهلُ اليمن، فَحَمَل أدنى أهلِ اليَمن إلى مكةَ الطعامَ، فَأغناهم اللهُ به، كَما كانت تَحمِلُ إليهم العيرُ، وَصَدَقَهم اللهُ ما وَعَدَهم، وَأغناهم مِن فَضْله كما قالَ، فَلم يَلْبَثُوا إلا يسيراً حتى أسلمَ أهلُ تِهامة كُلُّهم، فَهذه أولُ حَجّةٍ حَجَّها المؤمنونَ.

ثُم أقامَ المؤمنونَ بمكةَ بعدَما صَدَروا مِن الحجّ، ثُم بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيّة معَ خالدِ بنِ الوليدِ إلى بَنِي أَسَدِ بن خُزَيْمةَ، وَبَلَغَ بَنِي أسدِ الخبَرُ أن [٨٥/ب] رسولَ الله ﷺ بعثَ إليهم جَيْشاً. وكانَ فِيهم رَجلٌ يَتَكَهَّن، يقالُ لَه: طُلَيْحةُ ابنُ خُويلد الفَقْعَسِي، فَأتَوه فذَكَروا لَه أن جيشاً يَغْزُوهُم، وَقالوا لَه: تَكَهَّنْ لَنا، فَسَجَّى ثوباً أبيضَ، فقالَ: هَل في القومِ رَجُلانِ على فَرَسَيْن أغَرَّيْن مِن بَنِي عَمْرو بنِ كَعب؟ قالوا: نَعم، قالَ: ايتُونِي بِهما، فَبَعَثهما طَلِيعةً، وَسَجَّى عليه ثَوبه ساعةً، ثُم انكشفَ عَنه، فَقالوا: ما رأيتَ؟ قالَ: رأيتُ صاحِبَيْكُم يَكْرُدانِ[١]

(١) كَرَدَهُمْ، يَكْرُدُهُم كَرْداً: ساقَهم وطَرَدَهم ودفَعهم. «لسان العرب»، مادة: كرد.

الجيشَ، وَيأتُونكم الآنَ وَأنتم مُنهزمون، فَنادُوا في الظُّعُنِ(١)، فانْسَلُّوا بِها(٢).

وَصَفَّت مَعه مُقاتِلةُ القَومِ حتى أتاهم المسلمونَ، فنَزَلوا بِهم فاقْتَتلوا قِتالاً شَديداً، فانْهزمَ أعداءُ الله، واتَّبَعهم المسلمونَ، فَلَحِقَ عُكاشةُ بنُ مِحْصَن الأسديُّ طُلَيْحَةَ بنَ خُويلد، فقالَ: يا طُليحةَ، أينَ الفرار؟ قالَ طُليحة: فَمَن أبى(٣)، فَمات هُزالاً. فأقبلَ إليه، فاختَلَفا طَعْنَتَيْن، فطَعنه طليحةُ / فقَتله، وَقتلَ [٨٦ أ] مَعه ثابتَ بنَ أرْقَم، فعندَ ذلكَ يقولُ طُلَيحة:

نَصَبْتُ لَهم صَدْرَ الْجِمالةِ إنّها مُعـاودةٌ قِيـلَ الكُمـاة نَـزالِ
فَيوماً تَراها في الجِلال مَصونةً ويوماً تَراها تَحـت ظِلٍّ عَوالِ
عَشـيةَ غادَرت ابنَ أرقم ثاوياً وعكاشـةَ الغَنْمِيّ عند مجال
فَما ظَنكـم بالقومِ إذْ تَقْتلونَهم أليسُـوا وإن لَم يُسلموا بِرجالِ
فـإنْ تَكُ أذواذٌ أُصِبْنَ ونسـوةٌ فَلَن يَذْهَبوا فَرْغاً(٤) بِقَتْل حِبالِ

وَحِبـالُ: ابنُ أخيه، أخَذَه المسلمـونَ، فَعَرَضوا عليه الإسـلامَ وَهو غلامٌ شابٌّ، فَأَبَى عَليهم، قالَ: اقْتُلوني، وَلا تُرُوني مُحمدَّكم؛ فإنّه لا حاجةَ لي فيهِ. فقَتَلوه، فانصرفَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ بغنيمةٍ حَسنة، فلمّا بلغَ رسولَ الله ﷺ قَتْلُ عكاشةَ قالَ: «لَعنَ الله قاتلَ عكاشةَ». فَلَم يَشْهَد مِنهم رَجلٌ في سبيل اللهِ(٥).

* * *

(١) في (ط): «فبادروا في الطعن»، وهو تصحيف، والظُّعن جمع ظَعينة، وهي المرأة في الهودج. «لسان العرب»، مادة: ظعن.

(٢) في (ط): «فسلموا بها»، والانسلال: الانطلاق في استخفاء. «لسان العرب»، مادة: سلل.

(٣) في (ط): «فمن أنا».

(٤) في (ط): «فرعاً»، ومعنى «فرغاً»: هَدراً.

(٥) يعني هذا آخر ما وقع فيه القتال بين أعداء الله والمسلمين زمن حياة النبي ﷺ.

قصة حجة الوداع

ثُم حَضَرَ المَوسمُ، فَنادى رسولُ الله ﷺ / في الناسِ بالحجِّ، وقالَ: «إنّي [٨٦ ب] حاجٌّ(١)»، فَحَجَّ الناسُ معَ رسولِ الله ﷺ، وَأهْدَى رسولُ الله ﷺ مئةَ بَدَنةٍ، فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مكةَ بَلَغَنا أنَّه أمَرَ مَن لَم يَكُن أهْدَى إلى البيتِ أن يَحِلَّ، وَيَجْعَلَها عُمرةً، وَمن كانَ أهدى فَلْيُتِمَّ حَجَّه، وَأمَرَ مَن أهلَّ أن يُحرمَ بِحَجّة، وَيُهْدِيَ ما استيسرَ(٢).

وَيزعمون أن رسولَ الله ﷺ قالَ بعدَ ذلكَ: «أنا أمَرْتُ الناسَ بِهذا، وَلا يَكُن(٣) لأحدٍ بَعدي»، فَقَضَى رسولُ الله ﷺ حَجَّتـه والمؤمنونَ، وَنَحرُوا الهدْيَ. ويزعمونَ(٤) أن رسولَ الله ﷺ نَحَرَ بِيَده مِمّا أهدى سِتينَ بدنةً، ثُم قطَعَ مِن كلِّ بدنةٍ بضْعةً، فَأمَرَ بِها فَجُعِلَت في قِدْرٍ، فَأكلَ مِنها، وَأمَرَ الناسَ أن يَأكلوا وَيُطْعِمُوا.

وحجَّ المسلمونَ ليسَ مَعهم مُشركٌ، فأنزلَ الله عزّ وجلّ على نبيّه ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]./ [٨٧ أ]

وَكانت هَذه الآيةُ وآيٌ مِن القرآن مِن آخرِ ما أنزلَ اللهُ عزَّ وجل علَى نَبيّه ﷺ، وَكانت حَجَّته هذه حَجةَ الوَداع، ثُم خَطَب رسولُ الله ﷺ بِمِنىً، ثم لَم يَشْهَد الحجَّ بعدَ ذلكَ العام حتى قَبَضه الله عزَّ وجل، فقالَ: «يا أيّها الناسُ، اسْمَعُوا قَولي؛ فإنّي لا أدْرِي لَعَلّي لا ألْقاكُم بعدَ عامي هذا في هذا الموقِف. يا أيّها

---

(١) في (ط): «خارج».

(٢) في (ط): «ما استيسر من الهدي».

(٣) في (ط): «يكون».

(٤) في (ط): «فزعموا».

الناسُ، إن دِماءَكم وأموالَكم عَليكم حرامٌ، كَحِرْمةِ يومكم هذا، في بَلدكم هذا، وَكحرمةِ شَهركم هذا، وَقد بَلَّغْتُ، فَمَن كانت عِنده أمانةٌ فَلْيُؤَدِّها إلى مَن ائْتَمَنه عَليها، وإنَّ كُلَّ رِباً موضوعٌ كُلُّه، وإنَّ أولَ رباً تُوضع رِبا عَباسٍ.

وَكلُّ دمٍ كانَ في الجاهليةِ فَموضوعٌ كلُّه، وإنّ أولَ دِمائكم أن أضَعَ دِماؤُنا، دمُ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عَبد المطلب»، وكانَ مُسْتَرْضعاً في بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلته هُذَيل، أولُ ما يُبْدَأ به مِن دماء الجاهليةِ.

«وإنَّ الزمانَ قَد استدارَ كَهَيئَتِه يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، وإنّ عِدّةَ الشهورِ عندَ الله اثْنا عَشرَ شهراً فِي كتابِ الله يومَ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ، [٨٨/ب] منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثَلاثةٌ متواليةٌ، وَرَجَبُ مُضَرَ الذي بينَ جُمادى وَشعبانَ.

يا أيّها الناسُ، إن لَكُم علَى نِسائكم حَقّاً، ولهنّ عليكُم حقّاً، فَلَكم عليهنّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُم، وَلا يَأْذَنَّ لأحَدٍ في بيوتِكم تكرَهُونه إلا بإذْنِكم[١]، وَعَليهنّ أن لا يَأتينَ بفاحشةٍ مُبَيَّنةٍ، فَإن فَعَلْن فإنّ اللهَ عزّ وجلّ قَد أمَرَكم أن تَهْجُروهنّ، وَتَضْرِبُوهنّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فإن انْتَهَيْنَ فَلهنّ رِزقهنّ وكسوتُهن بالمعروف.

واستوصُوا بالنساءِ خيراً؛ فإنهنّ عِندكم عَوانٌ، لا يَمْلِكْنَ لأنفسهنّ شيئاً، وإنّما أخَذْتُمُوهنّ بأمانةِ الله، واسْتحلَلْتُم فُروجَهنّ بكلمةِ الله، فاعْقِلوا قَولي؛ فإنّي لا أدري لَعَلِّي لا ألْقاكم أبداً بعدَ عامي هذا في هذا الموقف».

قالَ: «وإنَّ المسلمَ أخو المسلمِ، والمسلمونَ إخوةٌ، وَلا يَحِلُّ لامرئٍ مِن مالِ أخيه إلا ما أعْطاه بِطيبِ نَفس، اللهمّ هَل بَلَّغْتُ؟» قالوا: نَعَم، قالَ: «فَلا ألْفَيَنّكم تَرجعونَ بَعدي كفّاراً يَضرِبُ بعضُكم رِقابَ بَعضٍ. قَد تَرَكتُ فِيكُم ما إن أخَذْتُم به لَن تَضِلُّوا: كتابَ اللهِ، اللهمّ هَل بَلَّغْتُ؟».

١٩١ فَهذا [ما كانَ][٢] مِن حديثِ حَجةِ الوداعِ./

---

(١) سقط من (ط). (٢) سقط من الأصل.

قصة وفاة النبي ﷺ

قالَ: ثُم قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فأقامَ بِها بَقيّةَ ذِي الحجّة، والمحرمَ واثْنَين وَعشرينَ ليلةً مِن صفر، ثُم مَرِضَ مَرَضه الذي تُوفي فِيه، وَبَدَأه وَجَعُه[١] عندَ وَلِيدةٍ لَه يُقالُ لَها: رَيْحانةُ، كانَت مِن سَبْيِ اليَهود.

وكانَ أولَ يوم مَرِضَ فيه يومُ السّبت، اشْتَدَّ وَجَعُه يومَه وَليلَته، ثُم أصبحَ، فَأَذَّنَ المؤذِّنُ بالصَلاةِ ثُم ثَوَّبَ، فَلَمّا رَأى المسلمونَ أن نبيَّ الله ﷺ لا يَخْرُج، أمَرُوا مُؤَذِّناً فَدَخَلَ عَليه، فإذا رسولُ الله ﷺ شَديدُ الوَصَبِ، فقالَ: الصَّلاةَ يا رسولَ الله. فقالَ: رسولُ الله ﷺ لا يَستطيعُ الصلاةَ خارجاً، وَسَأله مَن علَى البابِ، فَأخبرَه بِمَن كانَ عليه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «مُرْ عمرَ بنَ الخطابِ فَليُصَلِّ بالناسِ»، فَخَرَجَ بلالٌ المؤذِّنُ وَهو يَبْكِي، فقالَ لَه المسلمونَ: ما وَراءَك يا بِلال؟ فقالَ: إن رسولَ اللهِ ﷺ لا يَستطيعُ الصلاةَ، فَبَكَوا بُكاءً شَديداً، وقالَ لعمرَ بنِ الخطّاب: إن رسولَ الله ﷺ يَأمرُك أن تُصَلِّيَ بالناسِ.

قالَ عمرُ: ما كنتُ لِأَتَقَدَّم بَيْنَ يَدَيْ أبي بكر أبداً، فادْخُل علَى نَبِيِّ الله ﷺ / فَأَخْبِره أن أبا بَكر علَى البابِ، فَدَخَل عليه المؤذِّنُ فَأَخْبَرَه بِمَكانِ أبي بَكر، [٨٧/ب] وبالذي قالَ عُمر، فقالَ: «نِعمَ ما رَأى، مُر أبا بَكر فَلْيُصَلِّ بالناسِ». فَخَرَج إلى أبي بكر، فَأَمَره فَصَلَّى أبو بَكر بالناسِ ثَمانيةَ أيام.

واشْتَدَّ برسولِ الله ﷺ وَجَعُه في تلك الأيام، فَدَخل عَليه العباسُ وَقد

---

(١) سقط من (ط).

أُغْمِيَ عَليه، فقالَ العباسُ لأزواجِ رسولِ الله ﷺ: لَو لَدَدْتُنَّه، قُلْن: إنّا لا نَجْتَرِئُ علَى ذلكَ. فَأخَذَه العباسُ، فَلَدَّه فأفاقَ رسولُ الله ﷺ، فقالَ: «مَن لَدَّنِي؟» فقالَ: «أقْسَمْتُ لَيُلَدَّنَّ إلا أن يكونَ العباسُ؛ فإنّكم لَدَدْتُمُونِي وأنا صائمٌ»، قُلْنَ: فإنَّ العباسَ هُو لَدَّكَ، قالَ: «وَما حَمَلَكَ على اللّدُودِ، وماذا خِفْتُنَّ عليَّ؟» قُلْنَ: خِفْنا عليكَ ذاتَ الجَنْبِ، قالَ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَم يَكُن لِيُسَلِّطَه عَلَيَّ».

فَتخافَّ رسولُ الله ﷺ مِن وَجَعِه يومَه ذلكَ، فَخَرجَ الغَدَ، وَهو اليومُ العاشرُ الذي ماتَ فيه، فَصَلَّى للناسِ صلاةَ الغَداة، وَيَرَى المؤمنونَ أنّه قَد بَرِئَ، فَفَرِحُوا فَرحاً شَديداً، ثُم جلسَ فِي مُصَلاه يُحَدِّثُهم، ويقولُ: «لعنَ اللهُ قوماً اتَّخَذُوا قُبورَهم مَساجدَ»، يَعني اليهودَ والنَّصارى/ [1]، وَحَدَّثَهم حتى [٨٨ أ]
أضْحَى، ثُم قامَ إلى بيتِه، فَلَم يَتَفَرَّق الناسُ عَن مَجلِسِهم حتى سَمِعُوا صِياحَ النساءِ وَهنَّ يَقُلْنَ: الماءَ الماءَ، يَرَوْنَ أنّه غُشِيَ عَليه، وابْتَدَرَ المسلمونَ البابَ، فَسَبَقَهم العباسُ فَدخلَ وأغلقَ البابَ دُونَهم، فَلَم يَلْبَثْ أن خَرَجَ إلى الناسِ، فَنَعَى رسولَ الله ﷺ لَهم.

فَقالوا: يا عَبّاس، ما أدرَكْتَ مِنه؟ قالَ: أدرَكْتُه يقولُ: «جَلالَ رَبِّي الرَّفيعَ؛ فَقَد بَلَّغْتُ»، ثُم قَضَى، فكانَ هذا آخرَ شيءٍ تَكَلَّمَ به رسولُ الله ﷺ.

وَكانَت وَفاتُه يومَ الاثْنَين لِلَيْلَتين خَلتا مِن رَبيعِ الأولِ لِتَمامِ عَشرِ سنينَ مِن مَقْدَمِ المدينةِ، فقالَ رِجالٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ: كيفَ يَموتُ رسولُ الله ﷺ وَلَم يَظْهَر علَى الدِّين؟ إنَّما أُغْمِيَ علَى رسولِ الله ﷺ، فَأتَوا البابَ فَقالوا: لا تَدْفِنُوه؛ فإنّه حيٌّ. فَخرجَ العباسُ فقالَ: يا أيّها الناسُ، هَل عندَ أحَدٍ عَهْدٌ مِن رسولِ الله ﷺ في شَأنِ وفاتِه؟ قالوا: لا، قالَ العباسُ: الحمدُ لله، إنِّي أشْهَدُ أن

---

(١) إلى هنا انتهى ما وجد من الأصل، والتتمة من (ط).

رسولَ الله ﷺ قَد ذاقَ الموتَ، ولَقد أَخْبرَه اللهُ بذلكَ وَهو بينَ أَظْهُركم، فقالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

فَعَرَف الناسُ أن رسولَ الله ﷺ قَد تُوفِّي، فَخَلَّوْا بيْنَه وبينَ أهله، فَغَسَلوه وَكَفَّنُوه، ثُم ذَكَرُوا أينَ يَدْفِنُوه؟ فقالَ بَعضُهم: ادْفِنُوه فِي مُصَلاه عندَ الْمَقامِ. فقالَ العباسُ: أَوَليسَ إنَّما عَهْدُكم برسولِ الله ﷺ قَبْلَ أن يَموتَ بساعةٍ وهوَ يقولُ: «لعنَ اللهُ قوماً اتَّخَذُوا قُبورَهم مَساجدَ»؟ وإنَّما ذَكَرَ ذلكَ لَكم رسولُ الله ﷺ لِكَيْلا تَدْفِنُوه فِي مُصَلاه، قالوا: فَنَدْفِنُه إذنْ بالبقيع. قالَ العباسُ: لا لَعَمْرِ اللهِ، لا نَدْفِنُه بالبقيعِ، قالوا: لِمَ؟ قالَ: لا يَزالُ عَبْدٌ وَأمةٌ يَعوذُ بقبرِ رسولِ الله ﷺ، فيَأْتِيه سَيِّدُه فَيَخْتَلِجُه، قالوا: فأينَ نَدْفِنُه؟ قالَ: حيثُ نَزَعَ اللهُ نَفْسَه، ففَعَلوا.

فَلَمّا فَرَغُوا مِن غَسْلِهِ وَتكْفِينِه وَضَعُوه حيثُ تُوفِّيَ، فَصَلَّى الناسُ عَليه يومَ الاثنين ويومَ الثلاثاءِ، وَدُفِنَ يومَ الأربعاء، وَكانَت صلاةُ الناسِ عليه علَى غَيرِ إمامٍ، فَبدأ المهاجرونَ، فَجَعَلوا يَدْخُلونَ البيتَ ما وَسِعَ مِنهم، فَيُصَلُّونَ عَليه، وَيَسْتَغفرونَ لَه علَى غَير إمامٍ، ثُم يَخْرُجون وَيدخلُ آخَرون، وَيقولونَ مِثْلَ ذلكَ.

فَلَمّا فَرَغَ المهاجرونَ دَخلَ الأنصارُ، فَفَعَلوا مِثْلَ ما فعلَ المهاجرونَ، ثُم نِساءُ المهاجرينَ، ثُم نساءُ الأنصار بَعْدُ، فَلمّا أخَذُوا فِي دَفْنِه صاحَت الأنصارُ، وَقالوا: اجْعَلُوا لَنا نَصيباً مِن رسولِ الله ﷺ عندَ مَوته؛ فإنّا قَد كُنّا منه [بِمَنْزِلة الشِّعار، فاخْتارُوا][1] أَوْسَ بنَ خَوْلِيّ مِن الأنصارِ مِن بَنِي الْحُبْلِي، فكانَ مِمَّن دَفَنَ رسولَ اللهِ ﷺ.

فهذا ما كانَ مِن حديثِ وفاةِ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) بياض في (ط)، ولعله بمعنى ما أثبت اجتهاداً.

آخر كتاب المغازي

حَدثنا أبو الحسين النّوري وأبو طلحة بنُ العوام[١]، قالا: حَدّثنا أبو يزيد محمد بن عبدالأعلى الصنعاني، قال: سمعتُ المعتمر بنَ سليمانَ ما لا أُحْصِي وَلا أحْفَظُ يقولُ: سَمِعتُ أبِي يقولُ: ما أعلمُ بعدَ القرآنِ كتاباً أَصَحَّ وَلا أحْفَظَ مِن هذه السّيرة.

وَصلى اللهُ على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

آمين[٢]

* * *

---

(١) هذانِ من رواة السيرة عن محمد بن عبدالأعلى، في (ط).

(٢) في آخر (ط) ما نصه: «انتهى كتاب المغازي تأليف أبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي مع تتمته لأبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي رحمهما الله تعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل، قد وقع الفراغ من طبع هذا الكتاب في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة إحدى وسبعين بعد الألف والمئتين من هجرة النبي الطاهر الزكي عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وأصحابه الذين هم حماة الدين والإسلام، الموافق للرابع والعشرين من غشت عام خمسة وخمسين بعد ألف وثمان مئة من الأعوام المسيحية.

فهرس الآيات الواردة في النص[١]

طرف الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾	إبراهيم: ٣٦	١٨٥
﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾	الأحزاب: ١١٠	١١٠
﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	الأحزاب: ١٢	١٠٨
﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾	الأحزاب: ٢٦	١١٩
﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾	الأحزاب: ١٣	١٠٨
﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾	آل عمران: ١٢٢	١٠٨
﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾	آل عمران: ٦٨	٦٧
﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾	الأنفال: ٥	١٠١
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾	الأنفال: ٧	١٠١
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	الأنفال: ٣٠	٨٦
﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾	البقرة: ١٩٤	١٥٠
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾	البقرة: ٢١٧	٩٤
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	التوبة: ٤٠	٨٧
﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾	التوبة: ٤٩	١٨٢
﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾	التوبة: ٢٦	١٧٢
﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾	التوبة: ٢٨	١٨٧

(١) مرتبة حسب الترتيب المعجمي لسورها، وهي مادة علمية مفيدة في معرفة أسباب النزول كما تقدم في الدراسة.

طرف الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾	التوبة: ١٠٣	١٨٥
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	التوبة: ٥	١٨٦
﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾	التوبة: ١٤	١٦٩
﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾	التوبة: ٦٦	١٨٢
﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾	التوبة: ١٠٢	١٨٥
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾	التوبة: ١١٨	١٨٥
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾	التوبة: ٦٥	١٨٣
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾	التوبة: ٢٥	١٧١
﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾	التوبة: ١٨٣	١٨٣
﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾	الحج: ٢٧	١٣٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾	الحج: ١	١٢٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	الحجرات: ١	١٢٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	الحشر: ١١	١١٧
﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾	الحشر: ٧	١١٩
﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾	الحشر: ٥	١٠٥
﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ﴾	الحشر: ٣	١٠٥
﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الحشر: ٢	١٠٢
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾	الزمر: ٣٠-٣١	١٩٣
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	الشرح: ١	٥٩
﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾	ص: ٤	٧١
﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	الضحى: ١-٢	٥٩

طرف الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾	طه: ١٤	٧٥
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	العلق: ١	٥٤
﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾	الفتح: ١٥	١٣٨
﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾	الفتح: ١٦	١٣٨
﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾	الفتح: ٢٧	١٣٧
﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾	الفتح: ٢٧	١٥٠
﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾	الفتح: ٢٥	١٣٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾	الفتح: ٢٤	١٣٥
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾	القصص: ٧٢	٧٢
﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	القلم: ١	٥٧ – ٥٨
﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾	المائدة: ٤١	١١٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾	المائدة: ١٠١	١٣٢
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	المائدة: ٣	١٨٩
﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾	المدثر: ١٨	٦٨
﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾	المزمل: ١٧	١٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾	الممتحنة: ١	١٦٠
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾	المنافقون: ٨	١٢٥
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾	نوح: ٢٦	١٨٦
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	يس: ٧٧	٦١

فهرس المصادر والمراجع

- **أبو المعتمر التَّيمي ومروياته في السيرة النبوية**، دراسة مقدَّمة لنيل الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ٢٠٠٢م، إعداد: عبد العزيز العجلان، إشراف د. عبد العزيز العمري، طُبع بعمادة البحث العلمي بالجامعة نفسها سنة ١٤٣٩هـ.
- **أسماء خيل العرب وأنسابها وذِكر فرسانها**، الحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي، أبو محمد الأسود (نحو ٤٣٠هـ)، تحقيق: محمّد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- **أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة**، د. فاروق بن محمود بن حسن حمادة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء**، أبو الربيع سليمان بن موسى ابن سالم بن حسان الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، أبو عبد الله مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، أبو العباس أحمد بن علي ابن عبد القادر الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **الإملاء المختصر في شرح السير**، أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت٦٠٤هـ)، تصحيح: بولس برونله، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، ١٣٢٩هـ.
- **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ)، تحقيق: صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- **الإيمان**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَة العبدي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- **البديع**، أبو العباس عبد الله بن المعتز البغدادي (ت٢٤٧هـ)، تحقيق: اغناطيوس كراتشقوفسكي، مكتبة المثنى ببغداد، تصويرًا عن الطبعة الأولى سنة ١٩٣٥م.
- **البسيط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- **بلغة المستعجل**، أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي الأندلسي (ت٤٨٨هـ)، تحقيق: د. رضوان الحصري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.
- **البناية شرح الهداية**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **البيان والتبيُّن**، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، الملقّب بمُرْتضى (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- **التاريخ العربي ومصادره**، أمين مدني، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **التاريخ الكبير**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

- **تذكرة الحُفاظ**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح**، أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **تقييد المهمل وتمييز المشكل**، أبو علي الحسين بن محمد الغساني (ت ٤٩٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الكلبي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- **الثقات**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت ٣٥٤هـ)، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- **جزء فيه تسمية ما ورد به الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي دمشق من الكتب من روايته من الأجزاء المسموعة والكبار المصنفة وما جرى مجراها سوى الفوائد والأمالي والمنثور**، لمحمد بن أحمد بن محمد المالكي الأندلسي، مصوَّرة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

ـ **دلائل النبوة**، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
ـ **دلائل النبوة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
ـ **الروض الأنف والمشرع الرِّوَى**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
ـ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
ـ **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النَّسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
ـ **سِيَر السلف الصالحين**، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
ـ **السيرة النبوية**، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ **الصلة**، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
ـ **الطبقات الكبير**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
ـ **الطبقات**، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

ـ **العجاب في بيان الأسباب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي.

ـ **غريب الحديث**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ـ **الفهرسة**، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ـ **كتاب ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) إلى أهل المغرب الأقصى في أمر الدماء وتعصب القبائل**، نسخة مصوَّرة بمكتبة عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء.

ـ **كتاب السير والمغازي**، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ـ **لسان العرب**، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

ـ **المحبر**، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٤٥هـ)، تصحيح: إيلزة ليختن شتيتر، طُبع دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦١هـ.

ـ **المذكَّر والمؤنث**، أحمد بن فارس، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٩م.

ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

ـ **المستَخرجُ من كُتب النـاس للتَّذكـرة والمستطـرف من أحـوال الرِّجـال للمعرفـة**، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن منده العبدي الأصبهاني (ت ٤٧٠هـ)، تحقيق: أ. د. عامر حسن صبري التَّميميُّ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرين، إدارة الشؤون الدينية.

ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

ـ **مسند ابن الجعد**، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ـ **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

ـ **مصادر السيرة النبوية وتقويمها**، الدكتور فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.

ـ **المعارف**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

ـ **معتمر بن سليمان بن طرخان**: دراسة في سيرته التاريخية، د. عاصم إسماعيل كنعنان العباسي، مجلة ديالي، عدد: ٥٢، سنة ٢٠١١م.

ـ **معجم البلدان**، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

ـ **المغازي الأولى ومؤلفوها**، تأليف: يوسف هوروفتس، ترجمة: د. حسين نصار، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

ـ **مغازي سليمان بن طرخان التيمي**، جمْع وترتيب ودراسة، دراسةٌ مقدمة لنيل الماجستير في السيرة النبوية من جامعة ابن زهر سنة ٢٠٠٧م، إعداد: عبد العزيز خاطير رحمه الله، إشراف: د. عبد الواحد الإدريسي.

ـ **المغازي**، أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: ألفرد فن كريمر، مدينة كلكتة، الطبعة الأولى، ١٨٥٥م.

ـ **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ـ **النخيل والتمور في العراق: تحليل جغرافي لزراعة النخيل وإنتاج التمور وصناعتها وتجارتها**، عبد الوهاب الدباغ، مطبعة الأمة، بغداد، سنة ١٩٥٦م.

ـ **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، د. حسين نصار، منشورات اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

ـ **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد**، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن البخاري الكلاباذي (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية	٥
نبذة موطئة ونقب مقتحم	٧
المعقد الأول: التعريف بالمؤلف	١١
أولاً: اسمه، ونسبه، وزواجه، ووفاته	١١
ثانياً: شيوخه وتلاميذه	١٢
ثالثاً: مناقبه	١٤
رابعاً: توبته من بدعة القدرية	١٥
المعقد الثاني: التعريف بالكتاب	١٦
أولاً: موضوعه وعنوانه	١٦
ثانياً: شاهد نسبته إلى المؤلف	٢١
ثالثاً: أهمية الكتاب والنقول عنه	٢٣
رابعاً: منهج المؤلف في كتابه	٣٣
خامساً: صفة النسخة المعتمدة في التحقيق	٣٤
النص المحقق	٤٩
من حديث بناء الكعبة	٥١
مبعث رسول الله ﷺ	٥٣
الصدع بالأمر والهجرة إلى الحبشة	٦١
خروج النبي ﷺ من الشعب وانقطاع الحصار	٦٨
موت أبي طالب واشتداد الأذى على النبي ﷺ	٧١
إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٧٤
بيعة العقبة الأولى وخروج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة	٨١

الموضوع	رقم الصفحة
مغازي رسول الله ﷺ	٩٢
قصة غزاة بدر	٩٦
غزوة بني النضير	١٠٤
غزوة الخندق	١٠٧
غزوة بني قريظة	١١٦
قصة غزاة بني لحيان	١٢١
قصة زيد بن أرقم وعبد الله بن أبي	١٢٣
قصة بئر معونة	١٢٦
قصة بني المصطلق	١٢٨
قصة الحديبية	١٣٢
قصة خيبر	١٣٩
قصة عمرة رسول الله ﷺ	١٥٠
إسلام خالد بن الوليد	١٥١
قصة مؤتة	١٥٣
قصة الحليفين من خزاعة وبني أمية	١٥٤
قصة فتح مكة	١٥٩
حي بني جذيمة، وهو حي من كنانة	١٦٨
قصة حنين	١٧١
غزوة الطائف	١٧٧
غزوة تبوك	١٨١
قصة حجة الوداع	١٨٩
قصة وفاة النبي ﷺ	١٩١
آخر كتاب المغازي	١٩٤
الفهارس	١٩٥
فهرس الآيات الواردة في النص	١٩٦
فهرس المصادر والمراجع	٢٠٠
فهرس الموضوعات	٢٠٧

تجليد : شركة فؤاد البعينو للتجليد ش.م.م.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies